

بيار زون سايل

خبر و دوع



ولاء الحبيل
بيروت

خبز ودمع

انها قصة الخبز والدمع

قصة الرغيف المغموسة بالدمع.

في هذه القصة تسكب محاسن نصّار دمعها لتأكل خبزها،
ويسكب حبيب مرزوق دمعته ليروي قلبه الجريح. وما محاسن
نصّار وحبيب مرزوق سوى محرقة مقدسة على مذبح الحب
الطهور.

خبز ودمع

قصة العاطفة الصادقة والهوى الملهب والتضحية الخالدة
والحب العميق.

إنها احدى رائعات بيار روفایل.

خَيْرُ رَوْحٍ

بِسَارُوفَنَائِد

خَبَرُ رُوح

دَلَارُ الْحَبِيْل

بَيْرُوت

بِجَمِيعِ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةً

لِدَارِ الْجِبَلِ

الطبعة الخامسة

١٩٩٠

١

التعارف

سجا الشاطيء الفسيح الأرجاء في محلة المعاملتين ، في لبنان ،
وابتسمت رماله السمراء للساجين وللساجات المنتشرين في حناياه
على هناة وبهجة وإرتباج . وانطلقت الصبايا المستعجات في
الشاطيء الفسيح الأرجاء ينطرحن في احضان امواجه حيناً
وينطرحن فوق رماله احياءاً بداعين حباتها الدقيقة الصفراء
ويبحن لها التسلل الى مفاتن أجسادهن البضة السمراء التي لوحتها
شمس الشاطيء الفسيح الأرجاء .. وانطلق الشبان في
حنايا الشاطيء الجميل يستحمون ويستلقون فوق الرمال رامقين
الصبايا بنظرات تخفي وراءها ألف سر وسر وألف أحجية
وأحجية . وراحت الصبايا يخالسن الشبان النظرات وهن
يتظاهرن بالامبالاة .. وانتشى الشاطيء وصفق لمواكب الشباب
ولأمازيج ربيع الحياة الممرع الأخضر الريان .

وهناك بين الصبايا المنتشرات على شاطيء المعاملتين كانت
فتاة رائمة الحسن والجمال ، هيفاء القد نجلاء العينين بيضاء البشرة
سوداء الشعر ، كل ما فيها يوحى الشوق والهوى والحنين ..

وكانت تلك الفتاة ترندي « مايره » أحر اللون ، أحر بون
النجيع القاني الاحرار، وكانت الفتاة تلك مستلقية فوق الرمال
تحت مظلة وارفة خضراء .. وراح الشبان المستحمون يحومون
حول الفتاة الرائعة الحسن والجمال كما تحوم الفراشات حول
الزهرة اليانعة الفواحة العبير ، إلا أن « صاحبة المايوه الأحمر »
لم تأبه لأولئك الشبان المنتشرين حولها يمتعون أنظارهم بمفاتن
الشباب والجمال . وحاول البعض لفت « ام المايوه الاحمر » إليه
إلا ان العادة الحسنة لم تكن لتعير ذلك البعض اقل اهتمام، كانت
الفتاة الحسنة مستلقية تحت مظلتها الخضراء وهي تحديق بالأموج
المتواثبة نحو الشاطئ، على تيه وغنج ودلال .. وقبرم الشبان
الفضوليون بتلك الغزاة الشاردة الحرون ، ويشوا من لفتها
إليهم فانصرفوا عنها وفي القلوب نعمة وفي النفوس حقد دفين .

وطال استلقاء الفتاة الحسنة فوق الرمال، وطال تفكيرها،
وطال تحديقها بأموج البحر الساجية الهادئة الزرقاء. وابتعد
الشبان عنها ، ما لهم ولها . هذه فتاة متكبرة تترجع من النفور
والاعتداد في أعلى مقام فليبحثوا عن « الرزقة » عند غيرها
من المستحبات الفاتحات .. واطمأنت الحسنة وقد ابتعد عنها
اولئك الشبان ، وارتاحت كل الارقياح ، فهي تريد ان تظل
وحدها ، تريد ان تنصرف الى السكينة والهدوء والتفكير ،
تريد ان تخلو بنفسها ، وهي ما ارتادت ذلك الشاطئ البعيد
عن بيروت إلا لتنعم بالسكينة والوحدة والهدوء ، وبدأت

الشمس تنأهب للانحدار وراء الأفق البعيد ودام المايوه الاحمر ،
لا تزال في استلقائها تحت مظلتها الخضراء ، ونهضت ، وقد
وقفت الشمس على شرفة الافق الفسيح تنأهب للانحدار في
اللجة الخضبة بدمها ، واتجهت نحو الامواج . ستفوص للمرة
الاخيرة قبل ان تغادر الشاطئ الجميل ، وتقدمت من الامواج
بخطوات متتدة ثابتة ، وألقت بنفسها بين احضانها .. وراحت
قداعب امواج البحر الباردة ، وانتشت بلامسة الامواج
وبمداعبتها فسارت شوطاً بعيداً ، دون ان تفكر بطريقة
العودة الى الشاطئ .

وتدحرجت الشمس وراء الامواج وبدأ النور يتراجع امام
جيوش الظلام والفتاة الحسناء لا تزال في اندفاعها الى الامام
مبتعدة عن الشاطئ الفسيح ..

وغمر الظلام الامواج فاستفاقت الفتاة من نشوتها الهانئة
لتجد نفسها محاطة بالظلام ، وكان هدير الامواج يزيد سواد
الليل رهبة وخشوعاً فبدأ الخوف يداعب قلبها الندبي العود ،
والتفتت الى الوراء لتشاهد انوار المساهي المنتشرة على ذلك
الشاطئ الرحيب بعيدة عنها ، هذعرت ، وقد ادركت انها
بعيدة بعداً شامعاً عن الشاطئ الحالم المغمور بالظلام .. وحاولت
الرجوع ادراجها الا ان التعب والخوف تعاونا عليها فشعرت
بالعناء الشديد يعصف بها والعياء يهدقواها ويكاد يشل فيها كل
حركة .. وراحت الفتاة الجميلة تعمل جاهدة على العودة الى

الشاطئ ، ولاحت لها العودة صعبة المنال .. فالمسافة التي تفصلها عن الشاطئ بعيدة المدى ، وهي خائفة القوي منهوكة الجسد محطمة الاعصاب واشتد الذعر بالفتاة وقد ارشكت ان تشرف على الفرق . وراحت ترفع يدها الواهية تلوح بها في الفضاء مستغيثة مستنجدة ، إلا ان الظلام الدامس اندي كان قد غمر البحر حال دون اجابة الاستغاثة والنداء .. وبذلت الفتاة المزيد من الجهد ، وقد تغلب فيها حب الحياة على الاستسلام للموت فضت في السباحة محاولة الاقتراب من الشاطئ البعيد .. وسارت في اندفاعها نحو الشاطئ محاولة مغالبة الأمواج . الا انها ايقنت ان الوصول الى الشاطئ صعب المنال وأن الموت يكن بين حنايا تلك الامواج المغمورة يجناح الليل الاسود البهيم ..

وراحت يدها المرتفعة فوق الامواج تلوح في الفضاء طالبة النجدة . وعمدت الى الاستنجاد فأخذت تولول : « اليّ اليّ .. » وكان صوتها الواهي فوق هدير الأمواج يذهب مع الليل الحالك السواد .. واشتد الخوف بها . ويلها . هل قدر لها ان تموت وهي لا تزال في شرخ الشباب ؟ هل حكم عليها بالموت غرقاً في هذا اليم الشاسع الواسع الرحيب ؟ . ومع يقينها ان الموت اصبح على مقربة منها فقد ابت ان تكف عن محاولة النجاة ، الا انها شعرت بالوهن وبالتعب وبالعياء ، شعرت بأنها اصبحت عاجزة عن المضي في المحاولة فتراخت عزائمها ووهنت قواها وعصف الذعر بفؤادها فاسترسلت بالبكاء ..

وإذا بشبح يقترب منها ، فعاد الأمل الباسم يدغدغ فؤادها .
 ترى من يكون هذا الشبح ؟ فليكن من كان . هذا لا يهمها . كل
 ما يهمها هو ان يدنو منها وعندما يقترب منها ويراهما يبقى لكل
 حادث حديث .. واقترب الشبح منها ، واستطاعت ان تلبينه
 على انعكاس الامواج فاذا به شاب في مقتبل العمر .. ودون ان
 يمس بحرف لف ذراعه حول خصرها وراح يسبح عائداً بها
 نحو الشاطئ .. واطمأنت الفتاة الحسنة بعض الاطمئنان وقد
 ايقنت ان النجاة من الفرق باتت مكفولة مضمونة وراحت
 تساعد الشاب على السباحة وعلى الاقتراب من الشاطئ الامين .
 وكان ذلك الشاب يسرع في اقترابه من الشاطئ ، ولاح منه انه
 يجيد السباحة كل الاجادة .. واقتربا من الشاطئ ووقفز الشاب
 بها الى الرمال وهمس : « الحمد لله على السلامة » .. وكانت الفتاة
 قد استعادت قواها وشجاعتها فهمست وهي تلقي بجسدها المبلل
 فوق الرمال : « انا مدينة لك بحياتي يا سيدي . انني اشكرك
 من صميم قلبي ، وجلس الشاب قريبا فوق الرمال وهمس : « انا
 لم اقم بسوى واجبي يا آنستي اللطيفة ، ولا شكر على واجب » .

قالت وهي تنظر الى وجهه الوسيم : « هل لي ان اتشرف
 باسم منقذي ؟ » .. قال : « حبيب مرزوق ، فمدت يدها
 تصافحه وتمس : « انا محاسن نصار » وشدت يده يدها وهو
 يصافحها وتمتم : « تشرفنا » قالت : أياكون السيد حبيب من
 هذه الانحاء ؟ .. لقد لاح لي منك انك تجيد السباحة كل الاجادة ،

قال : لا . انا لست من المعاملتين .. انني من قرية صغيرة تقع في سفوح هذه الجبل ، الشايخة الخضراء المنتصبة فوق هذا الشاطئء الامين الا انني احضر من حين الى آخر الى هذا الشاطئء الجميل حيث انعم بالماء وبالهدوء والسكينة والهدوء .. وأنت ؟

قالت : انا من بيروت . كنت استحم في مسبخ « سارن جورج » ، إلا ان الازدحام هناك اهاب بي الى الهرب والى اللجوء الى هذا الشاطئء الفاتن الهادئء الجميل ، ويبدو ان البحر هنا ابي ان يرحب بي ، او بالاحرى هو اراد ان يرحب بي على طريقته الخاصة ويقضي عليّ ، فابتسم حبيب وهمس : البحر ييم ابدأ بالندور وباللاليء ، وهو يستأثر ابدأ بالعالى النفيس من اللاليء والندرر ولذلك فقد حاول الاستئثار بك ايتها الآنسة محاسن .

فراقها بيانه وانتشت بثنائه . وهمست :

شكراً على ثنائك يا سيدي .

ونمضت ونمض معها حبيب ، وسارا فوق الرمال بأقدامها الحافية .. وشخصت هي الى « كابيينها » وشخص هو الى « كابينه » وبعد قليل خرج حبيب من « الكابين » وقد ارتدى ثيابه .. وأقام ينتظر خروج الفادة الحسناء من « كابيينها » .. وطال انتظاره دون جدوى .. وتقدم اخيراً واقترب من الباب ، من باب « الكابين » ، يطرقه الا انه لم يفتق جواباً .. ودفع الباب ففتح ودهش وقد اكتشف ان الفتاة خرجت . كان « الكابين »

خالياً خاوياً .. اين هي الفتاة الحسناء؟ وكيف خرجت بسرعة قبل ان يلتهمى هو من ارتداء ثيابه، وقبل ان يخرج من كابينه؟ .. وأمرع الى حنايا الشاطيء يبعث عنها الا انه لم يتد لها الى اثر ، لقد طارت الغادة الحسناء بين الأرض والسما ..

وأسف حبيب لضياح الفتاة منه .. كان يريد ان يتحدث اليها ، يريد ان يعرف من هي ؟ .. ابنة من هي ؟ ماذا تفعل ؟ ..؟ ماذا تعمل ؟ .. اين هي دارها ؟ .. كان حبيب يريد ان يعلم كل شيء عن تلك الفتاة ، الا ان الفرصة السانحة ضاعت منه . لقد اقلنت من يده . ترى هل يشاهدها مرة ثانية ؟ لا ، من المؤكد انه لن يشاهدها مرة ثانية . هي لن تعود الى شاطيء المعاملتين بعد ان كادت امواج المعاملتين تستأثر بها وتقتضي عليها وتقصف غصن شبابها الغض النضير .

وسار حبيب مرزوق يحمر رجليه جراً فوق الرمال وهو يفكر بتلك الفتاة الرائعة الجمال التي انتشلها من برائن الموت الرهيب .. ووصل الى سيارته الصغيرة السوداء الجائئة على ذلك الشاطيء الجميل تنتظر عودته ، وصعد الى السيارة وهو لا يزال يفكر بالفتاة ، بحاسن نصار .. وأدار محرك السيارة فأقلعت به تتسلق الطريق البعيد المنساب في تلك السفوح الهادئة الباسمة الخضراء على تيه ودلال ..

وعاد طيف محاسن نصار يلوح لعينيه وهو يقود السيارة الصغيرة السوداء .. واجتازت السيارة به الغلطات بالأحراج

الخضراء وهو يفكر بالفتاة الحسناء ..

ووصلت السيارة الى القرية الصغيرة ، وتوقفت به امام البيت الصغير القديم العهد ، هذا البيت الذي ورثه حبيب عن والده والذي كان والده قد ورثه عن جده . ويقدمين واهيتين دخل حبيب الى ذلك البيت الصغير الذي كاد ينوء تحت عبء السنين الطوال فهبت والدته ترحب به وتمتم : حبيب !.. عدت يا ابني ؟ .. لقد اقلقت خاطري عليك . لماذا تأخرت في العودة يا حبيب ؟.

فاقترب حبيب من أمه يعانقها . لقد تعود حبيب مرزوق ان يعانق امه كلما دخل الى المنزل وكلما خرج منه .. وهمس : « لم يكن لك ان تقلبي علي يا أمي وأنت تعلمين اني اتأخر احيانا في العودة الى البيت » .

قالت : « كنت اعلم انك شخصت الى المعاملتين للمستعم في البحر يا ابني ، وأنا اخاف البحر ، اخاف ان تستأثر امواجه بك وتبعدك عني ، لا سمح الله ، وأنت كل ما أبقى لي الدهر في هذه الحياة . ان الشوكة التي تحزك في اصبعك تحزني في قلبي يا ابني . وأنا تمنى ان يغيبني الثرى قبل أن تعثر قدمك بحجر » .

وضمته الى صدرها برفق وحنان ، وهمست : فليسعدني الله بك يا ابني وليطل بعمرى الى يوم أراك فيه قرب عروسك وأفرح بأولادك » .

وانسلخت عنه لتنصرف الى تهيئة العشاء .. وألقى حبيب
يחסده الواهي على المقعد القديم ليعود الى التفكير بالفتاة الجميلة
الفاطنة الحسنة .. وراح يستعيد في تخيلته الكلمات القليلة التي
تبادلا واياها .. كانت تلك الكلمات مقتضبة مختصرة إلا أنها
على رقة وعذوبة وحنان .. وطال تفكيره بالفتاة .. وعجب
من نفسه . كيف تشغله هذه الفتاة ، وتثير اهتمامه ، بالرغم من
انه لم يرها إلا مرة واحدة ولدقائق قليلة . تجرى هل هذا هو
الحب الذي يتكلمون عنه ويتغنى به الشعراء ؟ .. ان حبيباً لم
يتعرف الى الحب بالرغم من انه تجاوز الخامسة والعشرين من
عمره . لم يكن حبيب ليهم بالحب ولا كان ليعير الهوى والفرام
اقل اهتمام ، فهو منصرف الى الاهتمام بالحقل والكرم والبستان .
منذ ان توفي والده ، منذ خمس سنوات ، وحبيب مهم لكل
الاهتمام بأمله . فهو مزارع صغير يملك حقلاً يزرعه قمحاً
وحنطة ، وبستاناً صغيراً كان المرحوم والده قد غرسه تفاحاً
واجاصاً وكرزاً ، وكرماً صغيراً يجود عليه بما يكفيه ويكفي
أمه من الخمر والزبيب .

وكان حبيب مرزوق قانماً من دنياه بما ورث عن ابيه .
وكان يعيش مع أمه في مجبوحة من العيش . المواسم مقبلة والحد
للخير مندقق عليه .. ولم يكن حبيب ليبذر ماله في مسا لا
فائدة منه . فهو لا يدخل الى محهى ولا تطأ قدماه عتبة دار
السينا ، ولا يسرف في الاتفاق على اناقته وثيابه . ويبروت لا
يتعرف اليها إلا مرات قليلة كل عام . هو لا يدلف الى بيروت

إلا إذا اراد شراء السمدة لأرزاقه ، او اذا احتاج الى ثوب له
او لأمه .. وبالرغم من ذلك فهو قد تعلم قيادة السيارة وابتاع
سيارة « سيمكا » صغيرة مستعملة راح يقودها بنفسه ويتباهى بها
بين الاصدقاء والرفاق .. ابن المختار ابتاع سيارة ، وهو ، اي
ابن المختار ، ليس بأفضل من حبيب مرزوق .. وطاب لحبيب
مرزوق ان يدلف الى المعاملتين ليستحم في البحر ، وحر تموز
يلهب الانفاس .. فراح يستقل سيارته الصغيرة مرة او مرتين في
الاسبوع ، ويشخص بها الى « المعاملتين » والمعاملتين ليست ببعيدة
عن قريته ، وكان يحسن السباحة . فهو قد اتقنها منذ الصغر ،
فراح يغوص من البحر في الاعماق وابتعد شوطاً عن انشاطه
الحالم الجميل .. وتلك الليلة ، فيها يستحم حبيب مرزوق شاهد
الفتاة الحسنة تشرف على الفرق فوثب الى نجدتها واستطاع أن
ينقذها من الموت .

وهس حبيب في سره ، وهو جالس على مقعده في منزله
يقتظر ان تمد امه له العشاء : « ليتني لم ارها ليت عيني لم تقع
عليها .. اما لماذا يتمنى حبيب لو انه لم يرها ولم تقع عينه
عليها ، فهذا ما لم يعرفه .. هو نفسه لا يعرف لماذا ؟ .. فكأنه
يخشى هذه الفتاة الرائعة الحسن والجمال .

كأنه يخافها ويهرب جانبها .

واذا بصوت امه يتعالى في اذنيه : « حبيب ا.. قم يا ابني
قم ، تعال . العشاء جاهز يا حبيب ، ونهض حبيب . وسار
بقدمين واهيتين وشخص الى مائدة الطعام . وجلس كعادته قرب

امه .. وكان العشاء شيباً . امه تحسن طهو الطعام واعداده .
وهو طعام قروي اتقنته ام حبيب كل الاتقان . برغل .. وبيض ..
وسلطة .. ولبن وزيتون وعسل ودبس .. الا ان حبيباً لم يكن
ليتناول الطعام بشية كعادته مما اثار قلق امه وخوفها .

كان حبيب يتناول الطعام على مهل ، وهو شارد الذهن قائم
النظرات . حتى وهو جالس الى مائدة الطعام كان يفكر بالفتاة
الحسنة ، بمحاسن نصار .. والتفتت امه اليه لتقول : « ما بك
يا حبيبي ؟ . ما بك يا ابني . أراك على شرود وذهول . انت لا تتناول
الطعام بشية . أتكون مريضاً يا ابني ؟ » .. وتكلف حبيب
الابسام فأطلق ابتسامة مزورة جاءت تثبت الاتهام . وممس :
« لا يا امي . انا بألف خير والحمد لله . إلا انني أرهقت نفسي في
السباحة والقبوض فدهمني التعب والعياء » . وممس الام : « تناول
عشاءك واسترح في سريرك يا ابني لعل الراحة تמיד اليك العافية
والنشاط » . قال : « سأعمل بنصيحتك يا امي » .

وعمل بنصيحتها . ما ان انتهى من تناول الطعام حتى دخل
الى غرفته من المنزل فزرع عنه ثيابه واندس في سريره محاولاً
النوم . إلا ان النوم جفاه وابتعد عن مقلتيه . وكيف ينام حبيب
مرزوق وهناك طيف الفأدة الحسناء يحوم حوله ويحتم فوق
وسادته البيضاء . ؟ . وسهر حبيب مرزوق ، لقد سهر طيلة ذلك
الليل مع طيف محاسن نصار .. ولم يستطع حبيب ان يطبق
عينييه على الكرى إلا وأنوار الفجر البعيد تغمر تلك الجمال
والسفوح والوديان برشاحها الأبيض الجميل .

ونام الشاب النوسم واستغرق في النوم . ولم يستفق إلا على صوت امه تتاديه وتدعوه للنهوض وللانصراف الى العمل .. واستوى حبيب في سريره على نعاس شديد .. وفرك عينيه وهو يود لو يستطيع العودة الى الاستغراق في النوم العميق .. ودخلت الام الحنون الى غرفة ابنتها حاملة له القهوة .. وتمتمت وهي تتخطى عتبة الغرفة الصغيرة « حبيب اقم يا ابني قم ، ها الشمس بدأت تشرخيوطها الذهبية على هضاب القرية وقلالها ، والمصافير تملأ الاحراج والغابات بصداحها . والرعاة سرحوا مع قطعانهم الى المراعي . والفلاحون بدأوا اعمالهم .. ما بك يا حبيب ؟ . لماذا تستغرق في النوم والاعمال كثيرة لديك . ليس من عادتك يا ابني ان تستغرق في النوم حتى هذه الساعة ؟ » واقتربت منه وحدثت في عينيه وهي تقدم له القهوة فدعرت . عيناه الذابلتان المرراوان تثبتان ان حبيباً لم ينام طيلة الليل . وقدمت له القهوة فتناول الفنجان من يدها بكل عناء . وجلست كما دتها ، قربه على السرير وبدأت ترشف قهوتها على مهل واثادوهمست : « ما بك يا ابني ؟ . انك هزيل الوجه اصفر الجبين ، احمر العينين . يلوح لي انك لم تذوق طعم الرقاد طيلة الليل . وععاد حبيب مرزوق الى اطلاق الابتسامة المزورة محاولاً إيهام امه انه بألف خير .. إلا ان الابتسامة تلك لم تجدع الأم فعادت الى الأسئلة تطرحها على ابنتها : « ما بك يا حبيب ؟ هل انت مريض يا ابني ؟ هل انت متعب ؟ هل انت حزين ؟ . ما بك يا حبيب ما بك يا ابني . » واتسعت الابتسامة الهزيلة

الصفراء على شفتي حبيب مرزوق ورشف القهوة . وممس « انا
بألف ألف خير يا امي . اطمئني . ليس ثمة ما يشغل البال » ..
ولم تستطع ام حبيب ان تطمئن . وكيف تطمئن ام حبيب وهي
تشاهد ابنتها كسير الخاطر ، حزين الفؤاد .. وحاولت الام
جاهدة انتزاع جواب واحد على اجوبتها العديدة من فم ابنتها
إلا انها عجزت . لم يكن حبيب ليفصح عما يزرع في صدره من
موم وآلام وأحزان .. وانتهى من رشف قهوته ، ووثب من
السرير ليفسل وجهه ويرتدي ثياب العمل .. وكانت امه قد
هيأت له طعام الصباح ، فتناول الطعام وخرج الى عمله في
البستان .. وخيل إليه ان العمل سيبعد طيف محاسن نصار عن
خاطره ، إلا انه كان على ضلال . لم يستطع العمل ان يمنح به
عن التفكير بالفتاة الحسنة . فقد كان يراها في الاغصان والأثمار
والاوراق الخضراء .. وانقطع عن العمل . وجلس تحت شجرة
تفاح وارفة خضراء ، وراح يفكر : لماذا تشغل هذه الفتاة
تفكيره ؟ ما له ولها يجب ان يقصي طيفها عن رأسه . عليه
ان يتذرع بالحزم وبالصلابة وبالغناد ويبتعد بتفكيره عن هذه
الفتاة .. واطمأن قليلا وقد توصل الى اتخاذ هذا القرار ..
ونض ليعود الى عمله بهمة ونشاط .

وجان موعد الغداء فعاد الى المنزل .

وجلس مع امه يتناول طعام الغداء .. وجلس يمازح امه
ويسايرها فاطمأنت الام وارتاح بالها . الحمد لله ، لقد استعاد
ابنتها هدوءه وصفاء باله .. وعاد بعد الغداء الى البستان ليكمل

عمله . وارتاح ، وقد تخلص من التفكير بالفتاة الجميلة . الا ان ارتياحه لم يطل .. ساعات قليلة وعاد طيف محاسن يحوم حول تفكيره .. وغضب ، وحنق على نفسه ، وقد ادرك انه عاجز عن تنفيذ القرار . هو لم يستطع ان يتخلص من التفكير بهذه الفتاة . يجب ان يراها . يجب ان يكلمها . يجب ان يتحدث اليها . القرار الذي اتخذته قبل الظهر نقضه بعد الظهر .. حبيب مرزوق ، سيعود الى شاطئ المعاملتين . وسيشاهد محاسن وستحدث اليها وينعم بمحدثها العذب الشجي وبمراى وجهها الفاتح الجميل .. وانقطع عن العمل . وعاد الى البيت لينزع عنه ثياب العمل ويرتدي ثوبه اللينق وسألته امه : « الى اين يا حبيبي ؟ » ومس : « سأشخص الى المعاملتين لأستحم . لن يطول غيابي عنك يا امي . سأعود قبل الغروب » .. وهمست الام : « رافقتك السلامة يا ابني . احذر البحر يا حبيب فهو مخادع غدار » . ووثب اليها يمانقها متمتماً : « اطمئني . ابنك يحسن السباحة ، لقد استطاع ان يروض هذا المخادع الغدار » .. وخرج من الدار ليستقل السيارة الصغيرة السوداء وينتهدر بها من القرية الصغيرة الخضراء الى الشاطئ الفسيح الشاسع الرحيب .

حبيب مرزوق يجوب حنايا الشاطيء الفسيح المنبسط عند
امواج المتوسط كأنه صفحة سمراء باحثاً بين الصبايا المستحبات
عن فائلته الحسنة محاسن نصار .. وطال مجته وتقنيته دون
جدوى . محاسن نصار ليست بين المستحبات الفاتنات على
الشاطيء الرحيب . وحنق حبيب وغضب ، وشمر بأنفاسه
تضيق في صدره وقد خاب امله في العثور على محاسن . ترى هل
ضاعت محاسن منه ؟ ألن يراها بعد اليوم ؟ .. هل قدر له ان
يخسرهما الى الابد ؟ ..

وضاقت الدنيا على رحبها في عينيه ، ولاح له الشاطيء
مقفرأ بالرغم من انه يمج بالساجين والساجات .. والبحر على
رحبه لاح له صغيراً لا يتسع لكأس ماء .. وجلس فوق الرمال
حزيناً كثيراً كسير القواد ..

وانغمس حبيب مرزوق في تفكير بارد عميق .. ترى هل
تعود محاسن الى هذا الشاطيء ؟ هل يراها مرة ثانية ؟ ليس
يدري ، ليس يدري .

وطالت جلسته فوق الرمال ، وطال تفكيره .. واذا
بصوت عذب شجي يتكسر في اذنيه : ايها السيد حبيب ..
لماذا تجلس وحدك هنا ؟

والثفت الى الورا . ووجم ، وعقدت الدهشة لسانه وقد
شاهد محاسن على مقربة منه .. وتقدمت محاسن منه ، ومدت
يدها تصافحه والابتسامة تشع على شفثيها. وهمست : كيف
حالك ايها السيد حبيب ؟

وصافحها بيد ترتجف. وهمس : الحمد لله ايتها الانسة محاسن
انا بخير ، وانني لأرجو ان تكوني انت ايضا بخير .

وجلست فوق الرمال .. وعاد حبيب الى الجلوس قريبا ،
وراح يحدق بها. كانت رائعة فاتنة . كانت ترتدي مايوه اجر ،
نفس المايوه التي كانت ترتديه امس . وكان شعرها الحالك السواد
مسدلاً على كتفيها العاريتين ليزيد في بياض بشرتها البضة البيضاء
وكان المايوه الاحمر يسبغ على رشاقتها رشاقة وعلى جمالها جمالا
بعيد المبدى .. وحاول حبيب الكلام . حاول التحدث الى
محاسن الا انه عجز ، وراح يبحث عن كلام يسكبه في اذني
فائلته الحسنة غير انه لم يعثر على كلمة واحدة .. ولاح من
محاسن انها تبحث ايضا عن كلام يتحدث به حبيباً ..

وساد الصمت برهة بينها . وكان هدير الامواج يتكسر في
اذانها فيزيد في رهبة الموقف وخشوع المقام .. وحلت النظرات

محل الكلمات فراحت العيون الاربع تتحدث بلغة الهوى
والغرام . وتشابكت النظرات. واختلج القلبان . وتهاست
الروحان همسات الشوق والحب ...

وطال صمتها .. وأخيراً وبعد صمت طويل استطاع حبيب
ان يستعيد جرأته وشجاعته فهمس : كنت اخشى الأعمودي
الى هذا الشاطيء ايتها الأنسة محاسن بعد ان كادت امواجه
تقدر بك .

وارتسمت ابتسامة هادئة بيضاء على شفتي محاسن الندية
وهمست : لقد احببت هذا الشاطيء ايها السيد حبيب . احببته
حباً شديداً ، احببته من اعماق قلبي . أعلم لماذا ؟ ..

فتساءل : لماذا ايتها الأنسة محاسن ؟

فاتسعت الابتسامة البيضاء على شفتيها . وتمتمت : قبل ان
أجيبك الى سؤالك ارجو ان تتخلى عن كلمة آنسة ، قل لي :
يا محاسن ، محاسن فقط بدون آنسة ، وأنا سأناديك : يا حبيب ..
بدون لقب .. هل توافق على هذا الاقتراح ؟

فابتسم .. لقد عرفت شفتاه الابتسام اخيراً . وهمس : كما
تريدين ايتها الأنسة محاسن .

فضحكت وتمتمت : بدون ايتها الأنسة .. قل : كما تريدين
يا محاسن .

فردد ما تقول : كما تريدين يا محاسن .

قالت : الآن أستطيع ان اقول لك لماذا احببت هذا الشاطيء الجميل ، بالرغم من انني كدت افقد حياتي بين امواجه . لقد احببت هذا الشاطيء لانني تعرفت فيه اليك يا حبيب .

فارتعش حبيب مرزوق . ووجم . ماذا تقول محاسن ؟ ..
أتراها تفكر به كما يفكر بها ؟ هل حل بها ما حل به من شوق وهوى وحنين ؟ وممس : محاسن . الشاطيء الذي احببته انت احببته انا ، والسبب ايضاً واحد . لقد احببت هذا الشاطيء لأنه جمع بيننا وسأحبه العمر كله يا محاسن .

فامتدت يد محاسن نصار لتمسك بيد حبيب مرزوق وتهمس : أتعلم لماذا عدت الى هذا الشاطيء يا حبيب ؟
قال : لماذا يا محاسن ؟ ..

قالت بكل صراحة : لأراك .. اجل لقد عدت الى هنا لأراك وقد كنت على يقين من انني سأجذك هنا . لقد كنت على يقين من انك تنتظر عودتي فعدت .

فارتعش حبيب وارتجفت يده القابضة على يد محاسن . وممس :
محاسن ... وانا ما عدت الى هنا إلا لأراك . كنت ابحت عنك بين المستعحات . كنت على يقين من اني سأراك وسأحدثك وسأستمع الى صوتك العذب الحنون .

فصمت محاسن . وانصرفت الى التفكير تنغمس فيه على الم وشوق وحنين ، ولاح منها انها ندمت على ما بدر منها ، لاح

منها انها تتألم..وسحبت يدها من يد حبيب وهمست :حبيب..
أرى ان نقف من الطريق البعيد في اوله ، أرى ان نقف هنا
فلا نتقدم خطوة واحدة .

فهمس حبيب : لقد بدأنا المسير يا محاسن ، وليس لنا ان
نتوقف قبل ان نصل الى نهاية الطريق .

قالت وهي تحددق بالأمواج المتواثبة نحو الشاطئ، الفسيح :
حبيب .. ان الطريق مقفر بعيد طويل . تحيط به الأشواك
والحفر والأخاديد . انني اخشى ان تدمي الاشواك اقدمنا .
اخشى ان نعاثر ونكبو فنقع في وهدة عميقة الغور . فلنتوقف
هنا يا حبيب . فلنتوقف قبل ان نستفيق من حلمنا الرائع الفاتح
الجميل .

فعاد حبيب يمك بيدها المرتجفة ليقول : محاسن .. لا .
لا يا محاسن نحن لن نتوقف . سنسير . سنسير حتى نهاية الطريق .
اذا كبونا كبونا معاً ، وإذا سقطنا سقطنا معاً . وإذا ادمت
الاشواك اقدمنا ادمتها معاً . ما ينزل بك ينزل بي ، وما
يصيبك يصيبني . انني على استعداد لأربط مصيري بمصيرك .
اسمعي يا محاسن انا سأوضح لك حالي . لن اخفي عنك شيئاً
سأخبرك كل شيء ، كل شيء .

وهمست محاسن، وهي لا تنفك تحددق بالأمواج : حبيب!..
لا . لا يا حبيبي لا تخبرني شيئاً . انا اعلم من انت . اعلم انك شاب
نبيل من اسرة محافظة، لم تحددك المدنية المزيفة ولم تبهر عينيك

انوارها الساطعة المضللة .

قال : وكيف عرفت ذلك يا محاسن ؟

قالت : عرفت ذلك من حديثك ، من تصرفائك ، من عينيك يا حبيب .

قال وهو يحتضن يدها بيديه : اجل يا محاسن . انا شاب مزارع ، لست غنياً انني اقرب الى الفقر مني الى الغنى . انني اعيش مع والدتي في المنزل القروي الصغير الذي ورثته عن ابي . وأنا لم اتعرف الى الحب . لم احب حق الآن . حبك يا محاسن هو الحب الاول الذي يغزو قلب حبيب مرزوق ..
وارجو ان يكون الاخير ..

وأدمعت عينا محاسن وهي تسمع كلمات حبيب مرزوق ، الا انها استطاعت ان تحجب دمعها عنه .. وسحبت يدها من يده بلطف ودلال .. وهمست : قم .. قم بنا نقتحم البحر . تعال . تعال نلقب يجسدنا بين احضان الأمواج ..

ولم يكن له ان يرفض طلبها .. ونهض .. وسار قريبا الى البحر يلقيان يجسدنها بين احضانه ويخوضان امواجه الساجية الصافية الزرقاء .. ولم يعودا الى الشاطئ الا والشمس تتأهب للافول .. وأمسك حبيب بيد محاسن هامساً : تعالي تجلس هنا فوق الرمال ونودع الشمس قبل رحيلها يا محاسن ..

وعادت محاسن تسحب يدها بكل لطف من يند حبيب

وتهمس : لا . لا يا حبيب يجب ان اعود الى بيروت . يجب ان اعود قبل الغيب .

ولاح له الجفاء في كلماتها .. فهي تريد ان تعود الى بيروت ، تريد ان تبتعد عنه تريد ان تسرع في الابتعاد .. لماذا ؟ .. ليس يدري .. وهمس : هل اراك غداً هنا يا محاسن ؟

ولم تجب بأجل ، ولا هي اجابت بلا ، بل تمتت : ان شاء الله ..

قالت هذا وأسرعت بالابتعاد عنه .. ودخلت الى الكابين فارتدت ثيابها على عجل وأسرعت بالخروج .. وشاهدها حبيب تبتعد عن الشاطئ الى الطريق العام فلتحق بها . هو يريد ان يعلم كيف ستمود الى بيروت ، بماذا ستمود ؟ في سيارة تاكسي ؟ .. في اوتوبيس ؟ .. في سيارة صديق ؟

ووقف بعيداً يراقبها .. وشاهدها تقترب من سيارة فخمة كبيرة . سيارة بويك خاصة . حديثة الصنع .. وفتحت محاسن باب السيارة ودخلت لتجلس الى مقودها وتدير محركها وتطلق لها العنان في طريق بيروت .

ووجم حبيب مرزوق وهو يشاهد محاسن تستقل سيارتها الفخمة الانيقة .. محاسن اذن فتاة غنية ، غنية جداً .. قد تكون ابنة نائب ، او ابنة مدير ، او ابنة وزير ، او ابنة صاحب مصرف كبير .. الآن علم حبيب مرزوق لماذا ابدت محاسن له

الصد والنفور بعد ان علمت انه مزارع فقير .. لقد خسر
محاسن الى الأبد .. لا هو لها ولا هي له .

وأدمعت عينا حبيب مرزوق وهو يشاهد سيارة محاسن
نصار تبتمد عنه بسرعة فائقة في طريق بيروت .. ووهنت
قدماه ، فأخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب الرياح العاصفة
الهوجاء . وسار فوق الرمال ليدخل الى الكابين فيرتدي ثيابه ،
ويعود الى سيارته الصغيرة المتواضعة فيستقلها متسلقاً بها الربى
والوهاد الى داره ، والنصبة في قلبه والأثمة في روحه والدمعة في
عينيه .



عصف الألم الشديد في قلب حبيب مرزوق وغمر الحزن
 الرحيب روحه الحنون . تلك العاطفة العاصفة الهوجاء التي
 اجتاحت حنايا فؤاده تبعث الالم في قلبه والحزن في روحه
 والدمعة في عينيه . ما هي هذه العاطفة ؟ .. ما هو نوعها ؟ .
 ما هو معدنها ؟ ما هو شكلها ؟ .

ليس يدري ، ليس يدري ..

كل ما يعرف هو انه يتعذب هو ان ذكرى محاسن نصار
 تدمي فؤاده وتؤلم روحه وتعذب قلبه وتنخن مهجته بالجراح ..
 أهذا هو الحب الذي يتكلمون عنه ويتحدثون به ؟ . اذا
 كان هذا هو الحب فبئس الحب وبئس الهوى وبئس الغرام ،
 والويل كل الويل لهؤلاء المحبين التمساء البؤساء ..

واشتد الألم الروحي العميق بحبيب مرزوق وقد آوى ال
 سريره في المساء ، وبدا طيف الفتاة الحسناء يحوم حول وسادته ..
 وأدمعت عيناه وهو يفكر بمحاسن نصار . واستغرق في

التفكير . وراح يفكر بمصيره في هذا السبيل الوعر الحالك
السواد الذي سار فيه . اذا كان هذا هو اول الطريق فاذا
ستكون نهايته ؟ اذا كان هذا هو بدء الحب فكيف سيكون
آخره ..؟

وذعر حبيب مرزوق وهو يفكر بالنهاية ، وأغض عينيه
على دموعه . وهمس في سره : يجب ان أتوقف عن المسير في هذا
الطريق الرهيب . هذا الطريق ليس طريقي ، الحب ليس لي .
ولا هو لأمثالي . مالي وله ، فلأبتعد عنه ، انه النار المحرقة
اللاهبة المتقدة السمير . هل ألقى بنفسي في النار ..؟ لا ، لا وألف
لا .. نهاية النار رماد ، انا لا اريد ان اصبح رماداً ، لن اكون
محرقة ، سأظل غصناً ندياً رطيباً .

وعزم حبيب مرزوق على ان يبتعد عن الحب ، عزم على
اطفاء النار المتقدة في قلبه ، عزم على ان يلسى محاسن نصار .
هو لن يفكر بها ، لن يحلم بها ، لن يحلم بهواها ، لن يعود الى
البحث عنها ، واذا قدر له ان يشاهدها يوماً فهو سيشرح بوجهه
عنها ويمضي في سبيله .. واطمأن حبيب بعض الاطمئنان وقد
توصل الى اتخاذ هذا القرار الحازم العنيف . إلا ان القرار كان
بمحااجة الى تنفيذ . ترى هل يستطيع حبيب مرزوق تنفيذ
قراره ذلك ..؟ الايام القليلة المقبلة وحدها تستطيع الاجابة على
هذا السؤال .

وطال سهر حبيب مرزوق تلك الليلة ، مثله في الليلة السابقة ،

لقد مضت ليلتان على تعرفه الى محاسن نصار ، والليلتان لم يذق فيها طعم الرقاد .. وانهك النعاس الشديد أجفانه وأرهق جسده الغض النضير ، وأطل الفجر داحراً امامه جيوش الظلام وحبيب ساهراً يتقلب في سريره ويفكر .. واخيراً استطاع ان يغمض عينيه . لقد تغلب النعاس عليه فأطبق أجفانه واستغرق في نوم رحيب شاسع عميق ، إلا انه لم يستطع ان يتخلى عن ذكرياته القريبة حتى وهو مستغرق في النوم .

لم يستطع الكرى ان يطرد عن رأسه طيف محاسن نصار ، فانسابت الاحلام الى مخيلته حاملة اليه وجه محاسن عبر الاحلام المضطربة السوداء .. وشاهد محاسن في الحلم ، شاهداً تبكي ، ثم شاهداً تضحك .. وشاهد نفسه قريباً .. ثم شاهداً تحوض الامواج العاتية المزبدة الهوجاء وتكاد تشرف على الغرق ، واذا به ، في الحلم يشب اليها وينتشلها من برائن الامواج ، وأمسك بيدها وسار بها فوق الرمال إلا انه عجز عن المسير معها وقد غرزت أقدامها في تلك الرمال وأخذت يستعطفان فيها حتى كادت الرمال تبتلعها ..

واستفاق فجأة من النوم على صوت امه تناديه : « حبيب ا قم يا ابني ، قم يا حبيبي ها الساعة قد أشرقت على السابعة من الصباح ، قم يا ابني . » واستفاق ، واستوى في السرير يفرك عينيه ، وتلفت حوله فلم ير محاسن ولا هو رأى البحر ولا الرمال ، وتنفس الصعداء ، الحمد لله . لم يكن كل ذلك الا

أضغاث احلام .. وتقدمت ام حبيب من ابنها تقدم له قهوة الصباح .. وتناول فنجان القهوة وراح يرشفه على مهل وهو شارد الذهن تائه الافكار. وجلست امه قربه وراحت ترشف قهوتها وترمقه من حين الى آخر بنظرة طويلة ..

وساد الصمت أرجاء الغرفة الصغيرة . فلا حبيب فكلم ولا امه .. وأخيراً، وبعد صمت طويل التفتت الام الى ابنها لتقول: حبيب ا. أنت هذين اليومين على غير عادتك . انني لأراك دائم الأسى والحزن والتفكير ، أراك شارد الذهن تائه النظرات شديد الذهول . أنت لم تكن يا ابني لتخفي عني شيئاً ، لم تكن لتعجب عن امك اسرارك يا حبيبي . قل لي ما بك يا ابني ، هل هناك ما يضايقك يا حبيب ؟ .« والتفت حبيب مرزوق الى امه ليقول : « أبدأ أبدأ يا امي ليس ثمة ما يضايقني إلا انني ارى نفسي متعباً ، قد يكون التعب أنك قواي ، فذعرت الأم ، وممست بخوف شديد : « أتكون مريضاً يا حبيب ؟ فلنشخص الآن فوراً الى الطبيب يا بني .« وابتسم حبيب . أي طبيب يستطيع ان يكشف داءه ، والداء في الروح لا في الجسد ، وأي نطاسي يستطيع ان يصف له الدواء والداء الكامن طي روحه وفي حنايا فؤاده لا دواء له ..

ومس حبيب والابتسامة تشع على شفتيه : « لا يا امي لا . انا لست بحاجة الى طبيب . قلت لك ان التعب هد قواي وسأرتاح هذا اليوم واستعيد عافيتي وأعود الى عملي ، «

فهمت ام حبيب ، وقد اطمأن فؤادها : « استرح يا ابني ، استرح . لا كان العمل اذا كان العمل إنهاكاً لجسدك وهذا لقواك . لا تنهض من السرير ، انا سأحمل لك الطعام الى هنا . فوثب حبيب مرزوق من السرير والابتسامه تقمر شفقيه ليقول : « لا يا امي ، انا لن اظل في السرير ، سارتاح من العمل فقط وسأنصرف الى الراحة والى التنزه والاستجمام » .

وتمتت ام حبيب : « ليكن ما تريد يا ابني » . ونهضت ، ودخلت الى المطبخ لتهيء الطعام لأبنها في حين انصرف حبيب الى ارتداء ثيابه .. وانتهى من ارتداء ثيابه وخرج من الغرفة الصغيرة المتواضعة فاذا بأمه تمارضه قائلة : « تعال يا ابني تعال لتتناول طعام الصباح » . وهمس : « تعالي يا امي انسي لأتضور جوعاً ، ولم يكن حبيب صادقاً في ادعائه الجوع . لم يكن لحبيب مرزوق شهية للطعام ، إلا أنه اراد ان يسير امه وان يحاملها فجلس قريبا الى مائدة الطعام وراح يتناول معها الجبن والزيتون والزهر والاعسل والديس وهو يتظاهر امامها بالجوع الشديد .. وانتهى من تناول طعامه . ونهض ليقول : « انا لن اعمل اليوم في البستان يا امي » . قالت : « لا بأس يا ابني . اقم في المنزل ريثما تستعيد قواك » . قال : « لا . لن اقم في المنزل بل سأخرج الى التنزه وتنشق الهواء العليل » . وهم بالخروج فأمسكت امه بيده لتقول : « الى اين ستذهب الآن يا ابني ؟ »

قال : « سأشخص الى المعاملتين وسأقضي طيلة النهار على

الشاطيء الرحيب الهادىء الجميلء فدهشت ام حبيبء والتفتت الى ابنها لتقول : ء لم تكن عادتك ارتياد شاطيء المعاملتين كل يوم يا حبيب . لم تكن لتشخص الى المعاملتين الا مرة في الاسبوع وكثيراً ما ينقضي اسبوعان او ثلاثة فلا تفكر بالذهاب الى المعاملتين . ماذا بدا وما جرى الآن ؟ انك لتشخص الى المعاملتين كل يومء فمادت الالبسامة تشع على شفتي حبيبء وهمس : ء اني لأرتاح الى الاستحمام في البحر والى الجالوس فوق الرمال . هل يضايقك ذهابي الى المعاملتين ؟ هوؤولو ان امه تجيب : ء اجل . ان ذهابك الى المعاملتين يضايقني . لا اريدك ان ترتاد هذا الشاطيءء .

وحبيب مرزوق تمنى ان تمنعه امه من الذهاب الى شاطيء المعاملتين لينزل عند اوامرهاء وهو الذي لم يخالف لها امرأء إلا أن الام خيبت الامل وتمتت : ء لا يا ابني . لا ان ذهابك الى المعاملتين لا يضايقني . كل ما يهمني هو ان تكون مرتاحاً يا ابنيء .. وودع حبيب امه وسار الى سيارته يستقلها ويطير بها الشاطيء الحالم الهانىء الفسيح الارجاء .. وانسابت الأفكار في رأس حبيب مرزوق وهو يقود سيارته السوداء عبر الاحراج والغابات في طريقه الى المعاملتين .. وعاد طيف الغادة الحسناء يفرزو تفكيرهء وانغمس في التفكير البارد الصامت الكئيب .

لماذا يشخص الآن الى الشاطيء الجميل ؟ لماذا ؟ وهل يحتاج الامر الى السؤال ؟ .. هو لم يشخص الى شاطيء المعاملتين الا

ليشاهد محاسن .. ولكن ، ولكن - هل هو سيجد محاسن بين المستحبات ؟. من يدري ؟ قد يجدها هناك ، وقد لا يجدها ، فليجرب حظه .. وتذمر حبيب مرزوق ، وهو يقود السيارة الصغيرة من القرار الذي اتخذته ليلا بالابتعاد عن محاسن نصار فضحك من نفسه .. كيف سمح لنفسه باتخاذ مثل هذا القرار الجائر الظالم الشديد ؟ لماذا يبتعد عن محاسن ؟. هل اساءت اليه ؟ لا .. هل خدعته ؟ .. لا .. هل بدر منها ما يوجب اتخاذ مثل هذا القرار ؟ الجواب دائما لا . لا .

ووصل الى المعاملتين .. وأوقف سيارته الى جانب الطريق العام وقفز الى الرمال .. ولم يكن الازدحام شديداً على الشاطئ الرحيب . فالنهار ما زال في ساعاته الأولى والمستحمون والمستحبات ما زالوا في دورهم وفي منازلهم . هم لا يفشون الشاطئ الجميل الا وقد مضى الشطر الاول من النهار ..

وراح حبيب مرزوق يبحث بين المستحبات القليلات عن الفاتنة الحسنة الا انه لم يقع لها على اثر . لم تكن محاسن بينهن . اين هي اذن ؟ لماذا لم تحضر الى الشاطئ الرحيب ؟ لماذا ابتعدت عنه ؟ .

وطافت في رأس حبيب مرزوق عشرات « لماذا » دون ان يستطيع الاجابة على « لماذا » واحدة منها ..

ودخل حبيب الكابين فنزع عنه ثيابه وارقدى ثوب البحر ،

وعاد الى الشاطيء ليرتمي فوق الرمال وينصرف الى التفكير ..
وشعر بشوق بعيد الى محاسن ، وازداد الشوق اتقاداً في قلبه
وقد اكتشف غياب محاسن عن ذلك البحر الفسيح .. وراح
يعلل النفس بالاماني العذاب : محاسن ستحضر ، من المؤكد
انها ستحضر ، فالوقت لم يفت بعد . ان هي لم تحضر قبل الظهر
فستحضر بعد الظهر ..

ورمق الساعة المشدودة الى معصمه فاذا بها تشير الى العاشرة
من الصباح .. وابتسم . الحمد لله . فالوقت ما زال فسيحاً
امامه . قد تحضر محاسن في الساعة الحادية عشرة ، او في
الساعة الثانية عشرة .. ان هي حضرت في الساعة الثانية
عشرة فهو سيدعوها الى تناول الغداء . سيتناول الغداء وإياها
ويتحدثان ما طاب' لها الحديث . سيتحدثان ويشرحان كل ما
في قلبيهما من حب وهوى وشوق وغرام هو سيبوح لها بهواه ،
سيفشي امامها اسرار قلبه وخفايا روحه . سيطلمها على كل
شيء ويبوح لها بكل شيء .

ولها ان تحم وأن تعدل في حكها ..

واستغرق حبيب مرزوق في بناء قصور الاماني والاحلام ..
وعاد يرمق الساعة بنظرة سريعة فاذا بها تشير الى الثانية
عشرة .. الساعة بلغت الثانية عشرة ومحاسن لم يبن لها اثر .
لماذا ؟ .. ليس يدري لماذا .. وتضاءلت امانيه وأحلامه . الا
انه ابى ان يتخلى عن التفاؤل . محاسن ستحضر . من المؤكد
انها ستحضر . ستتناول طعام الغداء مع والديها ثم تشخص

الى المعاملتين . محاسن ستكون اذن على الشاطيء في الساعة
الواحدة او في الساعة الثانية بعد الظهر . عليه ان ينتظر ،
ساعة او ساعتين على أبعد تعديل ..

وانتظر حبيب ..انتظر ساعة وانتظر ساعتين ومحاسن لم
تطل .. وتمنى حبيب مرزوق ان تبطيء الدقائق في المسير الا
ان الدقائق خيبت الامل فاندفعت على سرعة وعجل فبلغت
الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم بلغت الثانية والنصف ، ثم وثبتت
الى الثالثة ، وتخطتها الى الرابعة ، ثم اشرفت على الخامسة
ومحاسن لم يبن لها اثر .. وتلاشت الاحلام والآمال من فؤاد
حبيب مرزوق. وانهارت القصور الشاذخة السماء التي بناها .
وأدمعت عيناه . محاسن لن تحضر اليوم ، وقد لا تحضر
غداً ، ومن يدري . قد لا يراها مرة ثالثة طيلة العمر ..

وراح حبيب يجوب الشاطيء الفسيح الارجاء وهو غارق
في تفكيره البارد العميق .. وأشرفت الشمس على المغيب
فوقف حبيب مرزوق يودعها والدموع تموج في عينيه . وتذكر ،
وهو يشاهد الشمس في انحدارها الى اليم ، وقفته عند المغيب
مع محاسن فبكى ، وهمس في سره وهو يتحدث بالشمس
الآفة : ايتها الشمس المنيرة . الواضحة الجبين !.. اين هي
حبيبتى محاسن ؟

وأدار ظهره ، وسار الى سيارته الصغيرة السوداء ليستقلها
ويعود بها الى القرية الهادئة الجمائة تحت ظلال الاغصان الخضراء
وهو في حال نفسية مؤلمة دامية .

حبيب مرزوق يقيم على ألم وأسى وشوق وعذاب . لقد
 عرف قلبه الحب والغرام أخيراً. فإذا بالحب نار محرقة ، وإذا
 بالغرام سعير متقد اللهب . وتعذب حبيب مرزوق في حبه
 وتألم . وساءت صحته كما ساءت أخلاقه . فكان يفضب الكلمة
 قفوه بها امه ويثور لعمل تافه يقوم به فلاح .. وكان دائم
 الحزن والشجن ، يسير وهو شارد الذهن ، ويجلس وهو تائه
 الفكر ، وينام .. ينام ؟ .. لا ، بل هو يستلقي في سريره
 ليفكر دون ان تعرف عيناه لذة النوم ..

وخافت ام حبيب على ابنها ، وخشيت ان يكون قد
 اصيب بنكبة او ان يكون قد نزل به مصاب ألم فوثبت اليه
 لتقول : « حبيب ! .. ما بك يا ابني ؟ ماذا اصابك ؟ ماذا
 هناك يا حبيب ؟ » فتمتم حبيب مرزوق بتأفف وملل :
 « لا شيء .. لا شيء » قالت : « اراك يا ابني واهي القوي
 اصفر الوجه مكفهر الجبين ، اتكون مريضاً يا ابني ؟ » وهمس
 بايجاز : « لا » قالت والخوف يعصف بها : « هل هناك

كارثة ألت بك يا بني ؟ ، وتمتم : « لا .. لا انا بألف خير ،
 قالت : « يا ابني يا حبيب . انا امك ويجب ان اقف على كل
 ما يشغل بالك . ان أملك يؤلم روحي وعذابك يعذب قلبي .
 قل لي ما بك يا حبيب . لقد تغيرت كثيراً يا ابني . لم تعد
 ذلك الشاب الوديع الهاديء السعيد ، كل ما فيك يشير الى
 ان التعاسة تحيط بك . كل ما هنالك يثبت انك لست سعيداً ،
 ويثبت لي ان هناك سرأ في قلبك يعذبك ويشقيك . قل لي ما هو
 هذا السر يا ابني ؟ »

وقال حبيب مرزوق شديد الألم لتلك العاطفة النبيلة التي
 تموج في صدر امه الحنون . وودّ لو انه يستطيع ان يبوح لها
 بسره ليريح قلبها . وودّ لو انه يستطيع ان يريح قلب تلك
 الأم ، ولكن هل يستطيع ان يبوح بذلك السر ؟ .. لا .
 لا وألف لا . سره سظل دفيناً في صدره . هو سينزل معه
 الى الضريح ..

وأمسك حبيب مرزوق بيد امه ليقول : « اطمئي يا
 امي .. اطمئي . انني بألف خير ، .. وهبست الام والدموع
 تترقرق في عينيها . انني لأتمنى ان تكون بألف خير ، الا
 انني ارى الخير بعيداً عنك بعد الارض عن السماء .

ولم يثبت حبيب بحرف . بل هو سار خارجاً من الدار ،
 والألم يعصف به والحزن العميق يعصر قلبه عصراً .. ووثب الى
 سيارته يستقلها ويطير بها الى الشاطئ الجميل ، الى المعاملتين .

هناك على الشاطئ، الحالم الجميل الفسيح يستطيع أن يستعيد ذكرياته المؤلمة الحائلة ، هناك في المعاملتين يستطيع ان يناجي الامواج المزيدة ويحملها سلامه الى محاسن ، يستطيع ان يداعب حبات الرمل الصغيرة الصفراء التي وطأتها قدما محاسن .. لقد مضى شهر على لقائه بمحاسن . شهر كامل لم يشاهد خلاله محاسن ولم يسمع صوتها ولم يأنس بها .

ووصل الى الشاطئ ، فاذا بذلك الشاطئ ، حزين الخنايا ، اسود الرمال ، مدلهم الأمواج .. كل ما في نظر حبيب مرزوق أصبح حزينا .. عيناه لا تقعان على سوى الظلام والحزن والأسى والدموع . وكان الشاطئ الفسيح الأرجاء يزدحم بالساجين وبالساجات ، إلا أنه لاح لحبيب مرزوق مقفراً . فما هناك سوى قفر وملل وفراغ .

وسار فوق الرمال على ألم وشوق وحنين . ووقف امام الأمواج يناجيهما والدمعة في عينيه والحسرة في قلبه . وهمس :
« محاسن اين انت ؟ » . واذا بهمس يتكسر في اذنه :
« حبيب حبيب » .

ووجهم .. هذا الصوت هو صوت محاسن . أتكون محاسن قربه ؟ أتكون هنا على الشاطئ الرحيب الفسيح الأرجاء ؟ وخيل اليه ان الهمس مقبل نحوه مع الامواج . خيل اليه ان الامواج تحمل اليه همسات محاسن من وراء البحار ، الا انه ازداد دهشة وهو يشاهد محاسن امامه والابتسامة تشع على

شفتيها.. واشتد به الوجوم وأخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب
الرياح العاصفة الهوجاء .. وعادت محاسن آلى الاقتراب منه..
ومست وقد اصبحت قربه : « حبيب ! كيف حالك ؟ » .
وحاول ان يجيب ، حاول ان يرد عليها ، حاول ان يهمس :
« الحمد لله . انا بخير ، إلا انه لم يستطع ان ينطق بحرف .
ولم يستطع ان يفوه بكلمة .. المفاجئة أذهلته .

الفرحة عقدت لسانه ..

وأمسكت محاسن بيده.ومست: « تعال يا حبيب . تعال
نجلس هناك . هناك فوق الرمال ، تحت المظلة الخضراء » .

ودون أن يجيب بحرف سار قريبا . سار كما يسير الطفل
قرب أمه . كما يسير الحمل قرب الراعي .

ووصلا الى المظلة الخضراء، وجلست محاسن. لقد تمددت
فوق الرمال وتمدد حبيب قريبا . وصمت الاثنان . هو وهي ،
فلم ينبس احدهما بحرف ..

وكانت الامواج ترسل حفيفاً لطيفاً يبعث الشوق والحنين
في القلوب والارواح .. وطال صمتها . وراح كل منهما ينظر
الى الآخر نظرات تم عما في القلبين من شوق وهوى وحب
وحنان . كانت نظراتها تنطق بما في قلبها .

وراح حبيب مرزوق يجمع شتات جرأته وشمل شجاعته
محاولاً التغلب على رعشته واضطرابه ، محاولاً النطق ، محاولاً

الكلام . واستطاع بعد جهد ان يتكلم ، فالتفت الى محاسن ليقول : « محاسن ! لماذا ابتعدت عني ؟ لماذا انقطعت عن ارتياد هذا الشاطئء الجمال الجميل ؟ لماذا حرمتني من مرأى وجهك الصبيح ، ومن الاستماع الى صوتك العذب الشجي ؟ لماذا يا محاسن ؟ لماذا ؟ » .

وأصكت محاسن نصار بيده هامة : « لا تساني شيئاً يا حبيب . ها أنا الآن عدت اليك ، لقد اجتمعنا ثانية يا حبيب » .

قال : « ولكن اريد ان اعلم لماذا انقطعت عن ارتياد هذا الشاطئء . لماذا ابتعدت عني ؟ لماذا حرمتني لذة النوم والراحة والهناء ؟ » ولم تجب محاسن على اسئلته ، بل هي التفتت اليه لتقول : « حبيب هل اشتقت اليّ ؟ هل كنت تذكرني ؟ هل عذبك بعادي وقصّ مضجعمك فراقى ؟ » وشدت اصابعه اصابعها . وهمس ، وهو ينظر الى البحر الهادىء الساجي الفسيح :

« محاسن ! لا تسألني كم تعذب حبيب وكم تألم لفراقك . لا تسألين شيئاً يا محاسن . يكفي ان تعلمي انني لم اذق الراحة منذ شهر ، يكفي ان تعلمي انني ، منذ شهر ، احضر كل يوم الى هنا واسأل الامواج والرمال والنسيم العليل عنك . ألا تصدقيني يا محاسن ؟ اذا كنت لا تصدقين فسلي الامواج والرمال ، سلي مياه البحر وزبده ، سلي هذا الفضاء الواسع

الرحيب ، سلبها كلها ثقل لك : « مسكين حبيب كم تعذب
وكم تألم لبعادك يا محاسن » . وانتشت محاسن بكلامه العذب
الشجي ، ان حبيباً يحسن صوغ كلمات الغزل والغرام ويجيد
سكبها في الاذان .. وتشابكت الاصابع ، اصابع محاسن
واصابع حبيب . وهمست محاسن :

« حبيب الـ لا . انا لست بحاجة الى السؤال . لست بحاجة
الى اثبات وبرهان . انا اعلم انك تمذبت لفراتي وانك تألمت
لابتعادي عنك .. اعلم ذلك لأنني انا ايضاً تمذبت لفراتك
وتألمت لابتعادي عنك . لقد قضيت هذه الليالي الثلاثين التي
عشتها بعيدة عنك ، قضيتها ساهرة ساهرة افكر بك
واناجيك واحن اليك يا .. » وكادت تقول له : « يا حبيبي ،
الا ان الخجل استبد بها وعقد لسانها .. وهمس حبيب :
« قولي . قولي يا محاسن . قولي تلك الكلمة التي كنت تريد
ان تنطقني بها . قولي . قولي كل ما تريد يا .. يا حبيبي »
وشجعتها كلمة « حبيبي » .

فنظرت الى عينيه نظرة طويلة . وهمست : « يا حبيبي ..
وردت الامواج صدى الكلمتين العذبتين : « يا حبيبي ..
يا حبيبي » وعاد الصمت يلفها يجناحيه .. وألقت محاسن
برأسها الجميل على صدر حبيب . وراح نسيم البحر العليل يبعثر
خصلات شعرها الاسود الجميل فتتناثر على وجه حبيب وعلى
عنقه .. وغمر السكون انحاء الشاطئ . وساد الهدوء الرمال .

وكانت الامواج تندفع نحو الشاطئ الفسيح لتتكسر عند
اقدام العاشقين الحبيبين .. وشعرت محاسن بالسعادة تغمر
كبانها وهي جالسة قرب حبيب مرزوق .

وكان السابحون قد بدأوا يغادرون الشاطئ والشمس قد
أشرفت على الأفول ، وكان الشبان منهم يرون بها فيحسدون
حبيباً على جلسته قرب تلك الفجاة الحسناء ، وتمر الصبايا
فيحسدن محاسن على جلستها قرب ذلك الشاب القوي الجميل
الوسيم .. ووقفت الشمس على شرفة الافق البعيد متأهبة
للانحدار الى اللجة العميقة الغور .. والتفت حبيب الى محاسن
ليقول : « محاسن ، هل تذكرين وقتنا هنا امام هذا المنظر
الجميل منذ شهر ؟ هل تذكرين يا محاسن ؟ » .

وارتسمت على شفتي محاسن ابتسامة زاهية زاهرة بيضاء
ومهمت : « وهل استطيع ان انسى .. كل كلمة تلفظت بها
شفتاك يا حبيب في تلك الوقفة الحاملة ما زالت تتردد في
خاطري .. كنت ، وأنا بعيدة عنك أردد في خاطري كلماتك
العذبة الشجية يا حبيبي لا تسل كم تعذبت وكم تألمت وكم شقيت
لبعادك يا حبيب . » قال حبيب ، ويده لا تزال بمسكة بيدها
وأصابعه لا تزال تشد أصابعها : « ما دام البعاد عني قد
عذبك وأشجاك فلماذا لم تهودي الي .. او بالاحرى لماذا
ابتعدت عني يا محاسن ؟ . »

وصمتت محاسن برهة . وراحت تحديق بالامواج الساجية

والدموع تترقرق في عينيها ، وهمست ، بعد صمت قصير :
« حبيب هل تحبني يا حبيب ؟ .. » وغم حبيب فوراً : « لا
تسليني مثل هذا السؤال يا محاسن ، بل سلي قلبك ، قلبك
ينبئك بالخبر اليقين » قالت : « لا ، أريد ان اسمع منك انت
الجواب . أريد ان تنطق شفتاك بما يختلج في قلبك الخنون
من عاطفة وحب وهوى وحنين . قل لي يا حبيب قل .. هل
تحبني ؟ »

فنظر حبيب الى البحر الواسع الشاسع الاطراف. وهمس :
« محاسن !.. هل تشاهدين هذا البحر البعيد المدى الواسع
الحنايا العميق القرار ؟ .. ان حي اياك أبعد من البحر وأوسع
من اطرافه وأعمق من لجته العميقة الغور . هل تشاهدين يا
محاسن هذا الفضاء الرحيب ؟ ان حي لك لأرحب منه
وأبعد . حي اياك يا محاسن يفوق البحر عمقا واتساعاً ،
والفضاء رحابة وانطلاقاً . ان الايام الثلاثين التي قضيتها بعيداً
عك أثبتت لي اني لن استطيع الابتعاد عنك مدى العمر ..

والآن . الآن قولي لماذا ابتعدت عني طيلة هذا الشهر يا
حبيبي ؟ . فهمت محاسن : « حبيب ماذا فعلت بقلبي ؟ ..
لقد شاهدت شبانا كثيرين ، فلم آبه لهم . وحاول الكثيرون
ان يظفروا بقلبي ، إلا ان الفشل الذريع كان نصيبهم . اما
انت فقد استوليت على قلبي فجأة يا حبيب . كان قلب محاسن
محصناً ، فاقتحمت الحصون واحتلته على الرحب والسعة .

لقد ابتعدت لأهرب منك ، لأنجو من حبك لابتعد عن الحب ،
الحب الذي أخافه وأرتعب منه ، حاولت الهرب فمجزت ..
هربت ، هربت يا حبيب ، ليس من بيروت فحسب بل من
لبنان بأسره . لقد سافرت الى الجمهورية العراقية ، حيث
أقمت شهراً هناك وقد حاولت خلال هذا الشهر ان أبعد
ذكراك عن رأسي ، حاولت ان أبعد طيفك عن وسادتي الا
انني عجزت . كنتَ وما زلتَ انت نفسي انا ، وهل يستطيع
الانسان ان يهرب من نفسه ؟ انت ظل قلبي يا حبيب وهل
يستطيع القلب ان يهرب من ظله ؟

قال حبيب مرزوق : « متى سافرت الى الجمهورية العراقية
يا محاسن » ؟ قالت : « اذكر ذلك المساء الذي وقفت واياك
فيه نودع الشمس على هذا الشاطئ ، اذكر ما قلت لي وما
قلت انا لك .. اذكر كيف هربت منك واسرعت
بالذهاب » ؟ قال : « اجل اذكر . اذكر كل شيء يا محاسن »
قالت : « لقد اسرعت بالهرب منك وسرت بسيارتي الخاصة
الى بيروت ، وانا اتلفت ورائي . لقد خيل الي انك تلحق
بي . والحقيقة ، هي انني كنت اتمنى ان تلحق بي . اهرب
منك واريدك ان تتبعني . هل رأيت فتاة مجنونة مثلي ..؟
ووصلت الى دارنا في بيروت . واسرعت بالدخول الى غرفتي
لاجدك هناك . هناك في تلك الغرفة الانيقة كنت جالسة
فوق سريري .

اجل يا حبيب ، اجل يا حبيبي لقد شاهدت طيفك جانبا
فوق الوسادة البيضاء .. واغضت عيني كي لا اراك ، الا اذني
رايتك في اغماضة عيني .. وكنتم اسمع صوتك ، كانت تلك
الكلمات القليلة التي تحدثت بها الي هنا على هذا الشاطئ ،
كانت تلك الكلمات لا تزال ترن في اذني .. وذعرت ،
وسددت اذني لئلا اسمع صوتك الا اذني سمعت ذلك الصوت
يتجاوب ويتردد في اعماق روحي .. وحاولت النوم ،
حاولت الرقاد لأبعد صوتك عن عيني وصوتك عن اذني الا
انني عجزت . فأنا لم استطع الى النوم سبيلا . كنت مستلقية
في سريري افكر بك ، بصوتك . بنظراتك ، بحديثك ،
بكلماتك ، بعليك . وعندما غزا الكرى مقلتي ، مع مطلع
الفجر البعيد شاهدتك قربي في الحلم .

حتى في النوم لم استطع ان اتخلص منك .. وفي الصباح ،
عندما استفتقت ادركت ان الحب بدأ ينسج خيوطه الدقيقة
حول قلبي . وخفت ، وذعرت . فأنا لا اريد ان افسح الى
الحب طريقا الى قلبي . لا . لا . لا انا لن احب ، لن احب ..
وعزمت على الهرب من لبنان لأهرب منك . واسرعت الى
انجاز معاملة السفر ، واستقلت الطائرة الى بغداد .. لأجدك
قد سبقتني اليها . لقد رايتك هناك رايت طيفك قربي ، يسير
حيث اسير ، ويقف حيث اقف ، ويجلس حيث اجلس ..
وسمعت صوتك يتجاوب في اذني مع حفيف اغصان

النخيل الدائمة الاخضرار .. الى ابن هربت منك وانت قادر
 على اللحاق بي الى كل مكان ؟ .. وأبيت ان تراجع ، ابيت
 ان اندحر ، ابيت ان القي سلاحي . وعزمت على المضي في
 المقاومة .. وقاومت . قاومت طيلة شهر كنت خلاله اراك
 امامي كل يوم ، وكل ليلة ، وكنت اسمع صوتك واشاهد
 طيفك جاثماً على قلبي .. وكان لا بد من الاندحار ، كان لا
 بد من إلقاء السلاح فألقيت سلاحي ، وعدت الى لبنان ،
 عدت لاطير فوراً الى هنا ، الى هذا الشاطئ ، الحالم الباسم
 الجميل ، وانا اخشى الا اراك .. الا ان الله ابي انت يحرمني
 منك . ابي ان يفجعني بقلبي فوجدتك لا تزال هنا ، حيث
 تركتك منذ شهر تقسيم مني على انتظار بعيد رحيب ، ..

وهمس حبيب مرزوق :

« وحالي معك لم تكن بالفضلى يا محاسن . ما حل بك
 حل بي ، وما اصابك اصابني . لقد تعذبت كثيراً لبعادك يا
 حبيبتي . وحاولت ، كما حاولت انت الهرب ، حاولت ان
 انساك ، حاولت ان اهرب من حبك ، الا انني عجزت . كنت
 حيث اتجهت اجدك امامي . واي صوت سمعت اخاله صوتك .
 كنت اشاهدك في المساء والهواء والنور ، وكنت اسمع صوتك
 في حفيف الاغصان وفي اناشيد الجداول وفي تراتيل الطيور .
 وفي الليل ، آه من الليل يا محاسن ، وفي الليل ، اسهر معك ،
 مع طيفك الجميل ، اسهر الليل بكامله ، واذا ما قدر لي ان

انام دقائق قليلة انسابت الاحلام الى رأسي حاملة الى عيني
صورتك والى اذني صوتك العذب الشجي .. وكنت اشخص
كل يوم الى هنا ، الى هذا الشاطئ العذب الشاسع الجميل ،
اسأل الامواج والرمال والهواء والفضاء عنك فلالقى من
حبيب ، وبكيت . اجل لقد بكيت يا محاسن وانا افكر بك .
كنت اخشى ان افقدك الى الابد . كنت اخشى ان تضيعي
مني وانا لا اعرف اين اجدك ، ولا اين سأبحث عنك .

ومست محاسن : « يبدو ان الحب الذي غمر قلبك هو
نفسه قد غمر قلبي انه قوة هائلة رهيبية يا حبيب ، قوة عاصفة
عصفت بقلبيننا معاً فحطمتها ونثرت اشلاءها في الفضاء .
يا لهذه القوة الهائلة الرهيبية الخفيفة التي يسمونها حباً يا حبيب
يا لها من قوة هائلة تلعب بقلوب البشر كما يلعب الاطفال بالدمى
وتحطمها كما يحطم الاطفال الدمى . من كان يقول ان محاسن
التي حطمت قلوب الكثيرين ، ستلتقي بشاب وسم على شاطئ
المعاملتين ليحطم قلبها ويذل كبرياءها ويتلاعب بعواطفها
وبشعورها ؟ » .

وابتسم حبيب وهمس : « وأنا من كان يقول ان حبيباً
مرزوق الذي كان يهرب من الحب ويضحك على الهجين .
يصبح عاشقاً ولهاناً يسهر الليالي البعيدة يفكر بحبيبتة ويبكي
كالاطفال ؟ » وابتسم محاسن ايضاً . وهمست : « للاقدار
احكام لا نسبر غورها ، ولا ندرک كنهها يا حبيب . فاطلب

معي من الله ان يرفق بقلبيننا وأن يحميها من احكام الاقدار
ومن ظلمها ومن جورها .

وهمس حبيب : فليحقق الله احلامنا الوارفة وأمانينا
العذاب يا محاسن .. والآن ، قولي لي هل سافرت الى بغداد
وحدك ؟

وتمت : « اجل وحدي يا حبيب » .

فدهش حبيب مرزوق وتمم :

« كيف سمح لك والدك بالسفر وحدك الى بغداد ؟ » ..

وأدمعت عينا محاسن وصمت ..

وخشي حبيب ان يكون قد اساء الى شعورها .. واحترار
بماذا يتكلم وكيف يعتذر منها . وصمت . هو لم يجد كلمة
اعتذار يتلفظ بها ..

وساد الصمت بينها برهة قصيرة .. وعادت محاسن الى
الكلام بعد صمت قصير لتقول : « انا بلا اب وبلا ام وبلا
اخوان يا حبيب » فوجم حبيب . ماذا تقول محاسن ؟ ..

وتابعت الفتاة الحسنة كلامها لتقول : « سأروي لك
قصتي من اولها يا حبيب ايا لن اخفي عنك شيئاً . سأروي
لك كل شيء . كل شيء . قد يتغير ويبدل رأيك بحبيبتك
محاسن بعد ان تقف على قصتها . قد تستطيع ان تحمد نار
الحب المندلعة في قلبك بعد ان تعلم كل شيء عني » ..

فأمسك بيدها يشدها ويرفعها الى شفتيه ليلثمها وهمس :
« محاسن عندما احببتك لم اعلم من انت ولا من هو والدك ولا
ماذا يعمل ولا من هي اميرتك . عندما احببتك احببتك
لأنك انت ، انت .. لأنك محاسن لا اكثر ولا اقل وسأظل
احبك يا حبيبي حتى الموت . حتى الموت ؟ .. لا ، حتى بعد
الموت . لأن روحي تحبك لا جسدي ، والروح خالدة كما
تعلمين اما الجسد فهو فان ، ومصيره الى التراب . وبعد ان
يموت الجسد ويفنى ويصبح رماداً تظل الروح راتمة بالخلود
وتظل اشواقها وحنانها وحنينها خالدة مثلها . لقد احببتك
روحي هنا على هذه الأرض ، وستظل تحبك هناك في السماء . »

وأدمعت عيننا محاسن وهي تسمع كلام حبيب النابض
بالماطفة الصادقة وبالهوى المقدس النبيل .. ورفعت يده الى
شفتيها لتمرغ الشفتين النديتين براحته. وممست : « أنا يتيمة
الأبوين يا حبيب . لقد ماتت امي وأنا في الثالثة من عمري .
ولحق والدي بها بعد سنتين تاركاً لي ثروة طائلة . كان والدي
غنياً غنياً جداً ، لقد كان من كبار التجار في لبنان ولذلك
فهو قد ترك لي ثروة كبرى . وقعدني خالي بعد موت والدي .
ونشأت في دار خالي مع ابنته انعام وكان خالي وزوجته
يعطفان علي كما يعطفان على ابنتها الوحيدة انعام .

وعندما بلغت الثانية عشرة من عمري فقدت خالي . فقد
توفاه الله اثر نوبة قلبية عنيفة ، وأقمت مع أرملة خالي وابنتها

انعام في الدار ، وكان موت خالي صدمة عنيفة لي لأنه كان
عندي بمثابة أبي .. ومضت الايام يا حبيب وانا أعيش مع
أرملة خالي ومع ابنتها انعام في مجبوحة من العيش . فأنا غنية
جداً . الاموال التي ورثتها عن والدي ثروة كبرى و ايرادها
يكفي لإعالة مئة فتاة مثلي .. ثم ان خالي ايضاً كان غنياً
وقد ترك لزوجته ولابنته انعام ثروة كبيرة .. وخيل الي ان
الايام ستكف عن ازال الكوارث بي .. وركنت اليها ،
وقنعت بالعيش السعيد قرب امرأة خالي وقرب انعام ، وكانت
امرأة خالي تعاملني معاملة الأم لابنتها ، اما انعام فكانت
تحبني كما تحب الاخوت اختها وكنت انا ابادلها نفس العاطفة
والشعور .. إلا ان الايام لم تكن لتصفو يوماً للانسان ، والزمن
ما كان ليكف عن نشر الكوارث والمصائب على بني البشر ..
واذا بي استفيق فجأة ، منذ خمس سنوات ، على كارثة جديدة
فقد توفيت امرأة خالي ، توفيت كما توفي زوجها ، أصيبت
بنوبة قلبية كانت القاضية عليها .. وفقدت بامرأة خالي الحنون
عطف الام وحنانها . وبكيتها كما بكتها انعام ، بدموع
قانية الاحمرار ..

وما انا الآن أعيش مع ابنة خالي انعام في دارنا في بيروت
عيشاً هادئاً هانئاً سعيداً . انا وانعام غنيتان يا حبيب ، إلا
ان كل ما نملك من اموال وبنائيات وذهب ، كلها لا توازي
فرة صغيرة من حنان الوالدين . نحن يتيمتان ليس لنا في هذه

الحياة احد . لا أم ولا أب ولا أخ فكأن الله الذي جاد علينا
بالأموال الطائلة أبى ان يحود علينا بمحان الوالدين ، ..

وبكت محاسن نصار وهي تروي لحبيبتها مأساتها المؤلمة
الدامية .. وتأثر حبيب للأساة ورتا لحال محاسن . وهمس ،
وهو يداعب شعرها الحالك السواد المتناثر على وجهه :

« محاسن ، ان الله عز وجل لا يتخلى عن عبيده . فهو
عندما يضرب بيد ، يواسي ويساعد باليد الثانية . لقد حرملك
الله حنان الوالدين إلا انه عوض عليك بالمال الذي نشره بين
يديك بدون حساب ، فهمست محاسن : « وهل يخيل اليك
ان المال كل شيء في الحياة ؟ » . وتمتم حبيب : « هناك شيء
واحد في الحياة اغلى وأثمن من المال يا محاسن ، وتمتمت محاسن :
« ما هو هذا الشيء يا حبيب ؟ » قال : « الشرف .. ان
الشرف أثمن شيء في الحياة يا محاسن . والغني الغني على هذه
الارض هو الانسان الشريف » .

فوجت محاسن . لماذا يتحدث حبيب عن الشرف ؟
وصمت .. لم تنبس بحرف . لم تفه بكلمة .. وعاد حبيب الى
الكلام ليقول : « قولي لي الآن ، لماذا ذهبت الى بغداد ؟ ..
وإن حلت من عاصمة الرشيد ؟ »

فأدركت محاسن ان الغيرة بدأت تعصف بقلب حبيب ،
وهي تلمس الغيرة في عيني حبيبها ، وما الغيرة سوى دخان

الحب العاصف الشديد .. ومهست : « اطمنن . انا حلت في دار احدى نسيباتي هناك . ان نسيبتى هذه لبنانية متزوجة من رجل عراقي نبيل . وهي تحضر كل عام مرة او مرتين مع زوجها الى لبنان وتحل في دارنا . لقد اُقمت في دارها طيلة هذا الشهر يا حبيبي » .. فاطمان قلب حبيب مرزوق . الحمد لله . ليس ثمة أي شاب في قلب محاسن . وهي لم تشخص الى بغداد لتقابل شاباً اولئذني حبيباً . هي لم تسافر الى بغداد إلا لتزور نسيبتها الكريمة ..

وعاد الصمت يرخي سدله الباردة على الحبيين المتيمين . ولم يطل الصمت بينهما فقد التفتت محاسن الى حبيب لتقول بعد صمت قصير : « والآن ، وقد وقفت على قصتي هل غيرت رأيك بحبيبتك محاسن ؟ » فابتسم حبيب مرزوق . ومهس : « اجل . لقد غيرت رأبي » فوجت محاسن . أيكون حبيب جاداً في ما يقول ... ومهست : « هل استطعت ان تتخلص من حبها ؟ » فانسعت الابتسامة على شفتي حبيب . ومهس : « لقد غيرت رأبي بها على طريقتي الخاصة . كنت احبها كحبيبة فقط فاصبحت احبها كحبيبة وكزوجة المستقبل » .

وارتمشت محاسن نصار . واضطريت وهي تسمع كلمات حبيب .. وانغمضت عينها على الحلم الذهبي الجميل لتشاهد نفسها بعين الخيال . وهي ترقد في ثوب العرس الناصع البياض ويدها بيد عريسها حبيب والاهل والاصدقاه حولها ينثرون

عليها الازهار والطور والرياحين .

وبكت محاسن .. وبدأت الدموع الغزيرة تنهمر من عينيها
المغمضتين على وجنتيها .. واستقرت دمة محومة من دموعها
فوق يد حبيب فذعر .. وطوقها بذراعيه هامساً: ومحاسن ! .
ما بك ؟ لماذا تبكين يا حبيبي ؟ لماذا تذرفين هذه الدموع
الثخينة يا حياة حبيب ؟ ، ومست وهي تسمع دموعها بكفها :
« انها دموع الفرح يا حبيبي ، دموع السعادة . انا سعيدة
بجيك يا حبيب سعيدة بهواك ، سعيدة بقربك ، إلا انني
اخشى ان تقف الايام بيننا ، اخشى ان تفرقنا الاقدار ،
فتلقي بك في وهدة ، وتلقي بي في وهدة اخرى » . فهمس :
« اطمئي . نحن لن نفرق . لن نفرق ابداً يا حبيبي .
سنعيش معاً مدى الحياة . مدى الحياة يا حياتي » .. وتمتمت
« هل تتخلي يوماً عني يا حبيب ؟ » فابتسم حبيب مرزوق
وتمتم : « انا اخشى ان تتخلي يوماً انت عني . انا فقير يا
محاسن . انا مزارع صغير . لقد قلت لك سابقاً ، واعيد
القول على مسمعك الآن . انني لا قرب الى الفقر مني الى الغنى .
اما انت فانك غنية واخشى ان يفرق المال بيني وبينك » .

فطوقته بذراعيها . ومست : « يا مجنون . أيخيل اليك ان
المال اغلى منك عندي . كل ما في العالم من ذهب ومال لا
يساوي عندي نظرة من عينيك .. ولكن قل لي يا حبيب
هل ستظل مقيماً على حبي مهما يحصل ومهما تتمخض به الايام

من المفاجئات والحوادث يا حبيبي ؟ « فغضها الى صدره برفق
وحنان. وممس : « محاسن ا.. ثقي يا حبيبي اني سأعيش
بجذبك العمر كله .. لن تستطيع قوة ان تبعثني عنك على هذه
الارض وحياتك يا محاسن، وحياة جنبنا الطاهر المقدس النبيل
يا حبيبي . انا لن ابتعد عنك ولن اخون عهدك ولن احاول
التخلص من حبك مدى العمر، وانت ؟ .. انت هل ستبتعدين
عني يا حبيبي ؟ ». وارتقت على صدره هامة : « انني اقس
لك يا حبيبي ، اقس لك بالله العلي العظيم ، اقس لك بجنبنا ،
اقس لك بعينيك اني سأظل وفيه لجنبك امينة لهواك مدى
الحياة » ..

وكانت اجنحة الظلام قد بدأت تلف الشاطئ الفسيح
الارعاء لتغمره وتغمر امواجه بسوادها الحالك فنهضت
محاسن ونهض حبيب .. وسارا فوق الرمال ومما على فرحة
هانئة سمحاء .. ورافقها حبيب الى السيارة . وممس وهو
يودعها « الى اللقاء غداً يا حبيبي ». وممس وهي تستقبل
سيارة البويك الفضة : « سأكون هنا الساعة الثالثة بعد
الظهر » .. وممس : « سأكون بانتظارك يا حياة حبيب » .
وادارت محاسن محرك السيارة وأطلقت لها العنان ..
ووقف حبيب يشيع السيارة السوداء .. وعندما توارت عن
عينيه اسفل سيارته الصغيرة وضار بها الى القرية الصغيرة
الخضراء والامال الباسمة تغمر فؤاده والاحلام الهانئة تشيع
في قلبه السعادة والهناء .

قلب يحترق

محاسن نصار تقيم على قلق وألم واضطراب . هذا الحب الجديد الذي غمر قلبها يعذبها ويبيث الدموع الى عينيهما والشوق والحنين الى قلبها الهائم الولوج . هي لم تتعرف قط الى الحب الحقيقي . لم تعرف ما هي قيمة الهوى قبل اليوم ، بالرغم من ان هناك عشرات الشبان قد مروا في حياتها ، وفي كل مرة كان يخيل اليها أن الحب الحقيقي بدأ يغزو قلبها ثم لا تلبث ان تكتشف ان ذلك الحب كان مزيفاً وان الحبيب الذي تكاد تهبه قلبها هو انسان عادي لا تشعر نحوه بأي عطف ولا بأي شوق ولا بأي حنين .. ولكن الحال تختلف مع حبيب مرزوق . فقد استطاع حبيب أن يغزو قلبها وأن يسطو عليه ويحتفظ به دون ان يطلب منها ذلك القلب ودون ان يترك لها مجال التفكير في اتخاذ اي قرار ..

وأدركت محاسن ، ان ذلك الحب الذي غمر قلبها وأذاب فؤادها وشغل تفكيرها هو الحب الحقيقي الذي يتحدث عنه

الكتاب والأدباء في قصصهم ورواياتهم ، والذي يصفه الشعراء
في قصائدهم الرائعة الفراء .

وقلقت محاسن نصار كل القلق وقد أدركت أنها وقعت
صريعة الحب وضحية الغرام . هي لا تريد ان تحب ، لا تريد
ان تهوى ، لا تريد ان تمسق ، لا تريد ان تتخلى عن قلبها
وأن تسلم زمامه الى شاب يتصرف به كما يشاء ويفعل به
ما يريد ..

وتغيرت حال محاسن نصار . لم تعد محاسن تلك الفتاة
الفرحى السعيدة الطروب بعد ان احبت حبيب مرزوق . لم
تعد شفتاها تعرفان لذة الابتسام ، لم تعد الراحة تغمر قلبها
ولا السعادة لتتعرف الى روحها الهائلة الولوع .. وانزوت
محاسن نصار في غرفتها في دارها الفخمة في شارع الحمراء تفكر
بالم وبقلق واضطراب . فهي تحب حبيبها ، تحبه حباً هائلاً
مروعاً رهيباً . تحبه وتريد ان تتفانى في حبه . تريد ان
تكون مخلصه له ، تريد ان تكون صادقة معه . لا تريد ان
تنطق أمامه بالكذب وبالنفاق ، إلا انها عاجزة عن تنفيذ ما
تصبو اليه وتريد .. فهي لا تستطيع ان تخلص في حبه ، ولا
تستطيع ان تكون صادقة معه . لا تستطيع ان تنطق
بالصدق . والصدق يبعده عنها ويجول بينه وبينها ..

واستلقت محاسن نصار في سريرها تفكر ..

وجالت الدموع في عينيها وهي تفكر بمصيرها مع حبيب
مرزوق . فهي مجرمة .. أجل هي مجرمة . لقد كذبت على
حبيب . كل ما روت له من قصتها كذب ونفاق وقد جيل .
هي لم تصدق في سوى فصل واحد من تلك الفصول التي روتها
له .. لم تصدق في سوى قصة التيتيم . فهي يتيمة الأوبن .

مات والداها وهي لا تزال صغيرة فأراها خالها . هذا صحيح ،
ولكنها ما ان بلغت الثانية عشر من عمرها حتى دفع بها
خالها الى الخدمة في دار احد الوجهاء الاثرياء في بيروت .
وأصبحت خادمة تغسل الصحون وتكنس الارض وتنظف
أثاث الدار .. وخالها ، وهو رجل قروي فقير كان يشخص
في آخر كل شهر الى دار الوجيه الثري ويتقاضى اجرة ابنة
اخته اليتيمة .. وكان الخال الكريم يحتفظ بالمخسرين ليرة التي
يتقاضها اجرة اعماب ابنة اخته كل شهر ويأبى ان يمجد على
الطفلة البائسة بليرة واحدة .. وكانت الطفلة الصغيرة ، وردة
نصار - كان اسمها الحقيقي وردة نصار - كانت وردة ،
وهي في الثانية عشر من عمرها راضية من دهرها بالخدمة في
دار ذلك الثري ، فهي لا تطلب من الحياة إلا لقمة الخبز .
يكفيها ان تأكل وتنام في تلك الدار الفخمة الأنيقة ، وخيل
إليها ان الدنيا بأسرها رغيف خبز تأكله وتشبع به جوعها ،
وثوب ترتديه ، ووسادة تلقي اليها رأسها وتنام .

إلا ان الحياة بدأت تكشف لها عن وجهها الفاتن الجميل

وقد وثبت الى الرابعة عشر من عمرها .

بدأت الخادمة وردة نصار تعلم ان ليس الخبز والماء
والثوب كل شيء في الحياة ..

وكانت وردة ، وقد اصبحت في الرابعة عشرة من عمرها
الندي تشاهد سيدتها في ثيابها الأنيقة فتمنى لو انها تستطيع
ان ترقدى ثوباً من تلك الثياب .. وتشاهد ابنة سيدها تصبغ
وجهها بالأبيض وشفيتها بالأحمر وتسكب العطور على شعرها
وعلى راحتها فتمنى لو انها تستطيع الحصول على حفنة او
على قطرة من تلك العطور والمقايير ..

وتحضي وردة الخادمة في التمنيات . فتمنى لو ان لها
خطيباً مثل خطيب ابنة سيدها ، وتمنى لو انها تستطيع ان
تستقل سيارة خاصة أنيقة فعمة مثل سيارة سيدتها ..

وكثيراً ما كانت وردة الخادمة ، ابنة الرابعة عشرة
تدخل الى غرفة سيدتها ، عندما تخرج تلك السيدة من غرفتها ..
وتقف عند المرأة فتزج عنها ثيابها الرثة وتقف برهة هاربة
أمام المرأة القريبة تستعرض جسدها الندي الشباب .. وترتاح
كل الارتياح وهي تستعرض ذلك الجسد الفتي الطري العود .

جسدها أشد بياضاً وشفاء ونضارة وأبعد شباباً من جسد
سيدتها الدارجة في الأربعين من العمر .. وجسد تلك السيدة

ليس بغريب عنها ، فطالما دخلت مع تلك السيدة الى الحمام لتساعدنا في ذلك جسدها وفي سكب العطور عليه .. وكانت وردة الخادمة تطيل الوقوف الى المرآة تستعرض جسدها العاري الجميل ثم تهرع الى ثياب سيدتها ترتديها والى العطور تسكبها على شعرها وعلى راحتها ، والى المساحيق تصبغ بها وجنتيها وعنقها وجبينها ومقلتيها وشفتيها .

ولم تعد وردة نصار ترضى من دنياها بلقمة الخبز وبالثوب وبالوسادة بل هي اصبحت تطلب من الحياة اكثر من هذه الاشياء .. هي تريد ان تتمتع بهذه الحياة كما تتمتع بها أي فتاة مثلها ، تريد ان ترتدي الثياب الثمينة ، وأن تتحلى بالحلى والجواهر وأن تظهر جمالها الفائق الزيان ..

وبدأت الخادمة وردة تنبزم بحياتها ، انها قتعب وتشتقى دون ان تتقاضى ليرة واحدة . فقد حرمها خالها من رؤية المال ومن لمسه .. ونقمت وردة على خالها شديد النعمة وراحت تفكر بوسيلة تمكنها من الحصول على اجرتها . هي تريد ان تتقاضى اجرتها وان تشتري بها ما تحتاج اليه من ثياب وأغراض .. واستغرقت الخادمة الجميلة في التفكير : كيف ستوصل الى الاستيلاء على مرتبتها او على بعضه ؟ كيف تستطيع ان تتعرف الى الليرة وان تقبض عليها وان تشتري بها الثياب والعطور والمساحيق ؟ كيف ؟ ليست تدري كيف ..

وبعد تفكير طويل ارتأت ان تطلب من خالها اقتسام مرتبها بينه وبينها ، ستطلب اليه ان يوجد عليها كل شهر بنصف مرتبها خمس وعشرون ليرة لها وخمس وعشرون ليرة له ولكن .. ولكن هل سينزل الحال العزيز عند طلبها ؟ هل هو سيتنازل لها عن الخمس والعشرين ليره لبنانية ؟ ستجرب حظها معه ، هي لن تخسر شيئاً . ما عليها إلا ان تطلب وله ان يرفض الطلب أو ان يوافق عليه .. وأقامت تقرب مطلع الشهر القادم ، في مطلع الشهر سيحضر خالها ليتقاضى الليرات الخمسين وستب اليه وترجوه ان يوجد اليها بالخمس والعشرين ليرة المرجوة ..

ولم يطل انتظارها . أيام قليلة واطل اول الشهر ، واطل معه الحال الكرمي .. ووثبت وردة الى خالها تقول بخجل وحياء : « خالي الحبيب ! انني بحاجة الى خمس وعشرين ليرة لبنانية . ودهش الحال . وتقدم من ابنة اخته ليقول بحزم وعزم وإيجاز . « لماذا ؟ . »

وتمت وردة : « اريد ان اشري بها ثياباً يا خالي . » وقال الحال العزيز : « انت لست مجبرة على شراء الثياب . ان اسيادك هم الذين يبتاعون لك الثياب يا وردة . هذا هو الشرط بيني وبينهم » ، قالت : « ولكنني بحاجة الى هذا المبلغ الضئيل يا خالي . » وتمتم الحال : « يا وردة يا ابنتي . انت تعلمين انني مرهق متعب . تعلمين ان نفقاتي تزيد على

ايرادي . وانا انا لا استطيع القيام بالعبء الثقيل . انت
اسرتي مؤلفة من سبعة اشخاص . انا وامرأة خالك واولادنا
الخمسة . وما اجمعه كل شهر بعرق الجبين لا يزيد على مبلغ
مئتي ليرة لبنانية يكاد لا يكفي ثمن خبز للأسرة . فهمست
وردة : «ولكن هل يتحتم عليّ انا ان اعيل اسرتك يا خالي»
فوجم الحال . هذا التمرد لم يلبسه من قبل في ابنة اخته .
هو لن يسمح لها بالتمرد والعصيان .

لا . على وردة ان تطيع الاوامر السامية ، وان تنزل
عند طاعة الحال العزيز العمياء . وتمتم : « اسمعي يا وردة .
انت لست مجبرة على اهالة اسرتي . هذا صحيح . ولكن انا
لي بدمتك مبلغ من المال . ولي في عنقك جميل يجب ان
ترديه اليّ . المبلغ هو ما انفقته على تعليمك . هل نسيت
انني عهدت بك الى مدرسة القرية وانني كنت انفق على
تعليمك وتثقيفك ؟ اما الجميل ، فهو ذلك الاهتمام وتلك العناية
بك منذ ان توفي والدك حتى الآن . هل تستطيعين ان تنكري
كل ذلك ؟ » .

وصممت وردة . كل ما يقول خالها صحيح . هي لا
تستطيع ان تنكر ذلك ، خالها انفق على تعليمها . فهي قد
اقامت في معهد القرية اربع سنوات واستطاعت خلال
السنوات الاربع ان تجيد القراءة والكتابة . ولكن وردة
جهلت ان خالها لم ينفق على تعليمها ليرة واحدة ، فمدرسة

القرية مدرسة رسمية، والدولة هي التي ترعاها وتنفق عليها ..

وهي ، لا تستطيع ان تنكر ان خالها آواها في داره
بعد موت والديها .. فهل يجوز لها ان تقابل جيلة بالتمرد
والعصيان ؟ . لا . هذا ما لا يجوز .

وطال الصمت بينها ، فلا وردة تكلمت ولا خالها ..
وراح الخال يراقب ابنة اخته بطرف خفي دون ان ينبس
بجرف .. يا لها من فتاة متمردة عقوق تتجرأ على مطالبته
بالمال . هل يخيل اليها انه سيجود عليها بالمال اكراماً لمينها
السوداوين ؟ والتفت الخال الى وردة ليقول : « اسمي يا
وردة . انت الآن في الرابعة عشر من عمرك . ستظلين تحت
رعايتي حتى الثامنة عشر . بعد اربع سنوات تستطيعين ان
تصرفي كما يطيب لك ويحلو . ومن الآن حتى انقضاء السنوات
الاربع ستظلين تحت رعايتي وعليك ان تنزلي عند ارادتي
وتتقيدي بمشيئتي » ..

ومضت وردة نصار في صمتها الموجه البارد الكئيب .
خالها على حق ، فلماذا تحاول التهرب من الحق ، والحق
سلطان فوق الجميع ...

وانصرف الخال عنها ، ليثب الى سيدها قائلاً : « يلوح لي
يا سيدي ان هناك من يحاول انتزاع ابنة اختي مني ، كما يلوح لي
ان هناك من يحاول ابعادها عن هذه الدار العامرة ليلحقها

بخدمة دار اخرى. لذلك فانا أرجوكم أن تشددوا الرقابة عليها
لئلا نفقدها معاً .

ووجم صاحب الدار ، الذي الغني .. ان أزمة الخادمت
شديدة خائفة .. اذا تركت وردة الخدمة في دارم فهم لن
يستطيعوا الوقوع على خادمة غيرها .. ونقد الوجه الذي
خال وردة اجرة ابنة اخته وتمم :

- اطمئن . اطمئن . سنكون عيناً ساهرة عليها ..

واطمأن الحال الكريم وعاد ادراجه الى القرية ويديه
قابضة على الليرات الخمسين ...

وراح اسياد وردة يراقبونها مراقبة شديدة . فهم يخشون
ان يخسروا خادمتهم ، واذا خسروها لن يستطيعوا الوقوع
على خادمة غيرها .

وشعرت وردة بالمراقبة الشديدة المفروضة عليها فتبرمت
وتأففت ، وهزمت على التخلص من تلك المراقبة . ولكن
كيف؟ كيف ستستطيع تحطيم القيود وخرق الحصار المفروض
حولها ؟

واستفرقت وردة نصار في التفكير دون ان تستطيع
الوصول الى حل .. فهي تريد ان ترفع سلطة خالها عنها ..
تريد ان تتحرر من العبودية ، تريد ان تكون سيدها نفسها ،

تريد ان تتقاضى مرقبها بنفسها وان تنفقه بنفسها كما تشتهي
وتريد ، ولكن ، ولكن كيف الوصول الى كل هذا ؟ ليست
تدري كيف ... ولم تستطع الخادمة وردة نصار ان تصل الى
حل لمعضلتها ، وحزنت وردة ، وتبرمت من تلك الحياة التي
تحياها . فهي تتعب وتشفى دون ان تستطيع الحصول على
ليرة واحدة تشتري بها ثوباً او حذاء .

وذات يوم فميا وردة الخادمة تخرج من منزل اسيادها لشراء
بعض السلع والخضار من « الدكان » المحاور التقت بزميلتها
وصديقتها الخادمة ليبيبة . وليبيبة الخادمة فتاة في السابعة او
الثامنة عشر من العمر تقوم على خدمة اسرة تقيم في دار
بجاورة لدار اسياد وردة . والخادمتان ، وردة وليبيبة صديقتان
حميمتان .. شرفة المطبخ الذي تعمل فيه وردة تطل على شرفة
المطبخ الذي تعمل فيه ليبيبة ، ومن الشرفتين تم التعارف بين
ليبيبة ووردة ، وتواصلت عرى المودة والصداقة بينها ، وكانت
كل من الخادمتين الصبيتين تشكو لزميلتها همومها ومصائبها
وتستشيرها في اعمالها ، إلا أن وردة انقطعت عن التحدث الى
زميلتها ليبيبة بعد ان طلب خالها الى اسيادها مراقبتها .

وأوصدت ربة الدار شرفة المطبخ امام وردة ومنعتها من
الخروج الى تلك الشرفة ، وقلق خاطر ليبيبة كل القلق على
زميلتها وردة نصار ، وهي تشاهد باب الشرفة مقفلاً ابداً ،
ولذلك ما أن شاهدتها تدلف الى الدكان ذلك الصباح حتى

لحقت بها لتمسك بيدها هامسة :

« وردة !.. ما بك يا اختي ؟ لماذا انقطعت عن الخروج إلى الشرفة ؟ انني أرى باب المطبخ المطبل على الشرفة مقفلا ابداً . ماذا دهاك يا وردة ؟ لقد اقلقت خاطري وأثرت هواجسي يا اختي » .

ومست وردة : « هس ... تعالي .. تعالي نفق هناك في ذلك المنعطف لثلاثقع عين اسيادي. علينا. تعالي . تعالي » .

وسارا الى هناك، الى آخر المنعطف. وهناك وقفت وردة تشكو لصديقتها لبيبة مصايها . قالت :

« لقد فرض اسيادي عليّ مراقبة شديدة يا لبيبة .. يبدو ان خالي طلب اليهم مراقبتي . فهم لا يسمحون لي بالخروج الى الشرفات . واذا اضطروا الى ايفسادي لشراء بعض الاغراض حددوا لي موعد الذهاب والاياب . الآن لدي عشر دقائق فقط لشراء السلع والخضار والعودة بها اليهم ، والويل كل الويل لي اذا تأخرت في العودة دقيقة واحدة »
قالت لبيبة : « ولكن لماذا يفرضون عليك هذه المراقبة ؟ »
قالت : « قلت لك ان خالي طلب اليهم ذلك » ، قالت :
« ولماذا يطلب اليهم خالك مراقبتك والتشديد عليك ؟ » .

فروت وردة للصديقة العزيزة تفاصيل مساتها قالت :

« ان خالي يتقاضى مرتبي بكامله . طلبت منه ان يحود عليّ بخمس وعشرين ليرة لبنانية فرفض . ويبدو انه لمس بي التمرد والمصيان فخشي ان اهرب منه ، وطلب الى اسيادي السهر وقرض المراقبة الشديدة عليّ ليحول بيني وبين الهرب » .

فأسفت لبيبة وتمتت : « اذن انت تتعي دون ان تتقاضى اجرة اعمالك ؟ » ، قالت وردة : « هذه هي الحقيقة الناصعة الجبين يا لبيبة » ، وتمتت لبيبة بأسف وأسى : « لماذا تعملين وتشقين وتتعين اذن ؟ » ، فقلبت وردة نصار شفتيها وهزت كتفيها ، ومهتت : « لست ادري » . . وتمتت الخادمة لبيبة : « مجنونة . انا لو كنت مكانك لما عملت دقيقة واحدة » ، قالت وردة : « وماذا كنت تفعلين ؟ » ، قالت : « كنت اهرب وابحث عن عمل في غير هذه الدار » .

فابتدت وردة نصار الاسف الشديد . . . قالت : « واين سأجد العمل ، وانا لا اعرف احداً هنا في بيروت ؟ » ، فعادت لبيبة تمسك بيد صديقتها وردة لتقول : « هل تريدن ان اساعدك ؟ » ، قالت : « يا ليت يا لبيبة » ، وتمتت لبيبة : « اسمعي يا وردة ان ابا مسعود وحده يستطيع مساعدتك . انا سأحدث اليه بامرك غداً » ، فسألت وردة : « ومن هو ابو مسعود هذا ؟ » ، قالت : « ابو مسعود هو صاحب مكتب الاستخدام . هو يتكفل بايجاد عمل محترم لك في دار احد الوجهاء . ان ابا مسعود هو الذي ارشدني الى دار اسيادي .

كنت اعمل في دار نائب سابق في محلة راس بيروت بمرتب قدره خمسون ليرة لبنانية فاتصل بي ابو مسعود وقال: «هناك اسرة تدفع لك ستين ليرة لبنانية . هل توافقين على العمل عندها ؟

ووافقت فوراً ، وتركت العمل في دار النائب السابق واقتادني ابو مسعود الى هنا . ومن يدري يا وردة . قد يتصل بي ابو مسعود غداً ويقول لي : « هناك اسرة تدفع لك سبعين ليرة لبنانية » ... وأترك العمل حيث اعمل الآن وأنتقل الى دار الاسرة الجديد .

ان ابا مسعود يتقاضى عمولة من طالبي الخادومات . ثم يعود الى انتزاعهن من تلك الدور لينقلهن الى دور اخرى . المهم لدى ابي مسعود هو ان يتقاضى العمولة .

أنا سأطلب منه غداً ان يبحث لك عن عمل . فكوني على استعداد للهرب من دار اسيادك ومرافقة ابي مسعود الى عملك الجديد ..

ووجهت وردة نصار . ومهمت :

« ولكن هل تستطيع الهرب ؟ »

قالت لبيبة :

« ولماذا لا تستطيعين ؟ .. ما عليك إلا ان تخرجي من دار اسيادك الى الشارع العام حتى يتم لك ما تريدين » ..

وصمتت وردة وقد احتارت في امرها . ماذا عليها ان
تفعل ؟ هل توافق على اقتراح صديقتها ليبيبة ، ام لا ؟ .
ليست تدري ..

وعادت الخادمة ليبيبة الى الكلام لتقول : « انت نخرجين
كل يوم من دار اسيادك في مثل هذه الساعة لشراء اللحم
والسبع والخضار أليس كذلك ؟

قالت وردة : اجل .. « قالت : « سأكون اذن بانتظارك
هنا في مثل هذه الساعة من صباح غد . « فتمتت وردة وهي
تهم بالمسير : « وسأوافيك في الموعد المضروب ، الى اللقاء
يا ليبيبة . « وتمتت الخادمة ليبيبة : « الى اللقاء اذن غداً في
مثل هذه الساعة هنا يا وردة . » ..

وأسرعت وردة بالذهاب . فهي تريد ان تشتري السلع
واللحم والخضار وتعود الى دار أسيادها قبل انقضاء الدقائق
العشر لئلا تتعرض لغضب سيدتها ونقمتها ..

ولم تسلم وردة الخادمه من غضب تلك السيدة ، ولا هي
نجت من نقمتها وقد عادت الى الدار متأخرة عشر دقائق .
لقد منعته سيدتها عشر دقائق للذهاب وللإياب إلا انها لم تعد
إلا وقد انقضت عشرون دقيقة . ووثبت سيدتها اليها تؤنبها
وتوبخها وتشتمها وتسبها : « لماذا تأخرت في العودة يا مقصوفة
العمر ؟ هل استطيع ان اعلم لماذا ؟

ودافعت « مقصوفة العمر » عن نفسها مدعية ان الازدحام شديد في الملحمة ، وان البقال تأخر في اعداد السلم لها ، إلا ان السيدة المصون لم تقتنع ، ومضت في الشتم والمسبة : « قصف الله عمرك ايتها الملعونة ، والله لأسحقن رأسك اذا اعدت الكرة مرة ثانية » . وأقسمت الخادمة وردة وحلفت انها لن تعيدها مرة ثانية . وآمنت السيدة المصون بالتوبة الصالحة تعلنها خادمتها بكل حرارة وإيمان ..

وانصرفت وردة الى عملها وهي شاردة الذهن تائهة الفكر قلقة البال .. ومضت في التفكير بكلام رفيقتها لبيبة : « هل تنزل عند رأي لبيبة ، فتهرب من دار اسيادها وتصبح حرة ، طليقة الجناح ، تتقاضى مرتبها وتنفقه كما يطيب لها ويحلو إلا . لا . هي لا تريد ان تخرج عن طاعة خالها ولا تريد ان تغضب سيدها وسيدتها . ولكن ، ولكن ان هي لم تنزل عند رأي لبيبة ، اذا لم تهرب فهي ستظل العمر كله تحت رحمة خالها وتظل ترفل بهذا الثوب الرث المزق ، وتظل تقتل هذا الحذاء البسالي القديم .. اذن ، اذن ماذا ؟ .. اذن يجب ان تهرب من دار اسيادها وتسلم زمام امرها الى ابي مسعود وتتكلم على الله ..

وعزمت وردة نصار على تنفيذ الخطة الموقفة ، التي رسمتها لها زميلتها لبيبة ، إلا ان الخشية ظلت تعصف بها وظل الخوف من العاقبة يغمر قلبها الصغير ، وظلت مترددة في التنفيذ .

وانقضى النهار والخادمة وردة منصرفه الى التفكير بقلق
وخوف واضطراب .. وعندما حان موعد النوم ، في ساعة
متأخرة من الليل ، بعد أن انتهت كل أعمالها ، آوت الى
فراشها ، ولكن لا لتنام ، بل لتعطي في تفكيرها . وكانت
قلقة الخاطر مضطربة البال . لا تستقر على حال ولا تقف
هند قرار ، فهي تقرر ان تنفذ الخطة المرسومة وتهرب من
دار اسياها ، ثم لا تلبث ان تعود عن قرارها ..

ومضى الشطر الاول من الليل، والخادمة وردة ساهرة في
فراشها تتقلب على شوك وابر. وتفكر .. ولم تستطع الخادمة
البائسة ان تستلم لسلطان الكرى إلا والفجر البعيد قد
قارب البنوع . ونامت وردة ، وظل القلق يطاردها ، وظلت
الهاجس تقض مضجعها حتى وهي مستسلمة للكرى ، فدهمت
الاحلام المقلقة الرهيبة الخفيفة ولم تستطع أن تشمر بلذة النوم.

واستفاقت في ساعة مبكرة من الصباح على صوت «معلمتها»
تدعوها كمادتها للنهوض الى العمل ، ونهضت على تعب وحياء
وعناء. وبدأت العمل .. وعادت الافكار الممضة المقلقة تعذبها،
وعادت الحيرة تعصف بها... وعادت الى التساؤل : ماذا علي
أن افعل ؟ هل انزل عند رأي لبيبة ام لا ؟. ولم تستطع أن
تجد جواباً لهذا السؤال. لم تستطع أن تجيب بأجل ، ولا هي
استطاعت أن تجيب بلا ..

وحان موعد شراء السلع واللحم والخضار فنادت سيدتها

اليها لتقول : « خذي يا وردة . هذه عشر ليرات لبنانية .
اشتري بها كيلو من اللحم الهبر ، وكيلو من اللوبيا وكيلو من
التفاح ، ولا تنسي ما تحتاجين اليه من « التايد » والصابون .
امامك عشر دقائق . عشر دقائق فقط تذهبين خلالها
وتعودين الى هنا والويل كل الويل لك اذا تأخرت في العودة
كما فعلت امس » ..

وتناولت الخادمة وردة الورقة النقدية من يد سيدتها
واسرعت بالخروج من الدار .. وتساءلت ، وقد اصبغت في
الشارع العام : « هل اشخص الى المنعطف وأواني لبيبة الى
الموعد المضروب ؟ .. لا ، لا ، لن اذهب الى لبيبة ، سأشتري
الاغراض وأعود تراً الى الدار قبل انقضاء الدقائق العشر ..
ولكن .. ولكن لبيبة تنتظرني هناك . هل يجوز أن اخلف
موعدي معها ؟ لا ، لا ، هذا ما لا يجوز ، انا سأشخص اليها ..
وترددت وردة . ترددت في الذهاب الى لبيبة وترددت في
الذهاب الى الدكان .. ولم تستطع أن تتخذ قراراً حازماً
فوقفت على حيرة وقلتي ووجوم ..

واذا بصوت لبيبة يرن في اذنيها : « وردة !.. تعالي » ..
ورأت وردة نصار نفسها تسير منقاداً الى لبيبة دون أن
تلبس بحرف .. ووصلتا معاً الى المنعطف . ووقفت لبيبة تقول
لصديقتها : « لك البشري يا اختي لقد تم كل شيء بسرعة لم
نكن ننتظرها » . قالت وردة بتساؤل ملحاح : « ماذا

جري ؟ . ، قالت : « لقد قابلت ابا مسعود واطلمته على
قصتك وطلبت اليه أن يجد لك عملاً في اي دار ، اتملين
ماذا كان جوابه ؟ » .

قالت وردة : « ماذا كان جوابه ؟ » قالت : « كان
جوابه . احضريها اليّ الآن حالاً وانا سأتكفل امرها ،
فوجت وردة . هذا ما لم تكن تلتظره . لم تكن الخادمة
وردة تلتظر أن يتم تنفيذ الخطة المرسومة بهذه السرعة . هي
لم تحدد موقفها بعد ، لم تتخذ قرارها النهائي ..

وعادت لبيبة الى الكلام لتقول : « سذهبن معي الآن
اليه . انه في انتظارنا » . واشتد الوجوم بالخادمة وردة ،
ومست بدهشة واستغراب : « الآن ؟ .. الآن في هذه
الساعة ؟ » .. ومست لبيبة : « اجل الآن ، الآن في هذه
الساعة ، بل في هذه الدقيقة . ابو مسعود يقيم منا على انتظار
تعالى تعالى يا وردة » .. وترددت وردة في اجابة لبيبة الى
طلبها . ومست : « لا . لا يا لبيبة ، انا لا استطيع ان اذهب
معك الآن . دعني ذلك الى فرصة اخرى ، دعيني افكر
بالامر .

فأمسكت لبيبة بيد صديقتها لتقول : « وهل يحتاج الامر
الى تفكير ؟ تعالى ، لا تضيعي الفرصة يا وردة ، والفرصة لا
تسنع كل آن وحين . ان ابا مسعود ينتظرنا الآن في مكتبه .
تعالى ، تعالى » . قالت وردة بقلق وارتباك : « ولكن يجب

أن احضر ثيابي على الاقل .» فضحكت لبيبة . وهمست : « وما هي ثيابك ؟ وماذا تملكين من الثياب ؟ .. انها ثياب رثة ممزقة قديمة العهد . اسياذك الجدد سيبتاعون لك من الثياب أفضلها وأحدثها . تعالي . اسرعني يا وردة . هناك سيارة في آخر الشارع تنتظرنا لتقلنا الى مكتب ابي مسعود .» قالت وردة : « ولكن يجب أن ابتاع الاغراض لسيدتي قبل أن اركن للفرار » فانسيت الابدسامة على شفتي الخادمة لبيبة . وتمتمت « هل يخيل اليك ان سيدتك وسيدك وأولادها سيموتون من الجوع اذا لم تبتاعي لهم الخضار واللحوم ؟ .. تعالي . تعالي .»

وأبت وردة أن تنزل عند طلب زميلتها لبيبة . وهمست : ولكن سيدتي اعطتني عشر ليرات لأبتاع لها الاغراض ، هل استولي على الورقة النقدية وأهرب بها كاللصوص المجرمين ؟ لا ، لا يا لبيبة ، هذا ما لا تقدم عليه وردة نصار . فتمتمت لبيبة : « تعالي معي ولا تكوني جبانة . انت لك بذمة اسياذك اكثر من عشر ليرات لبنانية . تعالي .»

وأصرت وردة نصار على موقفها ، هي لن تستولي على الورقة النقدية . ستشترى الاغراض وترسلها الى دار اسياذها مع خادم الدكان ثم تسير مع لبيبة الى ابي مسعود ..

والتفتت وردة الى زميلتها العزيزة لتقول : « تعالي انت معي يا لبيبة سأشترى الاغراض لسيدتي ، واطلب الى صاحب الدكان أن يرسلها مع خادمه الى سيدتي .»

ونزلت لبيبة عند طلب وردة وسارت برفقتها الى الدكان .
وهناك اشترت وردة اللحم والخضار والاعراض التي طلبتها
سيدتها ، ودفعت ثمنها تسع ليرات ونصف الليرة . وقالت
لصاحب الدكان : « ارجو أن ترسل هذه الاعراض مع نصف
الليرة التي بقيت من الليرات العشر الى سيدتي » .

ونادى صاحب الدكان خادمه اليه : تعال يا ولد .. خذ
هذه الاعراض وهذه القطعة النقدية ، نصف ليرة الى دار
البيك ..

وأخذ الولد الاعراض والقطعة النقدية الى دار البيك ..
ووقف امام الباب يقرعه .. واقبلت زوجة البيك تفتح الباب
بنفسها . « مقصوفة العمر » ليست في الدار ، لقد ارسلتها
لشراء الاعراض منذ نصف ساعة ، وللآن لم تجضر بعد . عليها
أن تفتح الباب بنفسها للزائر الكريم .. وفتحت السيدة
الباب . وصعقت وهي تشاهد الخادم يحمل لها الاعراض ،
وينقدها نصف الليرة . ويقول : هذه هي الاعراض يا سيدتي
وهذا ما بقي من الدراهم » .

وسألته عقيلة البيك : « اين هي مقصوفة العمر ؟ » وقلب
الخادم شفتيه ، وهز كتفيه . وتمتم : « لست ادري يا سيدتي » .
وزارت السيدة : « سأقصف عمرها عندما تعود » .. قالت
هذا . وتناولت الاعراض من الولد وابقت له القطعة النقدية
ودخلت الى المطبخ والغضب الشديد يعصف بها وهزها هزاً .

وأقامت السيدة ترقب عودة وردة ، إلا ان وردة لم تعد.
فقلقت السيدة الكريمة كل القلق ، وأسرعت الى زوجها
تطلعه على النبا. قالت : « مقصوفة العمر هربت . يجب ان
نعلم رجال الشرطة بالأمر » ..

ووثب البيك الى رجال الشرطة طالباً اليهم البحث عن
الخادمة الضائعة ، وأرسل في طلب خالها ليطلعه على نبا
اختفاء ابنة اخته. وضرب الحال كفاً على كف. وزعق : « لقد
ضاعت وردة مني » .. ولم يأسف الخصال الكريم لضياع ابنة
اخته ، ولا هو قلق عليها . لقد اسف لضياع الحسين ليرة
لبنانية عليه في مطلع كل شهر ..

وانطلق رجال الشرطة باحثين عن وردة نصار إلا انهم لم
يوفقوا في مجدهم .. لقد ضاع للفتاة كل أثر ، وردة نصار
اختفت بين الارض والسماء. لقد ذابت كما يذوب الملح في الماء .



طافت هذه الذكريات في رأس محاسن نصار ، وهي
مستلقية على سريرها في دارها الفخمة في شارع الحمراء قمص
الأم والشوق والحنين بها .

هذه الذكريات الافلة تؤلمها وتقض مضجعها ، أيام الفاقة
والبؤس والشقاء التي مرت بها لا تزال ماثلة أمام عينيها . كم
تعذبت ، وكم شقت وكم تألمت في حياتها ، كم سكبت من
الدموع وكم ذاقت من الآلام والهموم ؟

وكان قد خيل اليها ان أيام البؤس والعذاب والشقاء قد
توارت عنها ، بعد ان تدفق المال بين يديها على غزارة واقبال
فاذا بها تكشف الآن انها ما زالت في اول الطريق وان
امامها طريقاً بعيداً من العذاب والآلام والدموع .

هذا الحب الذي غمر قلبها . حب حبيب مرزوق ، اذها
وأرهمها وأنحن قلبها بالجراح وغمر عينيها بالدموع . لقد
اوهمت حبيباً انها ابنة رجل غني محترم فهاذا عساه يفعل اذا

علم انها كانت خادمة، وأنها تأكل اليوم خبزها مغسوساً بدموع عينيها ؟ ..

وأشعلت محاسن نصار لفاقة راحت تنفث دخانها على منهل .
وتساعد دخان اللفاقة كأنه اجنحة تخفق في الفضاء . وعادت
الذكريات تنساب مع اجنحة الدخان امام عيني محاسن
فتذكرت .. تذكرت كيف استقلت ، ذلك اليوم الذي هربت
فيه من دار اسيادها ، السيارة مع رفيقتها لبيبة وهي خائفة
مضطربة وجلة ..

وانطلقت السيارة بها في شوارع بيروت تسابق الريح ،
وتوقفت بعد مسير زهاء عشر دقائق امام دكان كتب على
بابه : « مكتب ابو مسعود للاستخدام » ..

وترجلت لبيبة من السيارة ، وترجلت وراها ورده ..
وأمسكت لبيبة الخادمة بيد صديقتها ودخلت بها الى «مكتب
ابي مسعود » ووقف ابو مسعود يرحب بها شديد الترحيب .
ووضع نظارتيه على عينيهِ وراح يتحدث بالفتاة ، بورده ، على
دهشة وإعجاب . انها رائحة الحسن فائنة الجمال ..

وتقدمت لبيبة من ابي مسعود تقول : هذه هي الفتاة التي
حدثتك عنها يا ابا مسعود .. والتفت ابو مسعود الى ورده
ليقول : « ما هو اسمك يا ابنتي ؟ » وتمتمت : « ورده ...
ورده نصار » قال : « كم مضى عليك من السنين في الخدمة ؟ »

وتتمت : « ثلاث سنين » . قال : « هل تتقين جميع اعمال
الخدمة ؟ » . وأجابت : « اجل » وسألها : « كم كنت تتقاضين
في دار اسيادك ؟ » . وتمتت : « كنت اتقاضى خمسين ليرة » ..

وفتح ابو مسعود سجل الزبائن الكرام . وقال : « هناك
سيدة محترمة طلبت اليّ ان اجد لها خادمة في مثل عمرك
يا ابنتي . ستكون اجرتك لديها في الشهر الاول ستين ليرة
لبنانية . وإذا ارتاحت الى عملك والى امانتك والى اخلاصك
في خدمتها رفعت لك المبلغ الى السبعين . هل توافقين ؟ »

وتولت لبيبة الجواب . قالت : « اجل توافق » فنهض ابو
مسعود ليقول : تعالي معي . سأوصلك بنفسى اليها .
وستكونين مرطحة كل الارتياح في عملك لديها .. وودعت
لبيبة صديقتها الخالصة ووردة ، وعادت ادراجها . مهمة لبيبة
انتهت عند عتبة مكتب ابي مسعود .

واستقل ابو مسعود ووردة سيارة تاكسي . وهمس ابو
مسعود في اذن السائق : « الى محلة الروشة » ..

وطارت السيارة بها الى محلة الروشة . وهناك امام بناية
فخمة شاهقة عالية الأجنحة اشار ابو مسعود الى السائق
بالوقوف .. وأوقف السائق سيارته . ونقده ابو مسعود الاجرة
وترجل من السيارة ، وترجلت أيضاً «وردة» ، وأمسك ابو
مسعود بيد الخادمة الحسنة متمتماً : « تعالي معي يا ابنتي .

هنا في الطابق السادس من هذه البناية الفخمة ستملين
يا وردة . »

ولم تنبس وردة نصار بحرف ، بل هي سارت قرب ابي
مسعود وفي رأسها يدور ألف فكر وفكر ، وألف خيال
وخيال .

ودخل ابو مسعود بالفتاة الى تلك البناية الفخمة ، وضعد
يها في المصعد إلى الطابق السادس ، ووقف امام الباب يقرع
الجرس .. وفتح الباب ، وأطلت منه امرأة في المقعد الثالث
او في مطلع المقعد الرابع من العمر ، في زهاء الثلاثين ، رائحة
الجمال ترقدي ثوباً شفافاً ، وتلقي بلفافة فاخرة بين شفتيها ،
وابتسمت المرأة الحسناء لأبي مسعود . ومهتت : « اهلا بأبي
مسعود » فتمتم ابو مسعود : « هذه هي الخادمة التي طلبتها مني
يا ست ابتسام » ..

وانبعت الابتسامة على شفتي الست ابتسام وهي تشاهد
وردة ذات الوجه الابيض والشعر الاسود والعنق النجلالوين
والقد الالهيف الرشيق ..

ورحبت الحسناء الفاتنة بأبي مسعود شديد الترحيب ..
والتفتت الى الخادمة لتقول : « ما هو اسمك يا شاطرة ؟ »
ومهتت وردة . « اسمي وردة » وتمتمت ابتسام : « وأنت
وردة . اسم على مسمى . تعالي . تعالي يا ابنتي . انت ستحلين

في هذه الدار على الرحب والسعة . وستولين مهام داري .
ليس في هذه الدار سواي . كل ما اطلب منك هو ان تكوني
مخلصة لعملك امينة لسيدتك .

ودخلت وردة . ووقفت على دهشة واستغراب وهي
تشاهد الرياش الفاخرة والتحف والاواري الفضية والبلورية في
تلك الدار ، وادركت انها حيال امرأة وافرة الثراء فارتاحت
بعض الارتياح ..

وأمسكت « الست » ابلسام بيد ابي مسعود ودخلت به
الى غرفتها لتنقده ورقة نقدية اجرة اتعابه . وهمست :
« اكثر الله خيرك يا ابا مسعود » .

وشكر ابو مسعود للست ابلسام سخاها الرحيب وقفل
هائداً ادراجه الى مكتبه العامر الرحيب .



وانسابت الذكريات على ألم وحنين في رأس محاسن نصار وهي مستلقية على سريرها الوثير في دارها في شارع الحمراء فتذكرت .. تذكرت كيف بدأت تعمل في دار ابتسام ، وكيف كانت ابتسام تغدق عليها المعطف والحب والحنان والمال ايضاً .. تذكرت كيف سلمتها ابتسام ادارة دارها الانيقة فأصبحت الامرة الناهية في تلك الدار الفخمة البنيان الوثيرة الرياش . ولم تكن لتقيم طويلاً في دارها . فهي تحضر الى تلك الدار في ساعة متأخرة من الليل ، في الثالثة او في الرابعة من الفجر . وتنام .. تنام لتنهض عند الظهر . ويكون اصداؤها قد حضروا لزيارتها فتجلس وإياهم في الصالون تسايرهم وتمازحهم وتودد اليهم ، ثم ، ثم تخرج وإياهم لتناول طعام الغداء معهم في مطعم او في ناد او في فندق فخيم رحيب .

ولا تعود الى الدار الا والليل قد سار خطواته الاولى في

طريق الظلام . تعود ابتسام لترتدي ثياب السهرة وتخرج من الدار ..

ولم تكن واردة تعلم لماذا تسهر ابتسام خارج دارها . ولم تكن لتعلم لماذا تجمع حولها كل اولئك المعجبين والاصدقاء . ولم تكن الخادمة الجمية لتسأل سيدتها اي سؤال بل هي كانت تنصرف الى عملها بكل همة ونشاط وأمانة واخلاص. يكفيها من سيدتها العطف والحنان والكرم والسخاء . ولم تحاول واردة ان تفصل الى اسرار سيدتها. ولا ان تقف على خفاياها .

الا ان الأقدار كشفت لها اسرار تلك السيدة . فقد شاهدت صورتها ذات يوم في مجلة فنية .

كانت واردة تنظف غرفة سيدتها فشاهدت مجلة مائة قرب السرير ، وتناولتها ، وراحت تصفحها ، ووقعت عينها على صورة راقصة نصف عارية ، وصعقت وقد عرفت في وجه تلك الراقصة وجه سيدتها ابتسام .. وترأت الاسم : « الراقصة الفاتنة ابتسام » .. اذن .. اذن ماذا ؟ اذن سيدتها راقصة .

الآن، الآن فقط علمت واردة لما تحشد الست ابتسام حولها كل اولئك الاصدقاء والمعجبين ، والآن ، الآن علمت واردة كيف تندفق كل تلك الأموال على « الست » ابتسام .. ان سيدتها راقصة تعرض جسدها العاري على المسارح ليلتهمه المعجبون

النهيمون بعيونهم الجشعة النهمة الحمراء ..

وشعرت وردة نصار بأن ذلك الاحترام الذي كانت تنظر به الى سيدتها ابتسام قد تلاشى فجأة . واحتقرت نفسها وامتهنتها . كيف تجيز لنفسها ان تعمل في دار راقصة متهتكة . لو علم خالها بأمرها ، لو علم انها تعمل في تلك الدار لسحق رأسها سحقاً ..

وبدأت الخادمة وردة تفكر بالابتعاد عن تلك الدار ، بدأت تفكر بالتخلي عن خدمة الراقصة ابتسام . في هذه الدار النار. فلتبتعد عن النار وتأمين شرها . ولكن الى اين ستذهب إن هي تركت العمل في دار الراقصة ابتسام ؟ والى من ستلجأ ؟ ..

وانصرفت وردة الى التفكير: يجب ان تهرب من دار ابتسام كما هربت من دار اسيادها السابقين .. تهرب ؟ ولماذا الهرب؟ عندما هربت في المرة الأولى هربت من خالها الذي كان يفرض سلطانه عليها ويسلبها مالها. لقد هربت من وراء اسوار السجن الرهيب . اما الآن فلماذا الهرب ا ليس لها الا ان تعلن للست ابتسام رغبتها في التخلي عن العمل في دارها حتى تنقدها ابتسام اجرتها وتقول لها : « مع ألف سلامة » ..

وارتاحت الخادمة وردة وقد توصلت الى اتخاذها هذا القرار الحاسم الجازم ..

ونَهَضت تحزَم ثيابها ، وهي الثياب التي جادت عليها بها
الست ابتسام ، وتقيم على انتظار عودة سيدتها . هي لن تخرج
من الدار قبل عودة الست ابتسام . لا ، لن تهرب من تلك الدار
كالصوص الجرمين . ستعلن لسيدتها عزمها على التخلي عن
خدمتها وتودعها كما تودع الصديقة صديقتها وتتقاضى اجرة
الايام القليلة التي عملت خلالها في دارها وتخرج من تلك الدار
كما دخلت اليها بكل حرية وسلام واطمئنان ..

ولم يطل انتظارها . ساعات قليلة وعادت الراقصة ابتسام
بالسلامة .. واستقبلتها الخادمة وردة بفتور لم تعده بها من
قبل .. ودهشت ابتسام وخادمتها الجميلة تستقبلها على غير
عادتها ، بفتور وامتناع .. ووثبت اليها تسألها : « ما بك
يا وردة ؟ » . وهمست وردة الخادمة : « لا نبيء يا سيديتي » .

قالت الراقصة الحسناء : « ولكنني اراك ساهمة واجمة
مكفهرة الجبين . هل حلت بك مصيبة يا وردة ؟ »

وهمست وردة : « لا ابدأ يا سيديتي » .

وتتمت الراقصة الحسناء : « هل انت متعبة ؟ »

قالت : « ابدأ » .

وهمست الراقصة : « ما بك اذن ؟ »

فصمت وردة .. وانصرفت الى التفكير .. هل تقول لها

ما بها ؟ هل تعلن لسيدتها عزمها على التخلي عن خدمتها ؟
لا .. لا . هي لن تجرؤ على مصارحة الست ابتسام بالحقيقة
الساطعة الراحنة .

وطال صمت الخادمة وردة ، وطال تفكيرها ، فتقدمت
الراقصة ابتسام منها تمسك بيدها قائلة : قولي لي ما بك
يا وردة ؟ لا تخافي يا ابنتي . افسحي لي عما يحول في خاطرك
قد استطيع ان اساعدك يا وردة

ولم تقسح وردة الخادمة عما يحول في خاطرها .. لم تنبس
بمخرف .. بل مضت في صمتها العميق وفي تفكيرها البعيد
القرار ..

وعادت الراقصة الحسناء الى الكلام لتقول : اسمعي
يا وردة . انت قريبة إلي يا ابنتي . انني احبك كما تحب الأم
ابنتها بالرغم من الايام القليلة التي قضيتها في داري .. لقد
لمست فيك التهذيب والآداب ونقاوة القلب وصفاء السريرة ،
لذلك فان كل ما يؤملك يؤلني .. قولي لي ما بك يا ابنتي
ولا تخافي

وشجعتها على الكلام فتكلمت .. قالت وردة نصار :
انا اريد ان اترك العمل في دارك يا ست ابتسام

فوجت الراقصة ابتسام وكلام خادماتها يقع في أذنيها ،

وتمتت باستفهام ، وكأنها لا تصدق ما تسمع : تريدين ان
تتركي العمل في داري ؟

فهمت الخادمة مؤيدة كلامها : «اجل . اجل يا سيدتي» .

قالت الراقصة : « لماذا ؟ هل تستطيع ان اعلم لماذا تريدين
ان تتركي العمل في داري يا وردة ؟ »

فعدت وردة نصار الى الصمت تعتم به ، وعادت الست
ابتسام الى محاولة انتزاع السر من صدر خادمتها . قالت :
« قولي لي ما هو السبب يا ابنتي .. لماذا تريدين ان تتخلي عن
العمل في داري .. قولي لا تخافي يا وردة » .

وكانت المجلة الفنية التي تحمل صورة الراقصة ابتسام بين
صفحاتها لا تزال ملقاة على المنضدة الصغيرة ، فراحت الخادمة
وردة تنظر الى الصورة بوجود دون ان تنبس بحرف ..

وشاهدت الراقصة ابتسام خادمتها ترمق تلك المجلة
بنظرات يسودها القلق ويشيع فيها الاضطراب فتناولت تلك
المجلة عن المنضدة .. وشاهدت ابتسام صورتها في بدلة الرقص
في تلك المجلة فانكشفت أمامها الحقيقة الناصعة البيضاء ..
خادمتها شاهدت تلك الصورة وعلمت ان سيدتها راقصة ،
فخافت واضطربت ، وقلقت على مصيرها ، وعزمت على
الهرب منها ..

وابتسمت الراقصة ابتسام ، وقد وقفت على الحقيقة .
وعادت تمسك بيد الخادمة الخجول لتقول متسائلة : « أتكون
هذه الصورة هي التي شئت عزمك على الابتعاد عن هذه الدار
يا وردة ؟ »

واشدد الخجل بالخادمة وقد ادركت ان سيدتها وقفت على
الحقيقة . ومضت في صمتها ، وترقرقت الدموع في عينيها
فراحت تعمل جاهدة على حبس تلك الدموع المتأهبة للاعداد
على وجنتيها النديتين ..

وشدت يد الراقصة الحسنة يد خادمتها. وتمتت : « يا ابنتي
يا وردة . انت ما زلت صغيرة السن ، ما زلت حديثة العهد
في الحياة . يخيل اليك ان سيدتك فاسقة مجرمة شريرة .
يخيل اليك ان الست ابتسام تسلب الناس اموالهم وانها تتمرغ
في الاقدار وفي الوحول . انت على خطأ يا ابنتي . ليس كل
راقصة فاسقة ولا كل من ضلت السبيل مجرمة . كما ان ليس كل
زوجة وكل أم شريفة . كم هناك من الراقصات أبعد شرفاً وأعرق
طهراً من ربات البيوت . لقد قال الله تعالى لآدم : « بعرق
جبينك تأكل خبزك » ، وآدم ما زال منذ ذلك اليوم يأكل
خبزه بعرق جبينه .. ولكن .. ولكن هناك فتيات يأكلن
خبزهن بدموع هيومنهن ، وسيدتك ابتسام بين هؤلاء النساء .
نعم يا ابنتي آكل خبزي بدموع عيني .. هناك خبز ودمع .
وعلى المرأة البائسة ان تسكب الدمع لتأكل الخبز .. وها انا ،
كما ترى اسكب دموعي واشتري بها خبزي . انا لست امرأة

فاسقة عاهرة مجرمة يا ابنتي . لا يا وردة ، لا . انني اقسام لك
انني بعيدة عن الفسق والرذيلة والفجور بعد الارض عن السماء .
ألا تصدقين ؟ ما عليك الا ان تختبري ذلك بنفسك . انت ،
هنا عندي ، في مأمن من كل شر وخطر . لن يمك سوء ،
وأنت داخل هذه الدار . ثقي انني سأحافظ عليك كما تحافظ
الأم على ابنتها . لن اسمح بأن تسقطي في الحفرة التي سقطت
فيها سيدتك ابتسام . لا ، لن اسمح بأن تسكي دمك ثمناً
لخبزك . انت ستأكلين خبزك بعرق جبينك لا بدمع عينيك .

وكانت الراقصة ابتسام تتكلم في حين كانت الدموع تتساقط
من عينيّ وردة نصار . لقد أثر كلام الست ابتسام بخادمتها
بالغ التأثير فمجزت عن حبس دموعها الغزيرة وأخذت تلك
الدموع تنهمر بفزارة على وجنتها ..

واحتضنت يد الراقصة ابتسام يد خادمتها لتقول : « لا
تذربي يا ابنتي هذه الدموع ، وليس ثمة ما يدعو الى ذرفها .
سأروي لك قصتي من اولها كي تكون لك عبرة وعظة
وتتجنبني الوقوع حيث وقعت انا .. سيدتك ابتسام كانت
خادمة مثلك يا وردة » ..

فدهشت الخادمة وردة وسيدتها تعلن انها كانت خادمة
مثلا . هل يمكن هذا ؟ .. الست ابتسام كانت خادمة ؟ لا .
لا مستحيل . هذا امر غير معقول ..

وتابعت الراقصة الجميلة كلامها قالت : « اجلس يا ابنتي ،
كنت خادمة مثلك . اخدم الناس ، واغسل الصحون وانظف
الارض واغسل الثياب . كنت يومذاك في مثل عمرك . في
الخامسة او في السادسة عشر من عمري . كنت اعمل في دار
احد الاثرياء الوجهاء . وكان لذاك الوجيه الثري ابن في
الخامسة والعشرين من العمر ، وكان ابن سيدي يتودد اليّ
ويخالسني النظرات ويسكب في اذني همسات الحب والهوى
والغرام . ووقعت في الشرك الذي نصبه لي .

فقد اغتتم ذلك المجرم الشاب خروج والديه من الدار ذات
ليلة ليثب الى غرفتي ويندس معي في السرير . . وكانت الجريمة
الرهيبة . وفقدت اعز ما تملك الفتاة العذله . . وطالبت بما
تطالب النعجة الذئب . طالبت بالزواج مني . فراح يسوف
ويعاطل . وهددت وتوعدت . . ووصل التهديد والوعيد الى
والديه فغضبا ، وحنقا عليّ ، عليّ انا لا على ابنها . وقابل
والده تهديدي بتهديد مماثل ، فوثب اليّ يقول بغضب شديد:

« انت نصبت الشرك لابني املا في حمله على الزواج منك .
هل يخيل اليك انني سأوافق على زواج ابني من خادمة مثلك؟
مجنونة .

انا لن اکتفي بطردك من خدمتي ، بل سأشكوك الى
المحاكم متهما اياك بالنصب والاحتيال . . وخفت . فهو صاحب

وجاهة ونفوذ و ثراء . إلا انني تذرعت ببعض الشجاعة
ووثبت اليه لاقول : من تراه يصدقك اذا اهتمني بنصب
الشرك لابنك ؟ . وهل هناك من يصدق ان الذئبة تمتدي على
الذئب ؟ اذا شئت ان يكون القضاء الساحة التي نلتقي فيها
فرحياً بك وبابنك . انا التي سأشكو ابنك الى القضاء ، ..

ويبدو ان تهديدي كان ناجحاً فعمد ذلك الوجيه الثري
الى اللطف واللين ، واقترب مني قائلاً : « اسمعي يا ابنتي . انا
لا اريد ان اشهر بك امام المحاكم . ما حصل قد حصل الآن .
ليس لك إلا أن تتقي الفضيحة . سأنقدك الآن مئة ليرة
لبنانية . يمكنك بهذا المبلغ الضخم ان تتدبري امرك وأن
تبعثي عن عريس تميشين معه العمر كله » .

ولم اكن غبية ، لم اكن جاهلة بالرغم من حداثة سني .
كنت اعلم ان ثمن عفاقي اكثر من مئة ليرة لبنانية .. وبدأت
المساومة ، فطلبت مبلغ الف ليرة لبنانية ، وعرض عليّ مبلغ
مئة وخمسين ليرة .. وهبطت بمساومتي الى السبعمئة ليرة ،
وارتفع بها الى المائتي ليرة .. وأخيراً تم الاتفاق على ان
ينقدني مبلغ ثلاثمئة ليرة لبنانية ويصرفني من خدمته لاندبر
امري بنفسي .. وتقاضيت المبلغ وأنا اكاد لا اصدق انني
املك ثلاثمئة ليرة لبنانية . وخيل اليّ انني الراجحة في الصفقة .
ثلاثمئة ليرة لبنانية ثمن بكارتي وعفاقي ومستقبلي وحياتي . انه
مبلغ بخس ... ولو قدر لي الآن اعود الى الورا ، الى ذلك

اليوم الذي وقفت فيه امام ذلك الرجل الثري اسامه لما
رضيت بأقل من عشرة آلاف ليرة لبنانية .

انا على يقين الان من أن ذلك الرجل كان على استعداد لدفع
الآلاف العشرة على ألا يقف وابنه مع خادمة امام القضاء في
دعوى مثل هذه الدعوى .. على كل انا لم اکتف بالثلاثئة ليرة
لبنانية يا وردة . فقد استطعت بعد عشر سنوات من هذه
الحادثة ان اسلب ذلك الذئب الذي سلبنى عفاقي ودفع بي الى
وهدة الظلام ، استطعت ان اسلبه مبلغاً كبيراً من المال ..

وأشعلت الراقصة ابتسام لفافة راحت تنفت دخانها في
القضاء في حين كانت وردة نصار جالسة قريبا والألم يحز في
نفسها ..

وتابعت الراقصة الحسنة بعد صمت قصير قالت : خرجت
من دار ذلك الوجيه الثري وأنا ملي قداعب الاوراق النقدية
بزهو واعتداد .. ورحمت ابحت عن عمل . لم اكن اريد ان
أعود الى الخدمة في المنازل والبيوت . بل كنت اريد ان
اعمل عملاً آخر غير الخدمة وغسل الثياب والصحون ..

وقادتني قدماي الى مكتب الاستخدام . المكتب الذي
كان يتولى امري ويمجد لي من حين الى آخر داراً اعمل فيها ..
ولم يكن لي اهل ألبأ اليهم .

فأنا يتيمة الأب .. مات ابي وتزوجت امي .. فهربت من

ظلم زوجها وقساوته لأعمل في منازل الأثرياء .. واستقبلني صاحب المكتب بالترحيب الشديد، وقد أدرك ان « الرزقة » هبطت عليه من السماء . ان طلاب الخاديات كثيرون والخاديات يكدن ان يكن نادرات .

وسألني صاحب المكتب ، وهو يعرفني حق المعرفة، ماذا يا ابنتي ؟ هل تركت العمل في دار اسياذك ؟ قلت : « اجل ، وأريد منك ان تجدي لي عملاً مريحاً شريفاً » .

ففتح صاحب المكتب السجل امامه وبدأ يقرأ الأسماء على مسمي : « هناك نائب بحاجة الى خادمة .. ومدير .. وتاجر .. وأرملة تعيش وحدها و ... »

وقبل ان يكمل صاحب المكتب تلاوة الأسماء قاطعته قائلة : « لا .. لا .. انا لا اريد ان اعمل خادمة . اريد وظيفة مريحة » .

وضحك صاحب المكتب وهو يسمع كلماتي . وتمتم : « تريدن وظيفة ؟ ماذا تحمليين من الشهادات ؟ .. وماذا تتقنين من اللغات ؟ .. وماذا تجيدين من الفنون والعلوم ؟ »

فأخرجني واحترت بماذا اجيب وتمتمت : « انت تعلم انني لا احمل شهادة ولا أتقن لغة اجنبية ولا اجيد فناً من الفنون او علماً من العلوم » . قال بحزم : « اذن لن تستطيعي ان

تعملي اي عمل الا الخدمة في بيوت الاثرياء . قلت : « ولكنني لا اريد ان اعمل خادمة . لقد سئمت غسيل الصحون وتنظيف الثياب وتكنيس الغرف » .

فتمت صاحب المكتب : « اسمعي يا ابنتي . من حظك انك لا تحملين شهادة ولا تتقنين لغة ولا تجيدين فنأ . انت لو انك تحملين شهادة لما استطعت ان تجدي وظيفة ، اما وأنت لا تصلحين سوى للخدمة في المنازل ، فان مئات المنازل مفتوحة امامك للخدمة .. اذا احتاج الانسان الى موظفة في هذا البلد ، وجد ألف موظفة ، اما اذا احتاج الى خادمة فهو لن يقع على خادمة » .

فأصررت على موقفي لا اترحز عنه . قلت : « لن اعمل خادمة بعد اليوم » . فصمت صاحب المكتب برهة راح خلالها يقلب صفحات السجل وكأنه يبحث فيها عن وظيفة تليق بمقامي « الرفيع » ثم رفع نظره اليّ ليقول : « هناك وظيفة قد تليق بك . انت لن تكوني خادمة بالمعنى الصحيح ولن تكوني موظفة بالمعنى الصحيح ، ستكونين بين بين » ..

قلت باستفهام ملحاح : « ما هي ؟ ما هي هذه الوظيفة ؟ » قال : « هناك ملهى ليلي في محلة الزيتون بحاجة الى فتاة تساعد الراقصات والمطربات على ارتداء ثيابهن وتحافظ على تلك الثياب وعلى نقود الفنانات وحلاهن .. هل توافقين على العمل في هذا الملهى ؟ »

فترددت قليلاً في قبول « الوظيفة » ثم التفت إليه لأقول:
« كم هو مرتب هذه الوظيفة ؟ » قال : « ستقاضي عشر
ليرات لبنانية كل اسبوع ، اي ان مرتبك سيكون اربعين
ليرة لبنانية في الشهر ، ولكنك ستحصلين على مبالغ كبيرة
من المال اذا احسنت التصرف فالفئات سخيات الكف ،
سيجدين عليك بالمال الوفير اذا احسنت معاملتهن . ستعملين ليلاً
من الساعة التاسعة حتى الثالثة من الفجر ، وستكونين حرة
طليقة الجناح طيلة النهار » .. قلت : « لا بأس . العمل في
الملهى افضل من الخدمة في بيوت الناس » . قال : « تعالي معي ،
سأقودك بنفسى الى مدير الملهى » ..

وسرت معه الى مدير الملهى .. وأعجب المدير بي وعهد
الي بالوظيفة « الرفيعة » الشأن .. لقد دخلت الى ذلك الملهى
خادمة يا وردة ثم تدرجت وترفعت الى ان أتقنت الرقص ،
وأصبحت راقصة شهيرة كما ترين .. وتدفقت الاموال بين
يدي .. وتعرفت الى الكثير من الشبان والرجال ، وأصبحت
عشيقة الكثيرين ولعبت بقلوب الكثيرين . كنت اريد ان
انتقم من ذلك الشاب الذي اعتدى علي بانتقامي من العشاق
المتدلهين يهواي . ولم اكن لأرحم احداً منهم . ما ان استولي
على اموالهم حتى ادير لهم ظهري ..

ومضت الايام يا ابنتي .. مضت عشر سنوات على امتهاني
الرقص ، تنقلت فيها من ملهى الى ملهى ومن مرقص الى

مرقص . وذات ليلة فيما اعمل في ملهى ليلى كبير في ساحة الشهداء جاءني الخادم ، خادم الملهى ليقول : « هذا الشاب الجالس هناك في الزاوية الخضراء يدعوك لتناول كأس ويسكي معه يا ست ابتسام » .

والتفت الى حيث اشار الخادم ، الى الزاوية الخضراء لأشاهد الذئب . الذئب الذي اعتدى علي وكان السبب في وصولي الى هذه الحال ، نجل الوجيه الثري الذي كنت اعمل خادمة في داره منذ عشر سنوات ..

وابتسمت . لقد ارسل الله لي غريمي لأنتقم منه . ان انتقم بعد اليوم من جميع الشبان ، بل انا سأنتقم من شاب واحد ، منه هو بنفسه ..

والتفت الى الخادم لأقول : « انني قادمة اليه .. وارتيدي ثيابي على عجل وسرت الى الزاوية الخضراء .. وتقدمت من مائدة ذلك الشاب وأنا أتهدى في سيرتي كأنني عروس في يوم عرسها ..

ووقف الشاب يرحب بي شديد الترحيب ويدعوني الى الجلوس قربه .

وسرني منه انه لم يتعرف اليّ . فهو لم يرني منذ عشر سنوات . كنت عندما شاهدني في المرة الأخيرة ، في السادسة

عشر من عمري ، مخادمة حقيرة ، هزيلة ، رثة الثياب مشعثة
الشعر وسخة اليدين قذرة الرجلين ، وهو يراني الآن عادة
حسنا في السادسة والعشرين من العمر ، ارتدي الثياب الانيقة
الغالية الثمن ، اصبح شفتي بالاحمر ووجنتي بالابيض ، وأصطف
شعري المصبوغ بلون الذهب تصفيفاً رائعاً جميلاً ، وتلمع في
معصمي وفي جيدي وفي اذني وفي اصابعي الخلى والجواهر ..
وكان من الطبيعي ان لا يتعرف اليّ ..

وجلست قربه ، وراح يغدق علي كلمات الثناء والمديح .
وأخذ يثني علي فني وعلى جمالي وفتنتي . وصب لي الخمر بيده ،
وأخذ يسخو علي بالشراب وبالثناء ..

وامتدت السهرة بنا حتى مطلع الفجر . وعلمت منه انه
اصبح صاحب منصب فرموق في الدولة .. ولم يخرج من ذلك
الملهي الا بعد ان ضربت له موعداً للقاء في اليوم التالي ..

وفي اليوم التالي واقفته الى الموعد المضروب .. وبدأت
ابتز امواله . وراح ينفق علي بسخاء ما بعده من سخاء .
فاشترى لي الخلى الثمينة والجواهر النادرة والثياب الغالية
الثمن . وجاد علي بالمال بدون حساب حتى بلغ ما أخذت منه
زهاه عشرة آلاف ليرة لبنانية .

اخذت منه هذا المال الوفير دون ان يستطيع ان يذال
مني قبلة واحدة . كنت اعلمه بالوصال ثم أسوف ، وأماطل .

وأخيراً اخلف وعدي معه ..

وضاق ذرعاً بي وبوعودي المرقوبية فوثب الي ذات ليلة
فيا كنت اجلس في الملهى ليقول : « اسمي يا ابتسام . لقد
انقضت شهور عدة . وأنا انفق عليك وأغمرك بالهدايا الثمينة
النفيسة ، وأنت تعملينني بالوعود الكاذبة والمهود الخادعة . انا
الليلة سأرافقك الى دارك وأقضي ليلتي عندك سواء شئت أم
ابيت » .

وضحكت ، ونقثت دخان لفاتي في وجهه . وهمت بكل
حزم ووقار : « اجلس » . وأبى ان يجلس ، وقد استبد به
الغضب الشديد ..

وعدت الى اصدار الامر اليه : « اجلس » . وجلس فقدمت
له لفافة بكل احترام . وهمت : « تفضل . دخن » . وحاول
الاعتذار . وقال :

لا . شكراً .

قلت بلمجة آمرة :

دخن . دخن هناك امر هام اريد ان اتحدث به اليك .
فتناول اللفافة من يدي وأشعلها بنزق وغضب . وتمتم :

« أمر ؟ .. بماذا تأمرين ؟ »

قلت : « ماذا تريد مني ؟ »

قال : « لقد وعدتني بالوصال وأنا انفقت عليك المال الوفير أملاً بهذا الوصال . إما ان تفي بما وعدت وإما ان تعيدي لي المال والهدايا .

ففهمت .. ونفقت دخان لفاتي في الفضاء . وهمت : أولاً : ان الهدايا لا ترد . ثانياً : انا ان كنت اخذت منك المال والحل . فما ذلك إلا ايفاء لدين لي بذمتك ..

قال باستفهام : « انت لك بذمتي دين ؟ »

قلت : « اجل .. »

قال : « ما هو هذا الدين ؟ »

فاستويت في مقعدي متخذة طابع الجد والحزم . وقلت :

« انظر اليّ جيداً . ألا تعرفني؟ ألم يسبق لك ان شاهدت هذا الوجه منذ عشر سنوات ؟ تذكر جيداً . جرب ان تذكر .. »

فحدق بوجهي .. ثم قلب شفتيه ، وهز كتفيه ليقول :

« ابدأ ، انا لا اذكر شيئاً ولم يسبق لي ان شاهدتك إلا منذ شهور قليلة . »

قلت : « انت شديد اللسيان يا استاذ .. ألا تذكر خادمك نبيهة .. »

وصعق الشاب وقد تلفظت امامه باسمي الحقيقي وراح
يحدث بعيني على خوف ووجل . وأخذ يرتجف كأنه ورقة في
مهب الرياح ..

وقامت كلامي لأقول : « اجل . انا نسيبة الخادمة . نسيبة
التي اعتديت عليها ونقدها ابوك ثلاثئة ليرة لبنانية ثمن شرفها
وعفافها . ان شرف الفتاة العذراء غال وثمن لا يقدر بمال الدنيا .
يخيل اليّ انك توافق على ان ثلاثئة ليرة ثمن بخص للشرف
أليس كذلك ؟ ..

انا تقاضيت منك الآن بعض ما لي بدمتك من مال ثمناً
لشرفي ولسمعتي ولستقبلي فماذا تريد مني بعد ؟ .. تستطيع
الآن ان ترحل عني بسلام ..

ولم ينبس بحرف ، لم يستطع ان ينبس بحرف . ونهض ،
نهض ليسير بخطوات متتدة بطيئة ، فكأنه وهو يسير يحمل
اثقالاً مرهقة رهيبة ..

وضمكت ، ضمكت بملء رئتي . انا لم اضحك مرة في
حياتي كما ضمكت تلك المرة .. وارتمت شديد الارتياح وقد
انتقمتم من الذئب هذا الانتقام ، وخيل اليّ انني لن ارى
وجهه ابداً ، خيل اليّ انه سيهرب مني كما يهرب من الوباء
الخفيف ، الا انني كنت على خطأ . فكأن الله العلي العظيم كان
يريد له انتقاماً اشد وأقوى ..

فقد عاد ذلك الشاب اليّ بعد اسبوع والدمعة في عينيه
والحسرة في قلبه وقال لي :

« يا ابتسام أنا احبك . لقد حاولت ان أنسى حبك ،
حاولت ان اطرد طيفك عن وسادتي ، حاولت ان اتخلص من
هواك فمجزت : لقد اتيت الآن لأطلب يدك . اريد ان اكفر
عن جرمي السابقة بحبك وأتزوج منك » .

فقهقت وتمتمت : الآن ؟ .. الآن بعد عشر سنوات جئت
تكفر عن جريمتك ؟ . الآن بعد أن اصبحت النعجة في المسلخ
جئت تعمل على انقاذها ؟ لا . لا يا بيبك . انا لست بحاجة
الى يدك الكريمة بعد ان وصلت الى ما وصلت اليه . يوم
رجوتك ان تتزوج مني وتكفر عن جريمتك رفضت . يوم
بكيت امامك وأمام والدك طالبة إليكما انقاذي ادرتمالي
ظهركما ودفعتماني بي الى هذا الظلام الذي اعيش فيه . ما مضى
قد مضى الآن . انس الماضي كما نسيت ان انا وابحث لك عن
فتاة تليق بمقامك الرفيع . »

قال : أنا احبك احبك ولن أتزوج من سواك .

فطفت على شفقي ابتسامة هزه وسخرية . وهمست : « ولكنني
لا احبك ولا أريد الزواج منك » .

قال : « سأغمرك بالمال وأفرش طريقك بالذهب . سأجعل
منك سيدة محترمة ، سأسلك مقادير قلبي وصندوق وداري » .

فضيحت في ابتسامي الهازيء . ومهتت : « أنا لن اتزوج
من شاب يعتدي على شرف الخادמות » .

فأصابته الطعنة في الصميم وأنا أذكره يجريمته المنكرة
السوداء .. ونهض ، نهض ليسير دون ان ينبس بحرف ..

ومنذ ذلك اليوم لم أعد أرى له وجهاً . الا انني علمت ان
الفقر دمه ، وأنه طرد من منصبه وأنه اصبح شريداً لا يملك
من حطام هذه الدنيا شيئاً . هذه نهاية المجرم الفاسق الشرير ..

وراحت الراقصة ابتسام تنفث دخان لفافتها الفاخرة في
الفضاء في حين جلست وردة نصار قريبا ، وغرقت الاثنتان ،
ابتسام وخادمتها وردة في صمت عميق . وراحت كل منهما
تفكر . كانت ابتسام تفكر بماضيها ووردة تفكر بمستقبلها
الغامض المجهول ..

وعادت الراقصة الحسنة الى الكلام بعد صمت قصير
لتقول : « هذه هي قصتي يا وردة . رويتها على مسامحك
لتكون عبرة لك يا ابنتي .. والآن قولي لي يا وردة ألا تزالين
تصرين على مفادرة هذه الدار ؟ » .

ومضت وردة الخادمة في صمتها . فهي لا تعلم بماذا تجيب .
هل تمضي في اصرارها على التخلي عن العمل في دار السيدة
ابتسام ، ام لم تنقض القرار الذي اتخذته وقطل في عملها ؟ ..

ليست تدري . ليست تدري ..

وطال صحتها ، وعادت ابتسام الى الكلام لتقول :
« اسمعي يا وردة . اذا كنت تريدين المحافظة على شرفك وعل
سمعتك وعل نقاوة جبينك فليس لك إلا هذه الدار تقيمين
فيها على الرحب والسعة وتنعمين في حناياها بالراحة والسلام
والاطمئنان . انا لم اعاملك ولن اعاملك معاملة السيدة
للخادمة كما ترين يا ابنتي بل انني اعاملك معاملة الام لابنتها .
انت عندي بمثابة ابنتي يا وردة » .

وعادت الدموع تترقرق في عيني وردة نصار .. وراحت
الراقصة ابتسام تكفكف دموعها بمنديلها وهمست : « اطمئي
يا وردة . اطمئي يا ابنتي انت ستميشين في هذه الدار كما
تعيشين في دارك » .

وعاشت وردة في تلك الدار كما تعيش في دارها ، ونعمت
بجنان الراقصة ابتسام وبعطفها وبحبها . لم تكن وردة تعيش
في تلك الدار كخادمة ، لا ، بل هي كانت تعيش كسيدة .
كانت وردة نصار الامرة الناهية في تلك الدار ، وكانت
الراقصة ابتسام تغدق عليها المال والعطف والحنان ..

وعرفت وردة نصار لذة العيش، ونعمة اليسر . فتدفق
المال بين يديها. ورفلت بالثياب الانيقة الغالية الثمينة ، وعرف
وجهها المساحيق والمعقاير والمطور . وكان يخيل للكثيرين

ان وردة هي سيدة الدار وانها تتربّع من الغنى والراء في اعلى
مقام .

وخيل للخادمة وردة نصار ، انها في مأمن من كل خطر
وشمر وهي تقيم في دار الراقصة ابلسام ، إلا انها كانت على
خطأ ، وهل كان يوماً في مأمن من الاحتراق ذاك الذي تحيط
به النار من كل جانب ؟ ..

وبدأ اصدقاء الراقصة ابلسام يتوددون الى وردة نصار
وهم يرونها ترتع في جمال واسع شاسع رحيب ، بدأ اولئك
الشبان الازرياء يتقربون من وردة ويسكبون في اذنيها كلمات
الحب والشوق والحنين .. ووردة ، وهي مثل جميع بنات
حواء ، يفرها الثناء وتطريها كلمات الغزل والفرام ، ارهفت
اذنيها لتلك الكلمات وانتشت بنفحاتها الشجية السمحاء ..

وشاءت وردة نصار ان تتشبه بسيدتها في كل شيء . في
حديثها ، وفي سخاها وفي اناقتها ، حتى وفي مهنتها ..

وكانت الراقصة ابلسام تقوم بتمرينات الرقص في دارها ،
فهي تدخل الى غرفتها مرة او مرتين في الاسبوع لتنزع عنها
ثيابها وتنصرف الى التمرين ..

وتقف وردة تستعرض جسد سيدتها وهو يتلوى وينثني
على فتنة وروعة وجمال . وتؤخذ بتلك الرقصات الغاتنات

التي تقوم بها سيدتها . وما ان تخرج الراقصة ابتسام من الدار
حق تسرع وردة الى غرفتها فتزع عنها ثيابها وتبدأ بالرقص
عارية امام المرأة .

واصبحت وردة الخادمة تجيد جميع انواع الرقص الذي
تجيده سيدتها ، بل هي كادت تتفوق على الست ابتسام في
الرقص الشرقي . وكان شبابها الغض النضير يساعدها على القفز
والانحناء والتثني والالتواء ..

وذات يوم ، فيا وردة نصار ترقص عارية امام المرأة
دخلت عليها سيدتها .. وذعرت وردة وقد اذركت ان الست
ابتسام دهمتها بالجرم المشهود . واسرعت الى ثيابها محاولة
ارتدائها والهرب من تلك الغرفة . لقد خيل اليها ان سيدتها
ستغضب شديد الغضب وستوبخها توبيخاً شديداً وتؤنيها تأنيباً
عنيفاً. إلا أنها دهشت ، وهي تشاهد الست ابتسام تقترب منها
لتمسك بيدها قائلة : لا . لا ترتدي ثيابك يا وردة اكلي
الرقص .

وخجلت الخادمة الحسناء شديد الخجل ، وهي تقف
عارية امام سيدتها . إلا ان الراقصة ابتسام بددت خجلها
وراحت تشجها على استئناف الرقص . قالت : اكلي رقصك .
يخيل اليّ انك موهوبة يا ابنتي .

وأكلت وردة رقصها الرائع الفاتن الجميل ..

ووقفت الراقصة ابتسام على دهشة ورجوم واستغراب ..
كانت وردة تجيد الرقص كل الاجادة ..

وصفقت الراقصة ابتسام لخادمتها وهي تشاهدها في رقصها
الرائع الجميل. وهمست : يا مقصوفة الاذن يا وردة . انت
ستشكين خطراً على سيدتك وستستطيعين يوماً مزاحمتها على
المسارح .

وعاد الخبيل يصبغ وجنتي وردة وهي تسمع الثناء من فم
سيدتها الراقصة الشهيرة .. شهادة الست ابتسام بألف شهادة.

وهمست الراقصة ابتسام ، وهي تشعل لفافة فاخرة :
ارتدي ثيابك واجلسي هنا قربي يا وردة .

ونفذت الخادمة الحسنة الاسر السامي فوراً .. ارتدت
ثيابها وجلست قريبا .

ونفثت الراقصة ابتسام دخان لفافتها في الفضاء. وهمست:
وردة ! لا أريدك ان ترقصي بعد اليوم .

وهمست وردة : لماذا يا ست ابتسام ؟

وتمت الراقصة : اني لأخشى ان تمتني يوماً الرقص
يا ابنتي ، وأنا لا اريد ان تصبحي راقصة .

قالت وردة : لماذا يا سيدتي؟ أليس الرقص مهنة شريفة ؟

ونفثت ابتسام دخان اللفافة في الفضاء. وتمتت : ان

الرقص فن مثل جميع الفنون يا وردة ، وهو مهنة شريفة ،
إلا أن الجلو الذي نعيش فيه نحن معشر الراقصات جو موبوء ،
اني لأخشى ، ان تضطري الى العيش في هذا الجلو الموبوء اذا
امتهنت الرقص يا ابنتي ، لا اريدك راقصة يا وردة ، لا يا ابنتي ،
انا اريدك سيده دار محترمة ، اريدك زوجة وأماً . انا سأتعهد
امرك يا ابنتي ، سأجد لك عريساً يستطيع ان يسعدك وأن
يوفر لك الراحة والهنا والاطمئنان . ازعي فكرة الرقص
هذه من رأسك يا ابنتي ، هذا اذا اردت ان تنقذي رأسك من
الارجاع والآلام والهموم ، أنا وحيدة في هذه الحياة ، ليس
لي أب ولا أم ولا أخ . ليس لي احد في هذه الحياة . انت
ستكونين ابنتي واخيتي في آن واحد . سأهبك المال الوفير ،
وسأفرح بك ، وستعيشين معي هنا في هذه الدار مع زوجك
وأشاهد اولادك وافرح بهم . اسمعي مني يا وردة ولن تخسري
يا ابنتي .

وصمتت وردة نصار ، لم تنبس بحرف ، قد تكون سيدتها
على حق وعليها ان تقتثل لأوامرها .

وعادت الراقصة ابتسام الى الكلام بعد صمت قصير لتقول :
ارجو ان تسمعي كلامي وتعملي به يا ابنتي ، ما لك وللرقص ،
انه مهنة العذاب والآلام والدموع .

وقتمتت وردة نصار : كما تريدن يا سيدتي كما تريدن .

وضمت الراقصة ابتسام خادمتها الى صدرها . وهمت :

اطمئني ، مستقبلك سيكون مضموناً³ يا وردة ، لا تخافي
يا ابنتي ، الست ابتسام لن تتخل عنك .

وقتمت الخادمة وردة : الف شكر لك يا سيدتي على هذه
الماطفة النبيلة السمحاء .

واطمأنت الخادمة وردة نصار ، وسيدتها تمدها بالمستقبل
الزاهر الزاهي الجميل.وعزمت العزم الصادق الاكيد على الابتعاد
عن الرقص .

سيدتها تقول: ان الرقص مهنة المذاب والآلام والدموع..
فليتبعد وردة نصار عن الدموع والآلم والمذاب .



دخان اللقافة الفاخرة يعقد أجنحة بيضاء تحفق في فضاء
الغرفة الرحبة الفسيحة الأرجاء الفاخرة الرياش ، ومحاسن
نصار لا تزال مستلقية على سريرها الوثير ترقب اجنحة الدخان
وتفكر بذلك الماضي القريب المنطوى من حياتها المغمورة
بالآهات وبالأنين وبالدموع .

وعادت الذكريات تنساب في رأسها على شوق ومرارة
وحنين فتذكرت .. تذكرت كيف حاولت الابتعاد عن
التفكير بالرقص يوم كانت خادمة في دار الراقصة ابتسام
وكانت يومذاك تحمل اسمها الحقيقي ، الاسم الذي اطلقه عليها
والداها يوم ولادتها : « وردة » ..

ونحرت الذكريات غباب رأسها فتذكرت .. تذكرت
كيف أرادت ان تنزل عند رأي سيدتها ابتسام وتبتعد عن
الرقص ، مهنة الآلام والدموع والعذاب ، الا ان الأقدار

وقفت بينها وبين ارادتها ، فقد ماتت سيدتها ابتسام فجأة .
وفقدت بفقدما عطف الأم وحنان الأخت ..

وابتسام الراقصة لم تمت موتاً طبيعياً . لم تصب بالسكتة
القلبية ، ولا هي ماتت تحت مبيض الجراح ، ولا أصيبت بداء
خطر وبيل . ماتت الراقصة ابتسام مقتولة . فقد اطلق عليها
ذلك الشاب الذي اعتدى عليها عندما كانت خادمة ، الرصاص .
ذلك الذئب لم يكتف بالاعتداء على شرفها ويسفح عفافها ،
بل هو عمد الى سفح دمها . لم يكتف السفاح بسفح سمعتها
وكرامتها وشرفها ، بل هو سفح حياتها ...

كان ذلك الشاب قد أصبح شريداً . وجاء ذات ليلة الى
المهى الذي تعمل فيه ابتسام . ووثب اليها يقول : « انا أحق
الجميع بك .. انا أنفقت عليك عشرة آلاف ليرة لبنانية ،
فضحكت ابتسام وتفتت دخان اللقافة في وجهه . وتمتت :
« تفضل واخرج من هذا المهى قبل ان أدعو الخدم الى طردك ،
وصعق الشاب وصرخ بها : « انت ابتها الخادمة الحقيرة
تطرديني ؟ » .

وخشيت ابتسام الفضيحة فدفعت اليه بورقة نقدية من فئة
المئة ليرة . ووقلت : « خذ هذه الورقة واذهب عني بسلام ،
وصفها بالورقة النقدية صارخاً بها : « انا لست بحاجة الى
مالك القدر . تعالي معي .. »

قال هذا وأمسك بيدها محاولاً جرحها معه .. وأخذت
ابلسام قولول وتصرخ وتستنجد .. ووثب الخدم والزبائن الى
نجدتها فما كان من الشاب الاثيم الا انه شهر مسدسه وراح يطلق
الرصاص على ابلسام. وأصابها بخمس رصاصات كانت كل رصاصة
منها كافية لقتلها .. ووقعت الراقصة ابلسام تتخبط بدمها
وتلفظ أنفاسها الأخيرة . ووثب الجميع الى القاتل يحاولون
اعتقاله الا ان الذئب صوب المسدس الى رأسه وأطلق رصاصة
واحدة كانت كافية للقضاء عليه ..

ودب الذعر في قلوب الراقصات والفنانات اللواتي يعملن في
المهى ، وهرب الزبائن الكرام .. وأسرع رجال الشرطة
ليقفوا امام جثتين مخضبتين بالدم .. ونقلوا الجثتين . جثة
الراقصة القتيل وجثة القاتل الى المستشفى حيث شرحتا .

ونشرت الصحف نبأ الفاجعة ، ووصل النبا الى اهل
الراقصة ابلسام ، الى والدتها والى زوج والدتها والى اولادها
فأسرعوا الى المطالبة بالميراث .. واستولوا على كل شيء . على
اموال نسيبتهم الراقصة ، وهي تشكل ثروة كبرى . وعلى
حلاها ومجوهراتها وثيابها وأثاث دارها . وكادوا يستولون
ايضاً على ثياب وحلى الخادمة وردة . الا ان وردة ، وهي
التي نكبت بموت سيدتها ، أبت ان تتخلى لهم عن ثيابها
... وحلاها ...

ومرة ثانية رأت وردة الخادمة نفسها وحيدة في هذه الحياة .
وجلست في تلك الدار المقفرة ، المقفرة من كل شيء . من
سيدتها ومن أثاثها ، تبكي سيدتها ابتسام بدموع قانية الاحمرار .
كانت وردة نصار الانسان الوحيد الذي بكى ابتسام بدموع
صادقة مخلصة وفية ..

وكانت وردة تملك ألف ليرة يوم توفيت سيدتها ابتسام .
كان ذلك المبلغ من « خير ، ابتسام ، وقد كانت ابتسام
وكان اصداؤها يجودون عليها بالمال بكل سخاء ، فاشترت
بعض الاثاث المتواضع .. سريراً من حديد . ومقاعد من
خشب . نثرتها في تلك الدار ، وقد آبت ان تخرج من دار
عاشت فيها اياماً رائعة السناء والجمال .. وكانت الراقصة
ابتسام قد نفذت صاحب الدار اجرة دارها عن سنة كاملة .
ولم يكن قد مضى من تلك السنة سوى شهرين . تستطيع اذن
الخادمة وردة ان تقيم في تلك الدار عشرة اشهر بدون ان
تخسر ليرة واحدة . ومن الآن حتى انقضاء الأشهر العشرة
يخلق الله ما لا تعلمون ..

وأقامت الخادمة وردة في تلك الدار على ألم وحزن
ودموع . وكانت تجلس ابدأ امام صورة سيدتها ابتسام ترضيها
وتبكيها وتنديها وتندب معها حفظها التعس المنكود ..

وكانت وردة تستقبل في تلك الدار بعض اصداقاء سيدتها

الراحلة ، وكانت قد اصبحت على صداقة وثيقة بهم بفضل سيدتها . وكان الكثير من اولئك الاصدقاء يطمع في الحصول على قلب الخادمة الجميلة وعلى جسدها الندي الشباب ، إلا ان وردة الحسنة لم تكن لتأبه لهم ولا لتعيرهم اقل اهتمام ، الحزن على سيدتها أدمى فؤادها وشغلها عن التفكير بالحب والغرام . ثم ان وردة لم تكن قد خطت ، يومذاك ، ولا خطوة واحدة في طريق الحب والهيام ، فهي لا تعرف أصول الحب ولا تدرك خفايا الغرام وكنهه .

وبدأ اولئك المعجبون يلقون الشرك حول وردة نصار ، وكان في طليعة اولئك المعجبين الذين يحاولون الاستئثار بالخادمة الجميلة ، صاحب الملهى الذي كانت تعمل فيه الراقصة الراحلة ، كان صالح ابو العز ، صاحب ذلك الملهى بين المعجبين بالخادمة وردة ، وقد حاول ، يوم كانت سيدتها على قيد الحياة ، ان يستأجرها ويجهلها ، الا ان الراقصة ابتسام حالت بينه وبين تحقيق الأمنية الغالية ..

كانت ابتسام تحافظ على وردة كما تحافظ الأم على ابنتها ، وكانت تحول ، أبدأ ، دون وقوع خادمتها الجميلة في الشرك المنسوب . اما الآن ، وقد ماتت الراقصة ابتسام فليس ثمة ما يحول بين صالح ابي العز وبين الوصول الى قلب وردة والى جسدها الندي الغض النضير ..

وبدأ صالح ابو العز ، صاحب الملهى العامر الفسيح القائم
من العاصمة اللبنانية في الصميم ، يتردد الى دار وردة نصار
حاملها لها الهدايا والعواطف والحب والشعور . وكانت وردة
تتقبل هداياه وعواطفه وحبه وشعوره بالشكر والامتنان .
وبالشكر تدوم النعم... .

واستطاع صالح ابو العز ان يسير خطوات سريعة في
طريق الوصول الى وردة ، خلفاً وراءه جميع المعجبين الطامعين
في الوصول الى ذلك الجسد النضير الشباب .

وفي مدة وجيزة اصبح صالح ابو العز القريب القريب الى
وردة نصار وأصبح صاحب الكلمة النافذة عندها . وبسط
صاحب الملهى الكريم سلطانه على دار وردة ، وتولى الانفاق
عليها بكل كرم وسخاء

ووثقت وردة نصار بصاحب الملهى ، وامنت بطيبة قلبه
وبصدق نواياه ، وأصبح ولي امرها ومرشدها وصديقها
المميز الكريم .

واطمأن صالح ابو العز شديد الاطمئنان ، وقد اصبح
صاحب الكلمة الاولى والأخيرة في الخادمة الجميلة الحسناء ،
وماذا يريد ابو العز غير هذا ؟ كل ما يريد صالح هو ان يصل
الى قلب وردة والى جسدها ، وأن يصبح صاحب الكلمة
النافذة عندها . وهندئذ ، هندئذ بعد ان يتم له كل هذا

سيعرف كيف يستثمر البقرة الحلوب وكيف يجني من ورائها الذهب والمال .

وتمّ لأبي العز ما أراد بسرعة لم يكن يتوقعها . واستطاع ان يجعل من وردة نصار عشيقة رسمية ، ووردة ، لم تكن قد تعرفت بعد الى الرجال ، ولم تكن تعرف شيئاً عن العلاقة القائمة بين المرأة والرجل ، لذلك فقد كان وقوعها في الشرك سهلاً ميسوراً . ولم يلق ابو العز العناء الكبير في وصوله الى الأمل بالباسم المنشود ..

وبدأ صالح ابو العز يستعد للوثوب الى الخطوة الثانية من الخطة المرسومة . لقد وصل الآن الى قلب وردة والى جسدها . لم يعد أمامه الا ان يبدأ استثمار البقرة الحلوب ..

وراح ابو العز يفكر : كيف يستثمر جمال وردة نصار وشبابها ؟ .. كيف ؟ .. وهل يحتاج الأمر الى سؤال ؟ .. ان ملهاه العامر مفتوح ، مشرع الابواب امام طالبي اللذات . ما عليه الا ان يدفع بوردة الى الملهى ووردة تتكفل باجتذاب الزبائن الكرام اليها . وردة ستعوض عليه خسارته الفادحة بوفاء سيدتها الراقصة ابتسام ..

واطمأن ابو العز شديد الاطمئنان وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .. ورأى ان يبدأ تنفيذ الخطة المرسومة فوراً . لماذا التأجيل وفي التأجيل والتسويف فشل كل مشروع ..

وبدأ التنفيذ ، فوثب ذات مساء الى وردة ليقول : وردة
سأدعوك الليلة الى تناول العشاء عندي في الملهى . ستسهرين
الليلة في الملهى يا وردة وستشاهدين البرامج الحافلة بكل فتنه
وروعة وجمال ..

واعذرت وردة نصار عن تلبية الدعوة السمحاء وتمتت :
لا يا صالح لا . انا لن اخرج من الدار . إن نفسي حزينة
جداً ، وتراب قبر سيدتي لم يحف بمد .

فأمسك صالح ابو المزيب وردة الحسناء هامساً : « كلنا
سنموت يا وردة ولن يخلد احد على هذه الفانية . انا
وأنت سنلحق يوماً بالست ابلسام وسيلحق الذين يأتون
بعدتا بنا ايضاً . لماذا الحزن والأسى اذن ؟ لماذا نبكي ونذرف
الدموع الغزيرة على امواتنا ما دمنا سنلحق يوماً ما بهم ؟ »
وتمت وردة : « قد تكون على حق يا صالح ، الا ان
الانسان عاجز عن السيطرة على عواطفه وعلى اشواقه وعلى
دموعه : دموعنا تمرده عاصية ، ونحن عاجزون عن كبح
جواحها وعن اخاد ثورتها .. »

فشدت يده يدها ليقول : « ان ابلسام لن تعود الينا ولو
حبسنا انفسنا العمر كله داخل جدران منازلنا . تعالي معي ،
ستقضين الليلة سهرة ممتعة في الملهى ، وستناول طعام العشاء
معا ، ونعود بعد منتصف الليل معا الى هنا .. وارغما

على النزول عند ارادته .. وارتدت ورقة نصار ثيابها الفخمة
الانيقة ، الثياب التي كانت قد اهدتها اليها سيدتها الراحلة ،
وصبغت شفتيها بالاحمر وخديها بالابيض. وسكبت المطور
الفواحة الاريج على شعرها وعلى راحتيها وسارت برفقة
الصديق العزيز الى الملهى العامر الرحيب ..

وهناك ، في ذلك الملهى جلست ورده نصار وراء طاولة
صغيرة قرب ابي العز تشاهد البرامج الحافلة بكل روعة وفتنة
وجمال .. وشاهدت الراقصات يقفزن فوق المسرح ويتايلن
بقدرودهن المياسة . فضحكت ، والتفتت الى ابي العز لتقول :
« هذا ليس رقصاً . انه مهزلة » . قال : « ابسام كانت سيدتهن
يا ورده . ولكن اين لي براقصة تسد الفراغ الذي خلفته ابسام
لهذا الملهى ؟ » . وتمتمت ورده : « انا استطيع أن ارقص
افضل منهن جميعاً » .

فجمحت عينا ابي العز ، وهو يحدق بورده . وهمس :
« مستحيل » .

قالت : « انني اجيد كل الرقصات التي كانت ترقصها
سيدتي يا ابا العز » . قال : « هل تمزحين ؟ » . قالت : انني اؤكد
لك ذلك . قال : « تستصدين اذن الى المسرح الآن وترقصين » .

فوجت . ماذا يقول ابو العز ؟ هل جن ؟

وعاد ابو العز الى الكلام ليقول : « اذا كنت صادقة في ما تدعين ، فانا سأجعل منك راقصة عالمية ، وستدقق الاموال بين يديك يا وردة ، ستصبحين غنية ، غنية جداً . » فهمت : « انا لن اعمل راقصة يا صالح . » قال : « لماذا ؟ . » قالت : « لأن الست ابتمام حذرقتي من هذه المهنة الصعبة الشاقة المغمورة بالآلام والعذاب والدموع . » فعادت يده تشد يدها بحرارة ليقول :

« اسمعي يا وردة جميع المهن متعبة شاقة . كل الاعمال التي يعملها الانسان على هذه الارض مغمورة بالعذاب والآلام والدموع . لقد كنت تصلين خادمة يا وردة . هل كان عمك مريحاً ؟ هل تريدن أن تعودي الى الخدمة في المنازل ؟ .. »

فصمتت وردة نصار . واحترارت بماذا تجيب . هي لا تريد العودة الى الخدمة ، بعد أن ذاقنت لذة الحرية والانعتاق . هي تريد أن تصبح سيّدة ، وان تصبح صاحبة سيارة فخمة ودار انيقة ، وأن تأتي بخادمة تقوم على خدمتها تماماً مثل سيدتها الراحلة . ولكن ذلك غير مستطاع الآن ..

وعاد ابو العز الى الكلام ليقول : « اسمعي يا وردة ، انت الآن تقيمين في دار سيدتك الراحلة دون أن تكوني مضطرة لدفع بدل الايجار . بعد شهور قليلة ستنتهي مدة الايجار ، وبتحتم عليك إما أن تدفعي بدل الايجار ، وأما أن

تحلي الدار. ان بدل ايجار هذه الدار الفخمة التي تحتلها الآن هو ثلاثة آلاف ليرة لبنانية كل عام . هل تستطيعين أن تؤدي مثل هذا البديل ؟ ..

فوجئت وردة نصار .. الجواب معروف : لا .. هي لن تستطيع أن تؤدي هذا البديل الضخم ، وهي لا تملك من المال سوى الف ليرة ، وليس لديها مورد يقبها شر الفاقة وانعوز . ماذا ستفعل وردة نصار ؟ هل تعود الى الخدمة في دور الاغنياء ؟ لا والف لا .. كل شيء إلا هذا .. ماذا ستفعل اذن ؟ ليست تدري . ليست تدري .

وكانت وردة منصرفة الى التفكير باهتمام وقلقى ووجوم ، في حين كان صالح ابو العز جالساً قريباً يدخن ويراقب وجهها بطرف خفي .. وساد الصمت برهة بينها . ولم يلبث ان قطع صالح ابو العز حبل الصمت . قال : ليس امامك إلا طريق العمل في الحقل الفني يا وردة . ما لك إلا الرقص تخوضين غماره فتصبحين راقصة شهيرة ، تماماً مثل ابتسام ، وتتدفق الاموال الطائلة بين يديك ، وتنعمين بالسعادة والراحة والاطمئنان ..

ومضت وردة نصار في صمتها البارد العميق . واستغرقت في تفكيرها . صالح على حق . طريق الفن هو طريق المال والفن والسعادة والهناء .. ولكن .. ولكن سيدتها حذرتها

من المسير في هذا الطريق قبل ان ترحل عن هذه الفانية .
هل كانت ابتسام مخطئة يوم حذرتها من المسير في هذا الطريق؟ .
لا . من المؤكد ان ابتسام لم تكن مخطئة ، وهي التي سارت
طويلا في هذا الطريق . واختبرت جوانبه وأخاديه
ومنعطفاته .. ولكن ماذا عليها ان تفعل الآن وهي واقفة
في مأزق حرج ؟ ليس امامها غير حلين : اما ان تعود الى
الخدمة في المنازل ، وإما أن توافق على اقتراح ابي العز وتصبح
راقصة شهيرة غنية واسعة الثراء ؟

واحتارت وردة نصار في امرها . اي طريق ستختار ؟
ليست تدري ..

وعاد صالح ابو العز الى الكلام : « اسمعي من صديقك
ابي العز يا وردة ، ولن تخسري ،
فالت : « أنا لا اريد أن أصبح راقصة » .

قال : « اذن ستعودين كما كنت . خادمة تفسلين الصحون
وتكلسين الدور وتنظفين الثياب القذرة الوسخة وتميشين
العمر تحت رحمة اسيادك تعانين مرارة الفقر والجوع والحرمان .
فهاها بيانه ، وهي تلمس في ذلك البيان الصراحة والصدق
والاسباب ، هي لن تعود الى حياتها السابقة .. لا ، لن تعود
الى الاقامة في المطابخ . لن تقيم وردة نصار في سوى القاعات
الفخمة الرائعة التحف والرياش ..

وعاد الصمت يلفها بوشاحه البارد الكئيب.. وبعد صمت
قصير، التفت صالح الى وردة ليقول : « على ماذا عولت ؟ »
قالت : « اترك لي مجال التفكير يا صالح » .

قال : « كما تريد يا وردة . فكري ملياً بالأمر . عندما
تقررين ان تكوني راقصة ستجدين ابواب هذا الملهى مشرعة
امامك . وستجدين حبيبك وصديقك المخلص الوفي صالحاً أبا
العز قربك ليمسك بيدك ويصمد بك سلام الشهرة والحمد
والثراء » ...

وكانت الساعة قد اشرفت على الثانية بعد منتصف الليل.
وكان البرنامج قد اشرف على الانتهاء ، والزبائن الكرام بدأوا
ينغادرون الملهى ، وهم يرمقون تلك الفتاة الرائعة الحسن والجمال ،
الجالسة قرب صاحب الملهى ، القريبة عنهم ، التي يرونها للمرة
الأولى ، يرمقون ، تلك الحسناء بنظرات الدهشة والوله ،
والاعجاب .

والتفتت وردة نصار الى صديقها صالح لتقول : « لقد
بدأ النعاس يثقل اجفاني يجب ان اعود الى الدار » . وضحك
ابو العز وتمتم : « غداً عندما تصبحين راقصة شهيرة ستمودين
على السهر ، وستسهرين حتى مطلع الفجر البعيد » .

وابتسمت وردة وتمتمت : « لن أعود على السهر ، لأنني لن
اصبح راقصة » .

قال : « سيخلق الله ما لا تعلمين يا وردة »

ونفضت وردة . ونهض معها ابو العز ، وخرجا من الملهى ،
ليبدلنا الى سيارة ابي العز الانيقة الفخمة ، الجائئة امام الملهى
بكل فخر واعتداد .. وجلس ابو العز الى مقود السيارة .
وجلست وردة قربه ، وانطلقت السيارة بهما في شوارع بيروت
المقفرة الى محلة الروشة حيث تقع دار وردة . وأوقف ابو
العز محرك السيارة أمام تلك البناية الفخمة الشاهقة وتمم :
« لن أقضي ما بقي من الليل عندك يا وردة . سأتركك الليلة
وحدك كي تفكري بمصيرك وتقرري ما يوحيه اليك العقل
والمنطق » .

وهست وردة : « كما تريد يا صالح » . قالت وردة هذا ،
وترجلت من السيارة هامة : « تصبح على خير » .

قال : « وأنت من اهل الخير يا وردة » ..

وأدار محرك السيارة وأطلق لها العنان .. ودخلت وردة
نصار الى البناية الشاهقة ، واستقلت المصعد الى الطابق السادس ،
ودخلت الى دارها لتتجه توأ الى غرفتها فتتزع عنها ثيابها
وترتدي ثياب النوم وتستلقي في سريرها محاولة الرقاد . إلا
انها لم تستطع الى الرقاد سبيلا ، فقد اجتاحت رأسها أطياف
وصور ومشاهد رائعة فاتنة . أطياف الغنى وصور الشهرة
ومشاهد الثراء ..

وراحت وردة نصار تلك الليلة ، تستعيد كل ما قال لها
ابو العز : « انت ستصبحين راقصة شهيرة وتنعمين بالغنى
وبالشهرة وبالمال » .

واطمأنت وهي تستعيد كلمات ابي العز .. وأغمضت
اجفانها واستغرقت في نوم عميق شاسع سحيق ، وانسابت
الاحلام الى رأسها من خلال الاحلام فشاهدت نفسها ترتدى
ثوب الرقص الفاضح الفضفاض ، وترقص رقصة رائعة فاتنة .
وسمعت في الحلم تصفيق الجماهير لها فطربت وانتشيت وازدهت
وتباهت وهي تلمس في تلك الجماهير التقدير والإعجاب ، الا
ان التصفيق لم يلبث ان انقلب الى دوي هائل في اذنيها ، الى
دوي كدوي الرعد وكصف المدافع حتى كاد يمزق اذنيها .
وشعرت بأنها ترقص فوق ابر وشوك ، وشعرت بالألم ؛
وشاهدت الدماء الغزيرة تنزف من قدميها الحافيتين ، فتأوهت ؛
وأنت وبكت .

واستفاقت فجأة من النوم لتجد نفسها ملقاة في سريرها
والدموع قد بللت وسادتها . وكان نور الشمس الذهبي يغمر
الغرفة متسرباً عبر زجاج النافذة . فوثبت من السرير لتفصل
وجهها وتنصرف الى عملها ، وذلك الحلم الرهيب لا يزال ماثلاً
لعيניה .

ومضت الايام ووردت نصار لا تزال مترددة حيرى ، لا تعلم
ماذا عليها ان تفعل . هل تمتن الرقص ، وتصبح راقصة شهيرة

غنية ، ام تستمع الى نصائح ابلسام وتبتعد عن مهنة الآلام
والعذاب والدموع ؟

وكان صديقها الحبيب صالح ابو العز يتردد عليها دائماً
ويشجعها على العمل في ملهه ، وكانت وردة تدعوه ابدأ الى
التريث والانتظار ..

وتريث ابو العز وانتظر . وهو لا يجهل ان العصفور
سيقع يوماً ما في الشرك ، وأن القفص سيطبق عليه .

ووقع العصفور في الشرك ، وأطبق القفص عليه .. فقد
رأت وردة نفسها بحاجة الى المال . وقد انقضت الشهور القليلة .
وأقبل صاحب الدار يطالبها ببديل الايجار .. وعزمت وردة
على ان تعمل في ملهى ابي العز لتحصل على المال وتسدد ما
لصاحب الدار بذمتها من ديون .. ووثبت الى ابي العز تقول:
« لقد حان الوقت وآن الأوان يا أبا العز »

فابتسم ابو العز وهمس : « ماذا يا وردة ؟ .. هل اقتنعت
الآن ؟ .. »

قالت : « اقتنعت . سأعمل راقصة في ملهك يا أبا العز » ..

فأمسك صالح ابو العز بيدهما قائلاً : « تعالي معي يا
وردة . تعالي الى الملهى . ستتمنين على الرقص على انغام
الموسيقين » .

وسارت وردة نصار معه الى الملهى ..

ووقفت امام الموسيقين . وجلس ابوالمز يستعرض رقصها
ليصدر حكمه العادل ..

وبدأت وردة الرقص على انغام الموسيقى . ودهش الجميع .
ابو المز ، والموسيقيون وهم يشاهدون ذلك الرقص الرائع
البديع ..

كانت وردة نصار تجيد الرقص كل الاجادة .. كانت وردة
تجيد الرقص وتتنقه اكثر من جميع راقصات ذلك الملهى .

واعجب بها ابو المز شديد الاعجاب . ووثب يعانقها على
مراى من الموسيقين صارخاً بها :

« انت لست بحاجة الى تلقي الدروس في فن الرقص ،
ولا انت بحاجة الى تمرين .. انت استاذة في الرقص ، انت
سيده الرقص الشرقي يا وردة . لو عادت الراقصة ابتسام الى
الحياة لما استطاعت ان تنافسك في مضمار الرقص الجميل » .

ووثب الموسيقيون اليها يهنئونها وقد اعجبوا برقصها
البديع . وتأبط ابو المز ذراعها قائلاً :

« تعالي معي يا وردة .. تعالي .. انا سأختار لك اسماً
فنياً موسيقياً شجياً .. انت ستدعين منذ اليوم الراقصة ..
الراقصة .. الراقصة محاسن .. محاسن نصار . انت الراقصة

العالمية محاسن نصار . ستثيرين الإعجاب وتلهين الأكف
بالتصفيق وستهتز خشبات المسرح تحت قدميك الرشيقتين .

وسار بها الى مكتبه . وأجلسها قربه وهو يكاد لا يصدق
انته وقع على هذه « الراقصة » التي هبطت عليه من السماء ..
وردة او بالاحرى محاسن نصار هبة السماء ، فهي راقصة قديرة
مجيدة مبدعة ، جميلة وصبية .. الزبائن سيتدفقون على ملهاه
ليشاهدوا وينعموا برأى رقصها وبمجالستها وبحسب الخمر معها ،
والمال سيتدفق على صندوقه العامر الرحيب .. ابوالعز سيتمسك
بها وسيمد سلطانها عليها وسيخذها عشيقة رسمية له فينعم
يجهلها وبشبابها . هو ان يدع احداً يغزو قلبها ، فهو قريب
منها ، والأقربون أولى بالمعروف ...

ومنذ ذلك اليوم ، منذ خمس سنوات اصبح اسم وردة
نصار ، الراقصة محاسن نصار .

وأصبحت محاسن عشيقة صالح ابوالعز . وأصبحت صاحبة
شهرة ومال ومقام رفيع بين زميلاتها الراقصات ..

ولم يكتف ابوالعز بأن يجمل من محاسن نصار عشيقته
وراقصة ملهاه ، بل هو اتخذ منها مصيدة لزبائنه الكرام ..
فكان يدفع بها الى الزبائن لتسلبهم اموالهم وتجود عليهم
بالكلام الممسول وبالمنظرات .. وأحياناً بالقبلات ايضاً ..
لكل هبة ثمن عند محاسن نصار .. وفي نهاية السهرة تتقاسم

الراقصة مع عشيقها ابي العز « الغلة » له النصف ولها النصف .
والعدل سيد الاحكام ...

وكثيراً ما كان صالح ابو العز يجود بمحاسن على زملائه
اصحاب الملاهي في الدول العربية ، فيتولّى بنفسه ابرام المقدم
بين الراقصة محاسن وصاحب الملهى . ويتقاضى دائماً نصف
مرتب الراقصة الحسناء ..

ويوم سافرت محاسن الى بغداد وادعت امام حبيبها حبيب
مرزوق انها سافرت لزيارة احدى نسيباتها في عاصمة الرشيد ،
يومذاك ، لم تسافر الا لتعمل على مسرح احد ملاهي بغداد ..
وعملت هناك في عاصمة الرشيد مدة شهر ثم عادت الى بيروت
بالسلامة ..

وتدفق المال بين يدي الراقصة محاسن نصار فاشترت
بناية شاهقة في شارع الحمراء ، اقامت في احد مساكنها مع
صديقتها الراقصة انعام توفيق ، وقد ادعت امام حبيبها حبيب
مرزوق ان انعام ابنة خالها ، وابتاعت سيارة « بويك »
حديثه الصنع لامعة الجوانب ، وكانت تقود سيارتها الفخمة
الانيقة بنفسها .. وعرفت محاسن نصار لذة الحياة ، وقد
نعمت بالشهرة والمجد والثراء .

السعادة المفقودة

طافت هذه الذكريات الآفلة الواهية البيضاء في رأس محاسن نصار وهي مستلقية على سريرها الوثير في دارها في شارع الحمراء ، فأدمعت عينها . كانت تلك الذكريات تمر في رأسها كأنها شريط سينمائي يمر امام عينيها . وتذكرت محاسن كلمات سيدتها الراقصة ابتسام التي نفتحها بها قبل ان ترحل عن هذه الدنيا الفانية .. ماذا قالت ابتسام ؟ .. قالت : « في الحياة خبز ودمع . وعلى البائسة من النساء ان تذرف الدمع لتأكل الخبز . لقد قال الله تعالى لآدم : « بعرق جبينك تأكل خبزك » . هذا ما قاله الله عز وجل لآدم يا وردة . ولكننا نحن معشر البائسات نأكل خبزنا بدموع عيوننا » ..

هذا ما قالته الراقصة ابتسام لخادمتها وردة قبل رحيلها عن هذه الفانية .. وكانت ابتسام على حق .. ماذا قالت ابتسام لها ايضاً : « الرقص مهنة الدموع والآلام والعذاب . اياك يا وردة ان تفكري بالسير في هذا الطريق المظلم الموحش الموحل الرهيب » .

ليتها سمعت كلام ابتسام وعملت به . اذن ، لكانت الآن
بألف الف خير .. مهنتها هذه ستحول بينها وبين حبيبها
حبيب مرزوق ، ستقف بينها وبين سعادتها .. من يأخذ منها
مالها كله وشهرتها كلها ويبيعها بها ذرة صغيرة من سعادة
وهنا ..

محاسن نصار وقعت الآن في الشرك ، بعد ان اوقعت
الكثيرين في شركها ..

كانت تهزأ بالحب والمحبين ، فانتقم الحب منها وأوقعها في
ناره المحرقة ، المتقدة السعير

وتذكرت محاسن نصار ، وهي مستلقية على سريرها تدخن
وتفكر ، تذكرت ذلك الحلم الخيف الذي شاهدته منذ خمس
سنوات ، يوم كان اسمها وردة .. لقد شاهدت نفسها في الحلم
ترقص حافية القدمين وكأنها ترقص على شوك وإبر ، وشاهدت
الدماء تنزف من قدميها .. ثم ، ثم سمعت ، في الحلم ، تصفيق
الجمهير اعجاباً بها ، واذا بذلك التصفيق ينقلب الى دوي
كدوي الرعود والى قصف كقصف المدافع .

ووجت محاسن وهي تتذكر الحلم الرهيب ، هذا الحلم بدأ
يتحقق الآن .. الأبر تدمي قلبها لا قدميها . والشوك يشخن
فؤادها بالجراح ، يا ويلها ، يا ويلها ..

وانهمرت الدموع غزيرة من مقلتيها . لقد بككت الراقصة

محاسن بدموع غزيرة حمراء دون ان تعلم لماذا تبكي ولماذا
تذرف الدموع الغزيرة .

واذا بباب غرفتها يفتح وتدخل منه صديقتها وزميلتها
الراقصة انعام توفيق . وانعام كانت تعيش معها في دارها .
ووثبت الراقصة انعام الى صديقتها الحبيبة محاسن لتجلس
قربها على السرير والفرحة تغمر قلبها وروحها وتقول :

« لقد تأخرت في العودة الى الدار يا محاسن . كنتُ معه ،
مع حبيبي سمير . لقد تناولت طعام الغداء معه على شاطئ
البحر ثم قمنا معاً بنزهة في جبال لبنان . انهضي . انهضي
يا محاسن وارتيدي ثيابك يا اختي . الساعة بدأت تميل الى
الثامنة من الليل . يجب ان نخصص الى عملنا في الملهى . »

ولم تجب محاسن بحرف . ولم تتحرك . وحدثت انعام
بعيني صديقتها محاسن لترتد على ذعر . وهمست : « محاسن !
انت تبكين يا محاسن ؟ » ومسحت محاسن نصار دموعها
بكفها- وهمست : « دعيني . دعيني وحدي يا انعام . أريد
ان ابكي اريد ان أذرف كل ما في عيني من دموع لعل دموعي
تطفىء النار المندلعة في فؤادي ، لعل هذه الدموع تخمد لهيب
الحزن المتقد في قلبي . »

واستلقت انعام قرب صديقتها محاسن على السرير وطوقتها
بذراعيها-وقتمتت « محاسن ! اخبريني ما بك يا حبيبي . ماذا

يمدبك ماذا يشجيك ؟ « . ولم تجب محاسن ، بل هي راحت
تبكي بصمت موجع بارد كئيب .

وعادت انعام الى الكلام لتقول ، وقد أدركت بثاقب
بصيرتها الحقيقة المؤلمة : « محاسن .. هل وقعت في شرك
الحب ؟ » . وفاضت الدموع غزيرة من عيني محاسن وأيقنت انعام
أنها أصابت الداء . صديقتها محاسن تحب . انها تحب حباً
صادقاً . حباً صادراً عن القلب وعن الروح ، حباً أضرم النار
في قلبها وغمر عينها بالدموع ..

وانعام ليست غريبة عن أورشليم . فقد ذاقت الحب اكثر
من مرة . ووقفت وقفة محاسن اكثر من مرة ، وبكت اكثر
من مرة . وهي الان تحب . انها لتحب نجل وجيه ثري غني .
تحبه حباً هادئاً . هي لا تبكي لحبسه ، ولا قتالم . اذا ظل
حبيبها قريباً كان خيراً ، وان رحل وجدت غيره مئة حبيب .
اما هي فلن تتخلى عنه ما دام يتفق عليها بكرم وسخاء ...

وهمست الراقصة انعام في اذن صديقتها : « محاسن . لا
تبكي يا اخوتي . لا تذرني هذه الدموع الغزيرة الثمينة . ليس
هناك شاب في العالم يستحق ان نذرف من اجله دموعاً واحدة .
العالم مليء بالشبان . اذا فقدت احدانا حبيبها استطاعت ان
تجد غيره مئة حبيب . انت جميلة رصيبة وشهيرة وغنية كل
شاب يتمنى ان يظفر بقلبك . المعجبون والهابون والطامعون

بقلبك كثيرون .. ما لك الا ان تختاري واحداً منهم يا محاسن. هناك نجل الوزير وابن النائب. هناك التاجر والصناعي وماحب المصرف ، ومدير الشركة .. كثيرون يا محاسن يتوددون اليك ويتمنون ان تكوني عندم الحبيبة المصونة .

وعادت محاسن نصار تمسح دموعها بكفها لتهمس : « انا لا أرى احداً منهم . لا افكر بأحد منهم . لا اريد احداً منهم . اريده هو . هو وحده يا انعام . فتمتتم الراقصة انعام : « أياكون غنياً ؟ » وهزت محاسن رأسها. وهمت : غني ؟ .. انت لا تفكرين بسوى المال يا انعام . ليس المال كل شيء في الحياة . لا يا انعام . لا يا اختي . هو ليس غنياً . انه فقير . فوجت انعام توفين . وتمتت بتساؤل ملحاح : « فقير ؟ .. وتحببته ؟ .. وقدرفين الدموع من اجله ؟ .. مجنونة . » قالت محاسن : « هو عندي الدنيا بأمرها . قلامه من ظفره تساوي عندي كل ما في العالم من مال . نظرة من عينيه تساوي لدي كل ما في الدنيا من ذهب .. »

فضحكت انعام. وتمتت : « أتكونين طفلة يا محاسن ؟ أتكونين فتاة صغيرة مرافقة لم تجرب الحب ولم تعرف خفاياه وأسراره ؟ أي قلامه ظفر تساوي مال العالم بأسره ؟ . اي نظرة توازي الذهب يا محاسن ؟ . اعقلي يا اختي . لا تكوني مجنونة يا محاسن . لا قلقي بنفسك في النار . اسمعي مني ولن تخسري يا محاسن » وهمت محاسن : « ليتني قادرة على الابتعاد

عنه يا انعام . ليتني قادرة على اقضاء طيفه عن وسادتي ،
ليتني قادرة على انتزاع حبه من قلبي ، ليتني استطيع ان
أمزق هذا الصدر وانتزع منه قلبي وأحرقه وأخلص منه ..

فأمسكت الراقصة انعام بيد صديقتها محاسن لتقول :
« لماذا تمزقين صدرك وتحرقين قلبك ؟ . ما دمت غير قادرة
على انتزاع حبه من صدرك تستطيعين ان تمضي في حبه ، يمكنك
ان تحببه وان تهيبه ما تهيبين غيره من حب وعطف وشوق
وغرام » .

فهزت محاسن نصار رأسها بأسف وأسى لتقول : « لا يا
انعام . لا انا لا اريد ان اعامله كما اعامل عشاق الكثيرين ،
لا اريد ان اجعل منه عشيقاً . اريده حبيباً لا عشيقاً . اريد
ان اكون له وحده » .

فعدت انعام الى التمتة : « مجنونة » . قالت محاسن :
« قد اكون مجنونة يا انعام الا اني راضية بمجنوني » ..

ونهضت انعام لتقول : « قومي قومي يا محاسن . انهضي
يا اختي وارلدي ثيابك ، لقد فأخرنا عن موعد العمل .
» .. ولم تنهض محاسن . بل هي التفتت الى صديقتها لتقول :
« لا يا انعام . لا . انا لن اذهب الليلة الى الملهى . انا تعب .
انا حزينة القلب . لا استطيع ان اعلم الليلة ، لا استطيع ان
ارقص ، لا استطيع ان أساير الزبائن لا استطيع ان أمازحهم

وأتردد اليهم وأحسو الحمر معهم . اذهبي وحدك الى الملهى
الليلة يا انعام .

وأمسكت انعام بيد محاسن لتقول : « انهضي يا محاسن .
يجب ان تهتمي بمملك قبل كل شيء . ان ابا العز سيفضب اذا
تخلفت عن الذهاب الى الملهى الليلة .. تعالى يا اخوتي . وأرغمتها
على النهوض من السرير . ووثبت الى المذباغ تديره قائلة :

سنستمع ونحن ترتدي ثيابنا الى الاغاني والى الموسيقى .
الموسيقى تفرح القلب يا محاسن وتنعش الروح ، وسرى التيار
الكهربائي في اسلاك المذباغ . واستمعت محاسن .. استمعت
الى المطربة رجاء عبده تغني : « حبايبي كثير بيحبوني لكن
انت اللي شاغلني .. »

وعادت الدموع تموج في عينيها وكلمات الاغنية فنساب الى
اذنيها : « يا ريت الكل ينسوني وتبقى انت فاكرني ، »

وتدحرجت الدموع على خديها وهي ترتدي ثيابها ...

وراحت انعام توأسبها وتشجعها وتطلب اليها الاسراع في
ارتداء ثيابها ... وادركت انعام ان اغنية المطربة رجاء
اثارت حنين صديقتها وشوقها وحنانها فوثبت الى المذباغ فحمد
انفاسه .. ثم عادت ترتدي ثيابها على عجل وتمسك بيد محاسن
قائلة : « تعالى . تعالى ، »

وخرجتا من الدار ، ودلفنا الى سيارة محاسن ، الى سيارة
البويك الفخمة الانيقة الحديثة الصنع ، الى سيارة محاسن ،
وجلست محاسن الى مقود السيارة ، وجلست انعام قريبا .
وطارت السيارة بهما الى الملهى القائم من ساحة الشهداء في
الصميم ...

ودخلت محاسن مع زميلتها انعام الى ذلك الملهى وكأنها
تدخل الى السجن ، كأنها قددخل الى القبر .. ورحب الزبائن
بها ، على عادتهم ، وسكبوا في اذنيها كلمات الترحيب
والاعجاب إلا أن تلك الكلمات كانت تقع في اذنيها كالحراب ،
كالحم . كانت كلماتهم تلسع اذنيها وتحرق قلبها .

.. وجلست في آخر القاعة وحدها تدخن وتفكر ..
ولم يلبث ان اقبل ابو العز والابتسامة تشع على شفثيه .
وجلس قريبا يمازحها ويتودد اليها إلا أنها كانت بعيدة عنه
بتفكيرها بعد الارض عن السماء . كانت قربه يجسدها فقط ،
وكانت بروحها هناك ، عند حبيبها حبيب مرزوق ..

واقبل الزبائن الكرام يجلسون قريبا ويحيطونها باهتمامهم
وبسخائهم وبعطفهم ويجودون عليها بالخر وبالهديا ، إلا أنها
لم تكن لترتاح اليهم ولا لتصدق عليهم النظرات الحاملة
والابتسامات الواضحة السناء كعادتها .

كانت محاسن شاردة الذهن تائهة النظرات دامعة العين

كسيرة الجناح ... ولمس ابو العز فيها الامى والألم والمذاب
فقلق . وأمسك بيدها يقول : « ما بك يا محاسن ؟ »
وسحبت يدها من يده لتقول : « لا شيء لا شيء يا صالح »
قال : « انت على غير عادتك الليلة يا محاسن » قالت :
« الحقيقة هي انني اشعر بصداع بسيط » قال : « عودي الى
الدار يا حبيبتي واستريحي » قالت : « سأعود بمد أن اقوم
بواجبي . سأرقص كعادتي واعدود ترواً الى الدار » .

ورقصت .. قامت بواجبها . رقصت وكأنها ترقص على
ابر وحم وشوك .. وعادت الى الذكريات فتذكرت الحلم ..
كانت في الحلم ترقص على ابر وشوك .. الحلم يتحقق الآن ..
وما ان انتهت رقصها حتى حملت محفظتها ووثبت الى انعام
لتقول : « سأعود وحدي الآن الى الدار . ستلحقين بي يا
انعام عندما تنهين عمالك » قالت هذا واسرعت بالخروج من
المهوى لتستقل سيارتها الى شارع الحمراء .

وطوت السيارة بها الشوارع الفسيحة الارحاء على سرعة
هائلة . كانت محاسن تقود سيارتها بسرعة رهيبه . وكأنها
تريد أن تهرب من هواجسها وآلامها وعذابها .. ووصلت
السيارة بها الى شارع الحمراء ، ووقوف محاسن السيارة امام
بنايتها . وترجلت من السيارة لتصعد الى دارها فتنزح عنها
ثيابها وتستلقي في سريرها والألم يحز في قلبها ويحرق فؤودها
الهائم المومع الولوع ..

وراحت تفكر : غداً موعدها مع حبيب على شاطئ
 المعاملتين .. هل توافيه الى الموعد المضروب ؟ .. لا . لا . ما
 لها وله . لماذا تعذبه وتعذب قلبها .. هي ان تستطيع أن
 تحبه كما يحبها ، لا تستطيع أن تخلص له . لا تستطيع أن
 تهبه قلباً طاهراً مقدساً شريفاً ولا جسداً نقياً عفيفاً . فلتهرب
 منه . فلتنقذه وتنقذ قلبها من العذاب . محاسن نصار لن توافي
 حبيبها حبيب مرزوق الى الموعد المضروب . لن تراه ، لن
 تنعم بمرأى ابتسامة ثغره ونظرة عينيه .. ستبتعد عنه الى
 الابد . لن تراه بعد اليوم لن تراه . يا ويلها ، يا ويلها ..
 وفاضت دموعها وبدأت تلك الدموع تندرج على وجنتيها
 ومن وجنتيها تنساب الى الوسادة البيضاء لتبلها . وحاولت
 محاسن نصار أن تحبس دمعها إلا أنها عجزت .. كان دمعها
 أقوى وأشد منها ، وكانت تجش بالبكاء كالاطفال .



الراقصة محاسن نصار تقيم على قلق وحيرة ووجوم ..
 اليوم موعدها مع حبيب القلب والروح ، مع حبيب مرزوق
 على شاطئ المعاملتين . ترى هل توافيه الى الموعد المضروب ؟ ..
 هل تشخص الى الشاطئ الحالم الجميل الفسيح الارزاء ؟ هل
 تبر بوعدها الذي قطعته لحبيب ؟ ..

لا ، لا ، لا ، هي لن تجتمع بحبيب مرزوق ، لن توافيه
 الى الموعد المضروب ، لن تشخص الى شاطئ المعاملتين .
 حبها هذا حب بلا امل فلماذا تعلق قلبها بما لا امل يرتجى

منه . حبيب مرزوق لن يكون لها ، ولا هي تستطيع ان تكون له .. الفراق سيكون نهاية المطاف بينها .. فلماذا لا يفترقان اليوم ، والفراق اليوم أهون وأيسر منه غداً . ان هي ابتعدت عنه اليوم تعذبت ، وبكت الا انها ستتمكن اخيراً من السيطرة على عاطفتها ، ولكنها ان هي تورطت في غرامه وتوغلت في طريق حبه ، عجزت عن العودة الى الوراء وكان اللسيان ضرباً من الحال . لماذا اذن تسير في طريق لا تستطيع الوصول فيه الى النهاية؟.. لماذا تعذب قلبها وتعذب قلب هذا الشاب البائس المسكين ؟ لماذا تحمل الى عينها والى عينيه الدموع ؟ لماذا تثخن قلبها وقلبه بالجراح؟.. ما لها وله ، فلنسر في طريقها المحفوف بالأشواك ، ولتدعه يسير في طريقه ، طريقها غير طريقه ، وطريقه غير طريقها . لا هي تستطيع ان تسير في طريقه ؛ ولا هو يستطيع ان يسير في طريقها ..

وعزمت محاسن نصار على الابتعاد عن حبيب مرزوق وهمست وهي تمسح دموعها : لا . لا . لن اوافيه الى الموعد المضروب ، لن اوافيه ..

ومضت الساعات بطيئة ثقيلة حيرى على قلب محاسن وهي جالسة على سريرها الوثير في غرفتها الفخمة الأنيقة ، وراحت محاسن تفكر وتبكي . الابتعاد عن حبيب مرزوق ليس بالأمر السهل اليسير . لقد استطاع حبيب مرزوق ان يملك عليها عاطفتها وشعورها ، استطاع ان يغمر قلبها بنور

الحب الساطع الجميل . استطاع ان يحتمل من القلب حبه ومن الروح الصميم ، كيف سكتتعد عنه ؟ .. كيف تستطيع ان ان تبتمد عنه وأن تقضي خياله عن رأسها وتبتمد طيفه عن وسادتها طيلة الليل ؟ هو حياتها ، وهل يستطيع المرء ان يبتعد عن حياته ، انه روحها وهل يستطيع الانسان ان يحيا بدون روحه . وهو نور عينيها ، وكيف يستطيع الانسان ان يحيا بدون نور عينيها ؟ ..

وقاضت دموع محاسن نصار غزيرة من عينيها وقد عزمت على الابتعاد عن حبيب مرزوق . ونهضت وراحت ترقدي ثيابها على مهل وهي تبكي .. لماذا ترقدي ثيابها ؟ .. ليست تدري .

ومضت محاسن في ارتداء ثيابها وهي تبكي .. وراحت ترمق الساعة الذهبية المشدودة الى معصمها بنظرات سريعة كأنها على موعد مهم خطير .. وانتهت من ارتداء ثيابها وعادت تجلس على سريرها لتدخن بقلق وحيرة واضطراب . وانصرفت الى التفكير .. وتساءلت : لماذا ارتديت ثيابي ؟ .. الى أين سأسير ؟ .. الى أين سأشخص ؟ .. ولم تستطع ان تجيب نفسها على سؤال واحد من هذه الاسئلة ..

واستغرقت في تفكيرها .. كانت تفكر بحبيبها ، بحبيب مرزوق . هي لن تراه بعد اليوم ، لن تقع منها العين عليه .

ستهرب منه . سلبتعد عنه لتنفذه من النار المهدقة به . انها
وباء فلتبتعد عنه قبل ان ينتقل الوباء اليه .

ولكن هل تبتمد عنه فجأة دون وداع ، ودون كلمة ،
ودون نظرة ، ودون ابتسامة ؟ .. لا . لا . هي ستقابله ،
ستقبله للمرة الاخيرة . ستقبله مرة واحدة . واحدة فقط .
هي ستوافيه الآن الى الموعد المضروب ، وتجلس قربه ، وتنعيم
بجديثه العذب الشجي ، ثم تودعه وتعود ادراجها . وسيكون
هذا اللقاء ، اللقاء الاخير بينها ...

وراقتها الفكرة الموفقة فسحت دموعها ، ووقفت امام
المرأة تسرح شعرها وتصبغ وجنتيها بالابيض وشفتيها بالاحمر
وتسكب العطور على راحتيها وعلى شعرها وتهم بالخروج من
الغرفة ..

واذا بصديقتها وزميلتها انعام تطل عليها .. ومست
انعام وهي تشاهد محاسن في ثيابها الانيقة : ما بك يا محاسن ؟
لقد ابكرت في النهوض من النوم اليوم ؟ أتكونين على موعد
مع أحد الزبائن الاثرياء ؟

ومست محاسن : لا يا انعام .. لا ، انا لست على موعد
مع ثري كبير انني على موعد مع شاب بائس فقير .

فارتسمت الابتسامة على شفتي انعام ، ومست : مجنونة .

هل ترتدين هذه الثياب الانيقة وتحلّين جيدك وأصابعك
ومعصبيك بهذه الحلى الثمينة ، وتسكينين على شمعك وعلى
راحتيك هذا العطر الفواح الشذا من اجل شاب بائس فقير؟

قالت محاسن : « هذا الشاب البائس الفقير هو عندي
افضل من جميع اثرياء العالم يا انعام » .

فقهت انعام توفيق. وتمت : « لقد بدأت اشك بسلامة
عقلك يا محاسن . بماذا يستطيع ان يجود عليك حبيبك هذا؟
ماذا يستطيع ان يقدم لك من الحلى والجواهر والثياب؟ ماذا
يستطيع ان يقدم لك من الخدمات؟ اتجودين عليه بالمعطفة
والحب والقبلات اكراماً لوجه الله الكريم؟ »

فهمت الراقصة محاسن: « لقد وهبني كل شيء يا انعام » .
وتمت انعام : « ماذا وهبك؟ هل تستطيعين ان تقولي
ماذا وهبك؟ »

قالت محاسن: « لقد وهبني الحب . الحب المقدس الشريف
حب الروح للروح ، لا حب الجسد للجسد » .

قالت انعام بهزه وسخرية : « والحب المقدس الشريف هذا
هل يبتاع لك ثوباً جديداً ام يشتري لك حلية او جوهرة
ثمينة؟ ماذا يفيدك هذا الحب يا محاسن؟ »

قالت محاسن : « الحب يا انعام هو كل شيء . يهب كل

شيء دون ان يطلب شيئاً . هو الحماد روحين يا انعام . هو
السعادة ، كل السعادة والهناء ، كل الهناء .

فضحكت انعام الراقصة وتمتمت : « ولذلك فقد كنت
تبكين وتتلين ليلة امس ، أليس كذلك ؟ »

قالت محاسن : « لذة الحب الحقيقي هي في الألم ، في
الدموع . كلما تألم المحب ازداد سعادة وكلما بكى ازداد هناء
يا انعام .. »

فعدت انعام الى القهوة. وهمست : « اذا كان هذا هو
الحب يا محاسن فأنني لأصلي اليه تعالى ان يبعده عني فأنا لست
مستعدة لأن أبكي وأن أتألم وأتعذب . »

قالت محاسن : « انني لأطلب اليه تعالى انا ايضاً ان يبعد
الحب عنك يا انعام ، لأنك لن تستطيعي ان تصمدي حبال
عاصفته الهوجاء ولا أن تحترقي بناره اللاهبة المتقدة السعير . »

فأمسكت انعام بيد صديقتها لتقول : « محاسن .. لا
تهيمي في عالم الخيال يا اختي . كوني واقعية في الحياة يا محاسن .
نحن لم نخلق لنحب ونعشق ونبكي ونتألم .. ما لنا وللحب
يا محاسن ، ما لنا وللهوى ، يكفيننا همنا . تكفيننا مصيبتنا .
لقد اوجدنا . الله في هذه البيئة لنسائر ونسامر ونضحك على
ذقون الشبان ونسلمهم اموالهم . علينا ان نهتم بعملنا يا محاسن . »

علينا ان نجمع المال لنحتفظ بالقرش الابيض لليوم الاسود وذلك اليوم ، اليوم الاسود ، سيطل علينا قريباً يا اختي .
غداً ، عندما تتقدم بنا السن وتدهمنا الشيخوخة ، لن نجد من يهود علينا بليرة واحدة . علينا ان ننظر الى المستقبل الآتي القريب يا محاسن ، علينا ان نتخذ الحيطه منذ اليوم .
اذا لم نوفر اليوم المال سنضطر يوماً الى التسول ، ولن نجد من يهود علينا بقرش . المعجبون بنا سيبتعدون عنا بعد ان تدهمنا الشيخوخة . المحبون سيتفرقون . ليعثوا عن راقصات جميلات غيرنا . لا تضيي الوقت في موافاة حبيبك هذا الى مواعيده ، كل دقيقة تمر علينا يجب ان تتقاضي ثمنها . اذا لم يكن حبيبك هذا غنياً ، واذا لم يكن قادراً على الانفاق فأدري له ظهرك وسيري في سبيلك . عشرات المعجبين يتمنون الآن ان تسايروهم وان تجودي عليهم بالقلبات وبالعناق لقاء المال الوفير . اجعي المال الآن . لا تهتمي إلا بالمال يا محاسن .
افعلي كما تفعل اختك انعام ولن تكوني الخاسرة ، ..

فهمت محاسن نصار : « لا يا انعام ، لا يا اختي . لن أسعى بعد اليوم في أثر المال وعندي منه الكثير . لدي من المال ما يكفيني العمر كله . انت تعلمين انني أملك هذه البناية ، وأن لدي مبلغاً كبيراً من المال في المصارف البنانية . انا لست بحاجة الى المال ، انني بحاجة الى الراحة ، الى السعادة . والمال ما كان يوماً ليوفر للانسان الراحة والسعادة والهناء .

فهزت انعام توفيق رأسها بهزه وتمتمت : « السعادة كلها
في المال يا محاسن فلا تحاولي ان تخرجي عن الحقيقة ، ولا
تحاولي البحث عن السعادة في غير المال والذهب » .

وقابلت محاسن هزه زميلتها بالهزه ايضاً فارتسمت على
شفتيها ابتسامة هازئة وهمست : « كل منا في العالم من مال
لا يستطيع ان يوفر لك ذرة صغيرة من السعادة . قولي لي
يا انعام ، هل يستطيع كل ما في العالم من مال ان يشفي مريضاً
من دائه ؟ او ان يميد اليك حبيباً من وراء القبر ؟ قولي لي
هل تستطيعين ان تشتري بكل ما في العالم من مال صفو القلب
وراحة الضمير ؟ هل تستطيعين ان تبتاعي حفنة صغيرة من
حب طاهر مقدس شريف ؟ »

قالت انعام ، وهي تريد اختصار الحديث : « رأيك هو
غير رأيي ، يا محاسن ، وتفكيرك هو غير تفكيري . انا لا
أؤمن بسوى الحقائق ولا اريد ان أهتم في عالم الخيال . نصيحتي
اليك ان تبتعدي عن هذا الشاب الفقير الذي اوقعك في شرك
حبه وهواه .

فحملت محاسن محفظتها وسارت وهي تتمتم : « انا
شاخصة الآن اليه يا انعام . إلا أن هذا اللقاء بيننا سيكون
اللقاء الاخير » .

قالت انعام : « لقد بدأت اذن تستمعني الى نصائحي » .

قالت : « لا . انا لن ابتمد عنه لأنه فقير يا انعام ، بل لأنني احبه ولا أريد أن ألوث اسمه بأسمي ، لا أريد أن اخدعه ، لا أريد أن اعذبه وأعذب قلبي . سأبتمد عنه . لن أراه بعد اليوم ، هذه المرة الأخيرة التي أراه فيها » .. وأدمعت عينها .. وسارت .. وخرجت من الدار لتستقل سيارتها الفخمة الأنيقة وتطير بها الى شاطئ المعاملتين الهادئ الساجي الرحيب .

ووصلت الى الشاطئ الحالم الفسيح الأرجاء ، وترجلت من السيارة ووثبت الى « الكابين » تنزع عنها ثيابها وترتدي ثوب البحر القاني الاحمر .. وخرجت تبعد بين السابحين عن حبيب مرزوق ، عن حبيب القلب والروح . إلا أن حبيباً لم يكن بين السابحين . لم يكن حبيب في ذلك الشاطئ . وهمست محاسن في سرها : « يبدو انه تأخر في الوصول الى الشاطئ . هو سيحضر بعد قليل . سأنتظره .. من المؤكد انه سيحضر . فهو في اشتياق اليّ كما انني في اشتياق اليه » .

وتددت محاسن نصار فوق الرمال تحت المظلة الخضراء وراحت تفكر : ماذا ستقول لحبيب عندما يحضر ؟ هل تعلن له عزمها على الابتعاد عنه ؟ هل تقول له : « انا سأبتمد عنك الى الأبد ؟ » هل تعلن له الحقيقة المؤلمة الرهيبة ؟ هل تعترف له بأنها راقصة وانها تعرض جسدها العاري كل ليلة على

المسارح امام العيون النهمة الجشعة الجائعة العطشى؟ لا لا
وألف لا...

ان الموت اهون لديها من الاعتراف بهذه الحقيقة المؤلمة الجارحة
ماذا ستقول له اذن؟ ستقول: « انا مضطرة للسفر الى بغداد
غداً يا حبيب . سأترك بيروت صباح غد الى العاصمة العراقية
الخضراء ولا اعلم متى سأعود الى لبنان . ان نسيبتني في بغداد
مريضة ، وهي تدعوني اليها . ارجو أن اراك يا حبيبي بعد
عودتي ، .. تقول له هذا وتودعه بقبلة فيها كل معاني الحب
والعطف والحنان وتسرع بالحرب .. وهكذا ينتهي كل شيء ،
ويتلاشى ذلك الحلم الجميل الذي عاشت فيه الايام القليلة الافلة .

وراحت محاسن نصار تستعرض الساجين المنتشرين فوق
الرمال باحثة بينهم عن حبيب، إلا أنها لم توفق في العثور عليه .
حبيب ليس هناك . وهو ليس بين المستحتمين . ولو انه كان
هناك لأسرع اليها . سيبحث عنها قبل أن تبحث هي نفسها
عنه . اين هو اذن؟ لماذا تخلف عن الحضور الى الشاطيء؟
لماذا اخلف مواعده معها؟ هل هو سيحضر؟ .. اجل . من
المؤكد انه سيحضر . بعد قليل سيكون قريبا .

واحست بالجوع، وشاءت أن تتناول طعام الغداء على ذلك
الشاطيء ، إلا أنها رأت أن تنتظر حضور حبيب. هي لن
تتناول الطعام وحدها ، ستتناوله مع حبيب . وتجلس قربه

وتتناول الطعام معه أمام الامواج الساجية الزرقاء ، فوق الرمال الباسعة في الهواء الطلق. هذه هي المرة الاولى والاخيرة التي تتناول فيها محاسن نصار طعام الغداء مع حبيبها حبيب مرزوق ..

وأقامت تنتظر حضور الحبيب الولوع. إلا أن انتظارها طال وما بان للحبيب أثر . وبدأت الهواجس تقلق خاطرها. وبدأت الأفكار القائمة السواد تعذبها . وشعرت بحاجة ملحاح الى البكاء. فتمنت لو أنها تستطيع أن تسكب كل ما في عينها من دموع . تمت لو أنها تستطيع البكاء لعل الدموع تطفئ ذلك اللهب المتقد في صدرها . إلا أنها ابت ان تسمح لدموعها بالانهار ، وهي هناك ، على الشاطئ والساجون والساجات يحيطون بها من كل جانب وصوب ..

ومضت الدقائق على سرعة واندفاع ، ومحاسن نصار تمنى أن تبطئ تلك الدقائق في سيرها . وكانت محاسن تراقب الساعة الذهبية المشدودة الى معصمها من حين الى آخر ثم تعود الى البحث بين الساجين عن حبيب .

.. وأشرفت الساعة على الثانية بعد الظهر وحبيب لم يطل . ثم وثب العقربان الى الثانية والنصف وحبيب لم يبن له اثر .. ومضت الساعة في مسيرها السريع .. الساعة الثالثة ، الساعة الثالثة والنصف ، الساعة الرابعة ، الساعة الخامسة .. الساعة

الخامسة والنصف .. السادسة .. السادسة والنصف وحبيب
مرزوق لم يبن ..

ولم تعد محاسن تشعر بالجوع .. القلق والحزن والألم
والاضطراب ، كل هذه الأشياء خنقت فيها كل شهية للطعام .
وبدأت الشمس تتأهب للأفول . بدأت تتأهب للانحدار الى
ما وراء الامواج الساجية الزرقاء . وكانت الامواج ، وقد
بدت مخضبة بنور الشمس الاحمر الواهي ، تندفع الى الشاطئ
مرسلة همساً اشبه بهمس العاشقين المتيمين ، إلا أن ذلك همس
كان يقع في أذن محاسن نصار كدوي المدافع وكهصف
الرعود .

وبدا الشاطئ الخالم رائعاً فاتناً جميلاً والغروب يلفه
بأجنحته الواهية الحمراء . إلا أن محاسن لم تكن ترى ذلك
الجمال . كانت نفسها حزينة وكان كل ما في نظرها مدلهماً
قاتم السواد . وتدحرجت الشمس وراء الأفق البعيد الفسيح
الارحاء تاركة ورائها خيوطاً حمراء ساهمة وأجمة فوق
الامواج . وبدأت جعافل الظلام تتأهب للوثوب الى جبال
لبنان والى وهاده وسفوحه وسهوله وشواطئه .

ونفضت محاسن نصار ، وقد أيقنت ان حبیباً لن يحضر .
لقد اخلف حبیب موعدة معها .. لماذا ؟ ليست تدري لماذا ..
وسارت محاسن ، سارت تجر رجليها جراً فوق الرمال .

وشخصت الى « كابينها » لعرقدي ثيابها على عباة وعناة »
ثم توجه الى سيارتها فاستقلها وتطلق لها العنان .

وشعرت محاسن بألم شديد يعصف برأسها والسيارة تبتعد
بها عن ذلك الشاطئ ، شعرت بأنفاسها تضيق في صدرها ،
وتمنت لو ان السيارة تطير بها الى شارع الحمراء لتدخل الى
غرفتها وتوصد وراءها الباب وتفرغ كل ما في عينيها من
دموع ..

وضاعفت محاسن سرعة السيارة .. وانطلقت السيارة بها
تطوي الطريق الطويل الفسيح الأرجاء طياً ويخيل اليها ، الى
محاسن ، ان السيارة متوقفة عن المسير .

وأخيراً وصلت بها السيارة الى شارع الحمراء وأوقفت
محاسن محرك السيارة امام بنايتها ، وترجلت لتدخل الى
البنية وتستقل المصعد الى دارها .. ودخلت الى الدار .. وكانت
انعام جالسة في البهو ترشف القهوة وتدخن ، وتطالع مجلة
فنية ..

ووثبت انعام الى صديققتها محاسن لتقول : « لقد تأخرت
في العودة يا محاسن . ماذا ؟ هل شاهدته ؟ هل قضيت طيلة
النهار معه ؟ »

ولم تجب محاسن نصار بحرف ، بل هي امرعت الى
غرفتها لتلقي بحفظتها من يدها وترتمي على السرير بشياها

وتجش بالبكاء. لقد انفجرت دموع محاسن المحبوسة، انفجرت
فجأة على هطول وانهار .

ولحقت انعام بها ، ففتحت الباب ودخلت عليها لتشاهدها
على تلك الحال .. ووجت انعام وهي تشاهد صديقتها الحبيبة
محاسن في بكائها ونحيبها. وجلست قريبا على السرير تداعب
شعرها الحريري بأصابعها : « محاسن ؟ .. ما بك يا اخي ؟ ..
ما بك يا حبيبي ؟ .. لماذا تبكين محاسن ؟ »

ولم تجب محاسن نصار ، لم تنبس بكلمة ، لم تستطع ان
تهمس بحرف .. كانت الدموع تخنق الكلمات على شفتيها ..
وراحت انعام تكفكف دموع صديقتها وتمس : « محاسن .
اخبريني يا محاسن ما بك . بوحى لي بهذا السر الذي يعذبك .
انت لم تكوني لتخفي عني سرا . لماذا تبكين محاسن ؟ »

ونظرت محاسن نصار الى صديقتها انعام من خلال دموعها
دون أن تنطق بحرف .. وضمتها انعام الى صدرها وراحت
تستدرجها للكلام .. قالت : « هل تخاصمت واياه ؟ »

ولم تجب ..

— « هل قطعت كل علاقة به ؟ »

ولم تنبس محاسن بحرف .

— « هل أمانك ؟ هل شتمك ؟ قولي لي ماذا جرى ؟ »

ما بك يا محاسن ؟ »

ولم تستطع محاسن ان تجيب .. كانت الدموع تنهمر
غزيرة من عينيها والمبرات تخنقها .

ونفضت انعام لتقول : « سأهينء لك فنجان قهوة .
وكأس ليموناضة .. انت لن تستطيعي ان تنطقي بحرف
الآن » ...

قالت انعام هذا وأسرعت بالدخول الى المطبخ لتهيء كأس
ليموناضة ثم تحمل الكأس وتعود بها الى محاسن قائلة: «خذي
اشربي هذه الكأس يا محاسن ، ريثما اهينء لك القهوة » .

وبينما مرتجفة تناولت محاسن الكأس وراحت ترشفها على
مهبل ..

وعادت انعام الى المطبخ .. وبعد دقائق قليلة عادت تحمل
لصديقتها الحبيبة القهوة . وقناولت محاسن فنجان القهوة من
يد انعام ، واستطاعت ان تهمس : « شكراً يا انعام . شكراً
لك يا اختي » .

وتناولت انعام منديلها وراحت تجفف الدموع عن خدي
محاسن .. وقدمت لها لفافة وأشعلتها .. ثم أشعلت هي
لفافة ..

وراحت محاسن تدخن وترشف القهوة على مهبل ..
وأمسكت انعام بيدها لتقول : « والآن ، اخبريني يا محاسن
ماذا جرى ؟ » . ونفثت محاسن نصار دخان اللفافة في الفضاء

ذون أن تجيب .. وسألت انعام : « هل تخصصت واياها ؟ »
وأشارت محاسن برأسها مشيرة بالنفي ..

وتساءلت انعام : « هل اتضح لك انه خائن خادع
خيبيث ؟ » وتمتت انعام : « لا .. » هل شتمك ؟ . هل
اهانك ؟ - : « لا . لا يا انعام » . قالت الراقصة انعام :
« وماذا جرى اذن ؟ . لماذا تبكين ؟ » . قالت : « هو لم يحضر
الى الموعد المضروب يا اخي لم يوافني الى شاطئ المعاملتين » .

فوجت انعام . وتمتت : « لم يحضر ؟ . واين قضيت طيلة
النهار اذن ؟ » .

قالت : « لقد قضيت النهار بكامله على الشاطئ انتظر
حضوره ففهمت انعام : « مجنونة .. هل تقضين طيلة النهار
جالسة على الشاطئ تنتظرين حضور شاب بائس معدم فقير ؟ .
كان الاخرى به ينتظر هو حضورك . كان عليك ان تعودي
أدراجك يا محاسن . لم يكن يحسن أن تسذلي نفسك وأن
تنتظريه الساعات الطوال » .

فهزت محاسن نصار رأسها بأسف . وممت : « انت لا
تعرفين شعور المهين يا انعام . وإني لأعذرک لأنك لم تذوقى
لذة الحب والامه وعذابه » .

قالت انعام : « فليبعده الله عني وعنك يا محاسن » .

ومضت الصديقتان في رشف القهوة وفي التدخين . وساد
الصمت المحمأ القاعة .

وانصرف محاسن الى التفكير : لماذا لم يوافقها حبيب الى
الموعد المضروب ؟ ما هو السبب ؟ هل هو مريض ؟ هل
أصابه مكروه ؟ هل حلت به مصيبة ؟ هل نزلت به
كارثة ؟ وأخيراً .. أترأه وقف على حقيقتها ؟ هل علم انها
راقصة ؟ وانها خدعته بأدعائها أنها ابنة تاجر كبير وانها
ورثت ثروة طائلة عن والدها وأنها تعيش مع ابنة خالها في
دارها ..؟

وارتمشت الراقصة محاسن ، واضطربت ، وقلقت وقد
وصلت بتفكيرها الى هذا الحد . وارتجفت يداها وكاد فنجان
القهوة يسقط من يدها .. وإذا بالراقصة إنعام تقطع حبل
الصمت بينها لتقول : « محاسن . كوني عاقلة يا אחتي وفكري
بمستقبلك ، واهتمي بعملك . ما لك ولهذا الشاب . ما لك
والحُب والهمى وللقرام . لماذا تريدن إكمال الطريق وقد لاح
لك العذاب في أوله . نصف الطريق ولا كله يا אחتي . خير
لك ان ترجعي من أول الطريق لئلا يصعب عليك الرجوع بعد
أن تتوغلي فيه . إمسحي دمعك يا محاسن . وانتهي لنتناول
طعام العشاء ونرتدي ثيابنا ونشخص الى عملنا . »

فهمست محاسن : « لا يا إنعام . لا يا אחتي . أنا لن أتناول

طعام العشاء ، ولن أشخص الليلة الى الملهى . أنا متعبة يا إنعام . أنا مرهقة . دعيني دعيني وحدي يا أختي . فعادت الراقصة إنعام تمسك بيد صديقتها محاسن لتقول : « لماذا لا تريدن تناول الطعام؟ هل تناولته قبل أن تحضري الى الدار؟ » فهست محاسن : « لا يا إنعام . أنا لم أذق طعاماً منذ الصباح » فوجت إنعام . وتمتت وهي تشدها بيدها : « يا مجنونة . أتريدن أن تموتي من الجوع؟ . أتريدن أن تنتحري؟ ولماذا؟ . لأن هناك شاباً فقيراً معدماً ، لا يملك شيئاً من طعام هذه الدنيا ضرب لك موعداً وأخلف مواعده؟ . انهضي . انهضي يا محاسن . تعالي ، تعالي . أنا لن اذوق الطعام اذا لم تشاركني إياه . » .

وحاولت محاسن الماضي في عنادها حاولت رفض دعوة صديقتها لتناول الطعام إلا أن محاولتها ذهبت أدراج الرياح . فقد استطاعت انعام إرغامها على النهوض وعلى الدخول معها الى غرفة الطعام ... وأعدت انعام الطعام وجلست قرب محاسن ، وراحت تقدم لها الطعام بيدها وترغفها على تناوله . وانتها من تناول الطعام . ونهضتا . وعادت محاسن الى غرفتها لتتزع عنها ثيابها وترقدي ثياب النوم .. وأقبلت انعام بعد قليل وقد ارتدت ثياب السهرة . ودهشت وهي تشاهد زميلتها محاسن في سريرها وهي متعبة . وقالت : « أنا لن استطيع العمل الليلة . اذهي وحدك يا انعام واعتذري لي من أبي العز . » .

وجلست إنعام على السرير . وممست : « لا بأس . سأذهب وحدي الليلة . وسأعتمد لك من أبي العز . اطمئني يا محاسن . ولكن بشرط » . فمرفت الابتسامة الواهية شفتي محاسن وتمتت : « ما شرطك يا إنعام ؟ » . وتمتت الراقصة إنعام : « شرطي ألا تفكرني بالشاب البائس الفقير ، وأن ترتاحي . ويجب أن تخلدي الى الراحة والسكينة والهدوء يا محاسن ، كي تستطيعي ان تنهضي من السرير غداً وأن تشخصي الى عملك ليل غد » .

قالت محاسن : « سأجرب أن أنزل عند شرطك وأن أعمل بنصيحتك يا أختي » .

ووثبت إنعام الى محاسن تقبلها هامة : « الى اللقاء يا محاسن . أتمنى لك ليلة سعيدة يا أختي » .

وممست محاسن « مع السلامة يا إنعام أتمنى لك التوفيق والنجاح يا حبيبتي » ..

وسارت إنعام . وخرجت من الدار شاخصة الى الملهى .. وحاولت محاسن النزول عند شرط انعام . حاولت أن تنزل عند نصيحتها ، وأن تبتعد عن التفكير بحبيب مرزوق إلا أنها عجزت وباتت محاولتها بالفشل . لقد كان طيف حبيب جاثماً فوق الوسادة البيضاء ، وكان ظله يغمر كل تفكيرها .

وراحت محاسن تفكر بحبيب القلب والروح . وطال

تفكيرها. وشعرت بالعباء وبالعباء فأطفأت النور ومحاولة الرقاد..
وانتمست أرجاء الغرفة بالظلام . الا ان الظلام الدامس لم
يكن ليقصو طيف الحبيب عن رأسها فقد شامتت محاسن طيف
حبيبها الوسيم . لم يستطع الظلام ان يبعد حبيباً عنها .
كان ذلك الشاب القروي بلوح ليمينها الدامعة في كبد
الظلام .. وكانت كلماته ومساته ووشوشاته الشجية تنزل في
أذنيها كحفيف اوراق الأزهار والورود . فكأنه قريباً ..
كانت الراقصة محاسن تشاهد حبيبها بين طيات
الظلام . وأغمضت عينيها لئلا ترى ذلك الطيف في الظلام .
الا ان الطيف الجميل كان في حبة عينها . كان في اغماضة
تلك العين ..

وأدرت محاسن نصار انها عاجزة عن اقصاء ذلك الطيف
وانها لن تستطيع الاعتماد بتفكيرها عن حبيب .. وأخذت
تتقلب في سريرها الوثير وكأنها تتقلب على شوك وابر ..
وعجبت من نفسها كيف تتألم وتتعذب من اجل هذا الشاب
القروي الوسيم ، وهي التي عذبت الكثيرين والتي ضحكت على
الكثيرين من الاثرياء والوجهاء وأصحاب الجاه والنفوذ ..

واستوت في سريرها لتعود الى اشغال النور والى التفكير.
وتساءلت الراقصة محاسن مجدداً : ولماذا لم يحضر حبيب
الى الشاطئ الرحيب ؟ .. لماذا ؟ .. ليست تدري . ولكن ..

ولكن يجب ان تكلف على الحقيقة يجب ان تعلم السبب في
تخلفه .. ماذا ستفعل الآن ؟ هل تعود غداً الى شاطئ
المعاملتين ؟ تعود ؟ لا . لقد هزمت على ان تبتمد عنه .
كانت تريد ان تقايله للمرة الاخيرة وتودعه وداعاً ابدياً وتسير
في طريقها .

كانت تريد ان تبتمد عنه الى الابد . وهي ستبتمد عنه .
لن تعود الى المعاملتين ، قدمها لن تطأ بعد اليوم رسال
الشاطئ الباسم الجميل .. ولكن هل يجوز ان تبتمد عنه
دون ان تتودع منه بنظرة . لا . لا . هذا ما لا يجوز .

اذن . اذن ماذا ؟ اذن يجب ان تعود غداً الى الشاطئ .
وهي ستجده هناك . وستتحدث اليه للمرة الاخيرة ، وتشاهده
للمرة الاخيرة ، وتودعه للمرة الاخيرة وداعاً لا لقاء بعده ..
ولكن ..

وعادت كلمة « ولكن » تتأيل في خاطرهما .. ولكن
هل هي ستجده على الشاطئ هل سيحضر حبيب الى الشاطئ
غداً ؟ . واذا لم يحضر ماذا ستفعل ؟ . ماذا سيكون موقفها ؟ .
اذا لم يحضر ستعود أدراجها وتعمل جاهدة على نسيانه ..
ستنتظر اذن الى الغد . والغد مجهول قد يأتي بما لا ينتظر ..

وفيا محاسن منصرفه الى التفكير بمحبيها رن جرس
الباب .. ووجت محاسن ورمقت الساعة بنظرة سريعة لتزداد

وجوماً . الساعة تشير الى منتصف الليل . من تراه القادم اليها
في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ . واحتارت في امرها .
ماذا تفعل ؟ .. هل تفتح الباب ؟ .. لا . هي لن تفتح الباب .
قد يكون الطارق لصاً ، قد يكون مجرمًا شريراً ، وهي
وحدها في الدار . ماذا سيفعل بها هذا الطارق اذا كان مجرمًا
او اذا كان لصاً ؟ .. لا . لا . لا . لن تفتح الباب .

وعاد جرس الباب يقرع بشدة .. ورأت نفسها تثب من
السريـر وترتدي الروب دي شامبره وتسير الى البهو وتشعل النور
ثم تشخص الى الباب فتفتحه ويدها على قلبها والخوف
يعصف بها ..

واذا بها امام صالح ابي العز ، امام صاحب الملهى ..
ودهشت محاسن نصار وهي تشاهد أبا العز امامها . وممست :
« أبا العز ؟ .. ماذا جاء بك الى في هذه الساعة المتأخرة من
الليل ؟ وكيف استطعت ان تترك العمل في الملهى ؟ »

وأمسك ابو العز بيدها ودخل بها الى الدار قائلاً : « لقد
أقلقت خاطري يا محاسن . قالت لي انعام انك منصرفه
الصحة ، فأسرعت اليك محمولاً على جناح الخوف والقلق
والاشتياق . ما بك يا حبيبي ؟ .. ماذا اصابك ؟ »

وجلست محاسن على المقعد الرجراج الوثير في البهو ،

وجلس قريبا ابو العز . وعاد ابو العز الى الكلام ليقول :
« لقد أثرت قلقي وخواوفي يا محاسن . ما بك يا حبيبتي ؟ ..
ما بك ؟ »

قالت : « صداع بسيط . لم يكن لك ان تزعج نفسك
بالحضور الى هنا .. كان باستطاعتك ان تتصل بي هاتفياً يا
أبا العز » قال صاحب الملهى الكرمي : « لقد أردت ان اتصل
بك بنفسى لأطمئن الى سلامتك وأروي غليل اشتياقي إليك
يا حبيبتي » .

هذا ما قال ابو العز .. ولم يكن صادقاً في ادعائه . هو لم
يخسر الى دارها الا ليقف على حقيقتها . هو يريد ان يعلم لماذا
تغيرت محاسن . ولماذا اصبحت سامة واجمة شاردة الذهن؟ .
يريد ان يعرف لماذا تخلفت عن الذهاب الى عملها في الملهى ..
ولم تكن لتتخلف ليلة عن الذهاب الى الملهى .. يريد ان يعلم
هل هناك حبيب جديد في قلب محاسن . يريد ان يعلم مع من
تسهر محاسن في دارها ؟ .. يريد ان يتأكد بنفسه الحقيقة
الناصعة . اذا كانت محاسن خائنة ، اذا كانت تدعي المرض
لتهرب منه فالويل ثم الويل لها ..

وراح ابو العز يستعرض غرف الدار المفتوحة الابواب
وهو جالس في البهو قرب محاسن . وأرهف أذنيه لعله يسمع
همسة او قعة او صوت . الا انه لم يسمع شيئاً ولم ير شيئاً .

اذن .. اذن ماذا ؟ .. اذن محاسن مغلصة وفيه . فليس ثمة
اي شاب في دارها . هي مريضة . مسكينة . لقد ظلمتها
ظنون ابي العز وهو اجسه .

وراح ابو العز يساير حبيبتة الوفيه محاسن ، وراح يتودد
اليها ويمازحها ويطارحها الهوى والغرام . وتبرمت محاسن به .
كانت تريد ان يرحل عنها لتعود الى التفكير بحبيبها . كانت
تريد ان تتخلص منه ..

وتشاءبت وقطبت حاجبيها وزمّت شفتيها وتراخت في
جلستها على المقعد الرجراج الوثير ..

وسألها ابو العز : ما بك يا محاسن ؟ ، قالت محاسن :
« الصداق يؤلمني يا أبا العز » . فنهض ابو العز ليقول : « سأتركك
الآن وحدك لترتاحي . قولي يا محاسن هل تريدن ان اقدم
لك اي خدمة ؟ .. هل ادعو لك طبيباً ؟ .. هل ابتاع
لك دواء ؟ .. »

فهمت : « لا . لا . يا أبا العز . شكراً شكراً يا
حبيبي . انا سأنام . اذا نمت استطعت ان اتخلص من هذا
الصداق الألم » .

وسارت الى غرفتها . وسار ابو العز وراءها وهو يفتش
بمبنيه كل زاوية من زوايا الغرفة . واطمأن ابو العز بكل
الاطمئنان : الحمد لله ، ليس ثمة احد في دار محاسن . انها

وحدها في الدار .

واندست محاسن في السرير . ووثب ابو العز اليها ليطلع
قبلة ملتببة قانية الاحرار على وجنتها . وأحست الراقصة
الحسنة بوخزة القبلة فتأففت .. وخرج ابو العز من دار
عشيقته الحسنة وهو مطمئن البال مرتاح الفؤاد . لقد تبددت
جميع هواجسه ، ومخاوفه وأفكاره السوداء . الحمد لله . ثم
الحمد لله ..

وعادت محاسن الى التفكير بالحبيب الولوج . وعادت الى
رسم خطة الفد ..

غداً ستشخص الى شاطئ المعاملتين ، وستشاهد حبيبها
القروري .. وسيكون بينهما لقاء .. ولكل حدث حديث ..
’ ولم تستطع محاسن ان تجذب الكرى الى عينها . لم تستطع
ان تنام ، فظلت تتقلب في سريرها على جوى ونار حتى مطلع
الفجر البعيد .. وعندما عادت انعام من عملها ، مع مطلع
الفجر كانت محاسن لا تزال ساهرة ، إلا أنها تظاهرت بالرقاد
فهي لا تريد أن تتحدث الى احد ، ولا تريد ان تشاهد احداً
ولا تريد أن تسمع صوت احد ..

ولم تستطع محاسن أن تنام إلا والفجر بدأ يبشر انواره
الوردية اللون على العاصمة اللبنانية الحسنة .

واستفاقت محاسن في الساعة العاشرة من الصباح ووثبت

من السرير لتفصيل وجهها وترتدي ثيابها على عجل . فهي تريد أن تطير الى شاطئه المعاملتين للشاهد حبيبها .. واذا بزميلتها انعام تستفيق من رقادها لتثب اليها قائلة : كيف الحال اليوم يا محاسن ؟ ارجو أن تكوني بخير يا حبيبتى ؟

واستطاعت محاسن ان تخدع انعام بإبتسامة واهية صفراء طفت على شفيتها وهمت : « الحمد لله . انا بألف خير اليوم » قالت انعام : « اراك ترتدين ثيابك ؟ الى اين ستشخصين الان ؟ » فأمسكت محاسن بيد صديقتها انعام لتقول : انا شاخصة اليه يا انعام . الى شاطئه المعاملتين . سأراه اليوم . سأراه للمرة الاخيرة وأودعه ، ويلتهي بيننا كل شيء ..

فابتسمت انعام وهمت : « خير لك يا اختي أن تبتمدي عنه . اعلمي بنصيحتي ولن تخسري يا اختي » . قالت محاسن : « سأعمل بنصيحتك يا انعام » . قالت انعام : مهلا يا محاسن سنتناول القهوة معا ثم نتناول طعام الصباح وقذهبين . وحاولت محاسن الاعتراض فمهي لا تريد أن تضيع الوقت . إلا أن انعام استطاعت أن ترغها على النزول عند ارادتها .. وتناولت الراقصتان الصديقتان القهوة . ثم تناولتا الطعام . وودعت محاسن صديقتها انعام . وامرعت محاسن بالخروج من الدار ...

ودلفت الى سيارتها تستقلها وتطير بها الى شاطئه المعاملتين والامال الباسمة تغمر قلبها وتعصف بفؤادها الهائم الولوج ..

وانصرفت محاسن الى التفكير وهي تقود سيارتها الفخمة
الانيقة في الطريق البعيد المنساب على الشاطئ الفسيح
الارجاء من بيروت الى المعاملتين .. وطافت الافكار على
رجرجة واضطراب في رأسها: هي شاختة الآن الى المعاملتين
للتشاهد حبيبها حبيب مرزوق . ولكن ؛ هل هي ستجده
هناك ؟ هل سيكون حبيب بين الساجين على الشاطئ الجميل ؟
واذا كان هناك ؟ اذا شاهده ؟ ماذا ستقول له ؟ واذا لم
تشاهده ، اذا لم يكن حبيب هناك ، اذا تخلف اليوم عن
الحضور كما تخلف امس ، ماذا ستفعل ؟ ليست تدري ، ليست
تدري ..

وكانت السيارة الانيقة تندفع بها في الطريق الجميل
الفسيح ، وافكارها تسابق السيارة في اندفاعها السريع
المجنون .



١٠ البحث عن الحبيب

محاسن نصار على شاطئه الماملتين تبحت بين الساجدين ،
المنتشرين على طول الشاطئه الفسيح الأرجاء عن حبيبها
حبيب مرزوق .

وعصف الفلق الشديد بقلب محاسن وقد أدركت ان
حبيباً ليس بين اولئك الشبان المنتشرين على الشاطئه الحالم
الجميل ، ورمقت الساعة الذهبية المشدودة الى معصمها فاذا
بالساعة تشير الى العاشرة من الصباح . ما زال الوقت فسيحاً
امامها . اذا لم يحضر حبيب في العاشرة فهو سيحضر في العاشرة
والنصف .. الا ان الساعة بدأت تميل الى العاشرة والنصف ،
وحبيب لم يحضر الى الشاطئه .. لا بأس ، هو سيحضر في
الساعة الحادية عشرة ..

وأعلنت الساعة الحادية عشرة وحبيب لم يطل .. سيحضر
اذن في الحادية عشرة والنصف .. ومضى المقربان في سرعتهم ،
وأشرقت الساعة الى الحادية عشرة والنصف وحبيب لم يبن له أثر ..

ترى هل يحضر حبيب الى الشاطيء في الساعة الثانية عشرة؟
سيحضر. من المؤكد انه سيحضر .. وجلست محاسن نصار
فوق الرمال تحت المظلة الخضراء تستعرض الأمواج المندفعة
الى الشاطيء الفسيح لتتكسر فوق رماله السمراء .

وكانت محاسن على قلق واضطراب ووجوم . كانت تخشى
أن يتخلف حبيب عن الحضور الى الشاطيء اليوم كما تخلف
بالأمس .. هل سيتخلف حبيب عن الحضور اليوم ؟ لا ، لا ،
لن يتخلف عن الحضور اليوم . من المؤكد انه سيحضر
وستشاهده وتجلس قربه وتتحدث اليه .. وستتناول طعام
الغداء وإياه ايضاً ..

وبلغت الساعة الثانية عشرة دون أن تشاهد حبيباً
قربها .. وتساءلت : « ماذا، ألا يحضر اليوم حبيب ؟ وأبت
محاسن ان تجيب بلا..، وأصرت على الهمس: « هو سيحضر..
سيحضر بعد الظهر . سيتناول طعام الغداء في داره ويحضر
الى الشاطيء » .

ستنتظره. هي لن تعود الى دارها الا وقد حضر حبيب ،
وشاهدته وجلست قربه ..

واذا لم يحضر ؟ لا . هو سيحضر من المؤكد انه سيحضر.
ستنتظره .. ستنتظره حتى الماء . هي لن تغادر الشاطيء
الأبعد ان تشاهد حبيباً

وانتظرت محاسن ، وطال انتظارها . ومضت الساعات
على سرعة واندفاع ، ومحاسن تتمنى ان تبطيء تلك الساعات
في مسيرها . فهي تريد ان يحضر حبيبها قبل ان تشرف
الشمس على الأفول ..

وخيب حبيب مرزوق الآمال ، فأشرفت الشمس على
المغيب وما يان له أثر على شاطئ المعاملتين .. وتحول القلق
في قلب محاسن نصار الى ألم شديد عنيف . وأبت ان تصادر
الشاطئ الجميل الرحيب فضت في جلستها فوق الرمال تستعرض
الشمس في انحسارها الى اليم والدموع توج في عينيها ..

وانسابت الذكريات في رأسها على لوعة وشوق وألم
وحنين .. وتذكرت ، تذكرت محاسن جلستها منذ أيام قليلة
مع حبيب على الشاطئ في مثل تلك الساعة .. كأنها جالسين
فوق الرمال . لم تكن محاسن وحدها ، مثلها الآن ، بل هي
كانت مع حبيب ، وكانت الشمس تقف ، كما تقف على شرفة
الأفق البعيد . وكان نورها الشاحب الواهي الضئيل يخضب
امواج البحر بلونه القرمزي القاني الاحمرار ..

لم يتغير شيء . الشاطئ هو هو .. والرمال هي هي ،
والأمواج ، والشمس والنور الواهي الضئيل ، والفضاء الأحمر
الفاقن .. كل شيء باق على حاله ..

لم يتغير شيء . لم يتبدل شيء إلا نفسها ، إلا روحها .

الاقلبها ، الا تفكيرها .. يومذاك كانت تجلس قرب حبيب
وكانت فرحة القلب مرآحة البال ، طلقة الروح . أما الآن
فهي دامعة العين كسيرة الخاطر مهبضة الجناح . انها لتجلس
وحدها تودع الشمس قبل رحيلها والدمعة في عينيها والنفصة
في قلبها والأنة في روحها ، انها لتنتظر حضور حبيب .
ويخيل اليها ان كل ما هناك ينتظر معها عودة حبيب . الرمال
والامواج والشمس والفضاء ..

وطال جلوس محاسن نصار على الشاطئ المترامي الاطراف ،
وطال انتظارها وطال تفكيرها .. وبدا الظلام يلف الشاطئ
الفسيح بأجنحته السوداء ومحاسن نصار جالسة على الرمال
غرقى في تفكيرها وأشواقها وحنينها ..

واقفر الشاطئ من الساجدين ومن الساججات . وتلفتت
حولها ، فاذا بها وحيدة على الشاطئ . ما هناك سوى
الرمال والمظلات والامواج .. وكان هدير الامواج يمزق آذان
الليل البهيم ويبعث في نفس محاسن نصار اللوعة والشوق
والحنين ..

ونفضت .. يجب ان تعود أدراجها الى بيروت . لماذا
تنتظر وحبيب لن يحضر الى الشاطئ ، بعد ان غرق ذلك
الشاطئ في حضن الظلام البهيم ؟ .

وسارت محاسن الى الكابين تنزع عنها ثياب البحر وترتدي

ثيابها ثم تشخص الى سيارتها فتستقلها وتطلق لها العنان في طريق بيروت .. ولم تنقطع محاسن عن التفكير بحبيب حتى وهي تقود سيارتها الأنيقة الفخمة. فراحت تمن في التفكير متسائلة : « لماذا لم يحضر حبيب مرزوق الى الشاطيء ؟ لماذا انقطع عن الحضور يومين متتاليين؟ ماذا حدث ؟ ماذا جرى؟ هل هو مريض ؟ اذا كان مريضاً وجب عليها ان تودعه ؟ هل وقع في معضلة صعبة الحل ؟ اذا كان واقماً في معضلة عليها مساعدته ..

وأخيراً ، هل غدر بها وكفر بحبها ، وأحب فتاة غيرها؟

وشعرت محاسن نصار بالنار تحرق قلبها ، وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد ؟ وحاولت ابعاد تلك الفكرة ، فكرة الخيانة عن رأسها : لا . حبيب ليس خائناً . هو لا يخون انه يحب مخلص وفي .. ولكن .. ولكن هو. لم يتعرف اليها الا منذ مدة قصيرة . ولم يبح لها بعبه ولا هي باحت له بحبها الا منذ ثلاثة ايام ، ألا يجوز ان يكون لحبيب حبيبة او خطيبة او عشيقة ؟ لماذا لا يجوز ، كل شيء يجوز . ان حبيباً في مستقبل العمر وهو وسيم جميل قوي انيق ، هل يمكن ان يعتمد شاب مثل حبيب عن بنات حواء ؟ .. لا . وألف .. من المؤكد ان حبيباً عرف الحب قبل ان يعرفها وهو على علاقة باحدى بنات حواء. وهذا هو السبب في تخلفه عن الحضور الى الشاطيء يومين متتاليين .. لقد أبى حبيب ان

يلتقي بها على الشاطئ ، بعد ان باحت له بحبها، اكراماً لمينى
حبيبته الحسنة .

واشدت نار الغيرة اندلاعاً في صدرها وقد وصلت بتفكيرها
الى هذا الحد .. ومضت في تفكيرها والسيارة بها في الطريق
البعيد الفسيح الارجاء ..

ومست في سرها ، وهي تقود سيارتها : « ولكن حبيباً
صرح لي بأنه لا يعرف الحب قلبه قبل ان يتعرف اليّ ..
اتراه يكذب عليّ ؟ . اتراه يخدعني ؟ . لا . لا مستحيل .
حبيب لا يكذب ولا ينطق بسوى الحقيقة الناصعة البيضاء ..
لماذا لم يوافقها الى الشاطئ ؟ ... لماذا ؟ ليست قدرتي ، ليست
قدرتي ..

ووصلت السيارة بها الى شارع الحمراء . وترجلت منها
امام بنايتها ، ودخلت الى دارها تسرع بالدخول الى غرفتها
وتستأنف التفكير بالأم وحسرة ودموع ..

ولم تشخص محاسن الى حملها في الملهى تلك الليلة بالرغم
من محاولة صديقتها انعام .. فقد ابت محاسن نصار ان تغادر
دارها ، بل هي ابت أن تغادر غرفتها . وللمرة الثانية
تشخص الراقصة انعام توفيق وحدها الى ملهى ابي العز ،
وتظل محاسن نصار وحدها في دارها مستلقية في سريرها
تفكر وتبكي

وشعرت محاسن نصار بعاصفة شديدة من الحب الطاغى
الطامى العنيف تجتاح قلبها وتغمر روحها .. وأدركت انها
تحب هذا الشاب القروي حباً هائلاً مروعاً خفيفاً وخافت
محاسن . لقد خافت هذا الحب العاصف الشديد . هي لم تحب
مثل هذا الحب من قبل ، لم تشعر بمثل هذه العاطفة اللاهبة
المتقدة السعير . لم تعرف عيناها الدموع ولم تعرف روحها
الأم ولم يعرف قلبها القلق والاضطراب . أهذا هو الحب الذي
يتحدث به الشعراء ويكتب عنه الكتاب والادباء ؟ أهذا
هو؟. اذا كان هذا هو اول الطريق فكيف سيكون آخره؟..

وشعرت محاسن بشوق رحيب الى حبيب. وتمنت لو انه
قربها الآن . اذن لضمته الى صدرها وأبت أن تنسلخ عنه
مدى العمر .. واستبد بها الحب والوجد فراحت تناجي
حبيباً بأرق الالفاظ وأعذبها وهي تبكي .. ولم يغمض لها
جفن طيلة ذلك الليل. لم تعرف محاسن طعم الرقاد الا والفجر
قد بسط وشاحه الوردي الجميل على لبنان ..

ونامت محاسن . نامت ثلاث ساعات. ثلاث ساعات فقط.
منذ الساعة الخامسة حتى الثامنة .. نامت لتعلم بحبيبها
وللتشاهده في الحلم يبكي . كان يبكي مثلها وكانت الدموع تغمر
عينيه ، واللوعة والأسى والشجون تلوح على وجهه ..

ورجبت الراقصة محاسن نصار من السرير لتغسل وجهها
وترتدي ثيابها على عجل وتسرع بالخروج من الدار قبل أن

تستفيق صديقتها انعام ..

واستقلت محاسن السيارة وأدارت محركها فطارت بها
تسابق الريح في طريق المعاملتين .. ووصلت بها الى الشاطئ
الرحيب الهادئ الساجي الامواج .. وترجلت من السيارة
وانجهدت الى الشاطئ .. وكان عدد السابحين والسابحات قليلا .
فالوقت مبكر ، لم يحن بعد موعد اقبال السابحين الى الشاطئ ..
ولم تبعث محاسن عن حبيبها بين السابحين القلائل .. هي لن
تتعب نفسها في البحث . من المؤكد ان حبيبها لم يفش الشاطئ
اليوم . وهو لن يفشاه . فلماذا البحث والتفتيش والانتظار ؟
وانجهدت محاسن الى النادي الصغير . ووثبت الى صاحب
المسبح تسأله :

« حبيب مرزوق .. هو احد زبائنكم . كان يرئاد هذا
الشاطئ الحالم الجميل كل يوم ثم انقطع عن الحضور الى هنا
منذ ثلاثة ايام .. هل تعرفه يا سيدي ؟ » .

وابتسم صاحب المسبح ، وهو نفسه صاحب النادي الصغير
الجالثم على كتف الشاطئ الرحيب .. ودعاها للجلوس . قال :
« تفضلي يا آنستي اللطيفة اجلسي . استريحى وسأجيبك على
سؤالك » .

قالت : « لا يا سيدي . لا . لا اريد ان استريح لا اريد
ان اجلس .. ليس لدى متسع من الوقت للجلوس وللاستراحة .
ارجوك ان تجيبني على سؤالي . قل لي : هل تعرفه ام لا ؟ » .

واتسمت الابتسامة على شفقي صاحب النادي الصغير .
ومس :

« اعرفه حق المعرفة . فهو من قريتي . انا وحبيب مرزوق
من قرية واحدة » ...

فارتاحت محاسن نصار بعض الارتياح وصاحب المهى
يعلن لها انه يعرف حبيباً حق المعرفة وانّه من قريته .
الحمد لله . الاتصال بحبيب اصبح ميسوراً .. وتمت محاسن:
« ارجوك ان ترشدني الى قريتكما. اريد ان ارى حبيباً »:
فأدرك صاحب النادي انه حيال عاشقة متيمة ولهى ،
وعاد يدعوها للجلوس وللاستراحة ، الا أن محاسن أبت ان
تجلس وترتاح .

قالت : « لا . ارجوك ان ترشدني الى القرية ، أين تقع
هذه القرية ؟ هل تبعد مسافة طويلة من هنا ؟ »

قال : « لا . هي لا تبعد إلا القليل .. عشر دقائق فقط
في السيارة وتكونين في القرية » .

قالت : « اين تقع هذه القرية ؟ ومن اين السبيل اليها ؟ »
ولم يجب صاحب النادي على سؤال محاسن ، بل نادى
اليه خادمه الخاص : « عبود ! تعال يا عبود » .

وجاء عبود : « بماذا يأمر سيدي ؟ »

قال : « رافق الأنسة اللطيفة الى القرية ، وارشدنا الى
دار حبيب مرزوق » .

وشكرت محاسن لصاحب النادي لطفه وجميله . وسارت مع الخادم الى سيارتها لتستقلها . وجلس الخادم في المقعد الخلفي . وأطلقت محاسن للسيارة العنان .

وراح الخادم هبود يرشد الراقصة الحسناء الى الطريق :
« من هنا يا سيدتي .. اصعدي من هنا » ..

وصعدت محاسن في الطريق الضيق المنساب وسط غابة صنوبر خضراء انسياب الاعمى الرقطاء : «من هنا يا سيدتي» .
وقدير محاسن محرك السيارة وتسير في سفح الجبل ، في الطريق الضيق المليء بالحفر والأخاديد .

وراحت تفكر وهي تقود سيارتها الفخمة : «هي شاحنة الآن الى حبيب ، فهل يجوز ان تلتحق به وهو الذي هرب منها وتخلف عن موافاتها الى الموعد المضروب؟ وأين كرامتها؟ وأين كبريائها ، وأين إباء نفسها ؟ صحيح ؟ لا يجوز للفتاة ان تبعدو وراء الشاب . ماذا سيقول فيها حبيب مرزوق وهو يشاهدها تلتحق به وتمعدو وراءه ؟ يجب ان تعود . يجب ان تعود . ما لها وله ، بالأمس كانت تنوي الابتعاد عنه الى الابد ، وقد اتخذت قرارها الحازم بالهرب منه فما بالها اليوم تنقض قرارها وتركض وراء حبيب مرزوق ؟ يجب ان تعود . كرامتها قبل كل شيء . لو ان حبيباً يحبها لما ابتعد عنها ، لما تخلف عن مواعده معها ، لما انقطع عن ارتياد الشاطئء الرحيب وهو الذي يشخص الى ذلك الشاطئء كل يوم ..

تعود ؟ تعود بعد ان اصبحت على مقربة من القرية ؟ على مقربة من القرية ؟ على مقربة من حبيب . لا . لا . هي لن تعود ، لن تعود قبل ان تقف على سبب ابتعاده عنها . كرامتها ؟ لا كانت كرامتها . ليس في الحب كرامة ، قلبها ، قبل كرامتها وقبل إباء نفسها وقبل كبريائها .. ستتابع طريقها وتصل الى القرية ، وتشاهد حبيباً وتقف على سبب تخلفه عن الحضور الى الشاطيء .. ثم .. ثم ماذا ؟ ثم تودعه وتعود ادراجها ، وتنفذ القرار الذي اتخذته ، وتبتعد عن حبيب الى الابد ..

وسارت السيارة بها وهي تنهادى بين الحفر وبين الصخور . وأطلت فجأة على القرية .. كانت تلك القرية الصغيرة تقع وراء جبل شامخ دائم الاخضرار ، ترتفع حولها اشجار الصنوبر الباسقة الخضراء كأنها جنود تقوم على حراستها . وكانت الصخور النائية الصغيرة تجثم في السفوح والتلال كأنها اصنام وتماثيل لمحتها يد نحات ماهر قدير . وكانت منازل القرية ، وبينها منازل يتوج هامها القرميد الاحمر ، مبعثرة في حنايا القرية بين البساتين والجنانين والحدائق الغناء . وكان كل شيء هادئاً ساكناً في تلك القرية الباسقة الخضراء ، ما هناك سوى تفاريد المصافير وترانيم الجداول وحفيف اوراق الاشجار وهي تنهادى بين ايدي النسيم العليل .

واشار عبود عليها بإيقاف السيارة الى جانب الطريق ،

وقد توغلت في القرية الحاملة الهادئة الباسمة الشاه .. وأوقفت
محاسن السيارة حيث اشار عبود . وترجلت منها ، وترجل
عبود ، ووقفت تستعرض منازل القرية ، واشجارها وصخورها
وحداثقها وبساتينها بدهشة واعجاب. هذه القرية فاتنة رائعة
انها لتتربع على قمة الفتنة والروعة والجمال . ليتها تستطيع
أن تقضي العمر كله في هذه القرية بين هذه الاشجار وهذه
الصخور وفي حضن هذه الطبيعة الفاتنة الباسمة الهادئة
السمحاء ..

وسار الخادم عبود امامها وهو يقول : من هنا يا سيدتي
علينا ان نسير على اقدامنا زهاء مئتي متر لنصل الى دار
حبيب .. وسارت محاسن ، سارت بين اشجار التفاح
والاجاص والتين والزيتون في طريق ضيق لا يتسع المسير فيه
الى اثنين .. والى جانب ذلك الطريق جدول صغير ينساب في
قناة مرصلا انغاما شجيرة تشنف الاذان .

ومضت محاسن في مسيرها بين اغصان الاشجار المثمرة
وراء عبود .. ووصلت الى امام دار قرؤية صغيرة ، سقفها من
الطراز القديم وقد امتد امامها سطح قبو فسيح ، وفوق
ذلك السطح امتدت خيمة نصبت من اغصان الاشجار وامام
الدار احواض مفروسة بالازهار المتعددة العبير والالوان ،
وحول الدار انتصبت الاشجار الوارفة الظلال ، وتحتم الدار
بستان فسيح خرست فيه اشجار التفاح والاجاص والكرز
والخوخ ..

والتفت عبود الى الراقصة ليقول : « هذه هي دار حبيب
مرزوق » . قال عبود الخادم هذا وامرع بالدخول الى تلك
الدار . ودخلت محاسن الى الدار وراهه فسمعتنه يقول : « يا
ام حبيب . هنا فتاة بيرونية جميلة تسأل عن حبيب . اين
هو ؟ هل هو هنا ؟ » وتمتمت الام المعجوز باستفهام : « فتاة
بيرونية ؟ ماذا تريد ؟ » . فhez عبود كتفيه وقلب شفقيه وتمتم :
« لست ادري » .

وحانت من المعجوز التفاتة الى الباب فشاهدت محاسن
واقفة في الباب . وسارت اليها تصافحها هامة : « اهلا اهلا .
لقد شرفت دارنا يا ابنتي . تفضلي تفضلي بالدخول » . وتفضلت
محاسن نصار بالدخول والحجل يسحقها .

لقد جالست محاسن الاثرياء والوجهاء والاغنياء ، وتحدثت
الى ذوي الامر والنهي والسلطان فلم تشعر بأي خجل ، ولم
يصبغ الحياء جبينها بلونه الوردى مثلها وهي تدخل الى دار
حبيب وتحدث الى امه القروية المعجوز ..

ودعتها ام حبيب الى صحن الدار . وقدمت لها مقعداً
وثيراً إلا أنه قديم المهد هامة : « تفضلي يا ابنتي واجلسي
على هذا المقعد المريح .. وممست محاسن وهي تجلس على ذلك
المقعد : « شكراً لك يا سيدتي على حفاوتك بي .. » . واسرعت
الام المعجوز الى المرطبات تقدمها للضييفة الكريمة والى مرافقها
اناسام عبود .. وهمست محاسن وهي ترشف المرطبات :

« أياكون السيد حبيب هنا يا سيدتي ؟ » ولمع الالم في عيني
الام المعجوز والفتاة البيروتية تسألها عن ابنها. وهمست :
« اجل يا ابنتي انه هنا » .

وتمتت الراقصة محاسن نصار : « أين هو ؟ هل استطيع
ان اراه ؟ » .

قالت الام : « حبيب مريض يا ابنتي . لقد اصيب بوعكة
صحية بسيطة في اول الامر . اصيب بهذه الوعكة منذ اربعة
ايام فلم يآبه لها إلا أن الوعكة انقلبت فجأة الى حمى ناهشة
فاستدعيت له الطبيب ليلاً بعد ان ارقعت حرارته ارتفاعاً
شديداً.. ومدته الطبيب بالعقاقير والمصول و اشار عليه بملازمة
السرير . لقد كاد حبيب يضيع مني . كدت افقده يا ابنتي .
إلا ان الله رآف بقلبي ورحم شيخوختي . صحيح ان الخطر
بدأ يبتعد عن سريره ، إلا انه ما زال بحاجة الى معالجة
طويلة والى عناية واهتمام » .

واضطربت محاسن نصار ، وارتجفت يداها حتى كادت
كأس المرطبات تسقط من يدها ، وهي تسمع كلمات ام
حبيب . وتمتت بقلق وارتعاش : « حبيب مريض اين هو ؟
هل استطيع أن اراه يا سيدتي ؟ » قالت الام : « انه هنا .
في غرفته يا ابنتي . تعالي . تعالي معي » .

ونفضت محاسن لتسير وراء المعجوز البائسة . ودخلت ام
حبيب الى غرفة ابنها . والغرفة تلك قسم من الدار القروي .

كانت تلك الدار مقسومة الى ثلاث غرف . كل غرفة منفصلة عن الاخرى بمجاز خشبي متين . غرفة لحبيب وغرفة لام حبيب وغرفة لاستقبال الضيوف . اما المطبخ وغرفة الطعام الصغيرة فهما خارج الدار . وهناك السطح . سطح القبو ، او بالاحرى « السطبعة » وهي تمتد امام الغرف الثلاث .

وهناك في تلك الغرفة الفسيحة الارجاء كان حبيب مرزوق ممدداً فوق سرير حديدي متواضع .. ودهش حبيب وهو يشاهد حبيبته محاسن تدخل عليه . والتفت اليها ليهمس : « محاسن ؟ أأكون في يقظة ام تراني في حلم » .

وبخطوات متثددة واهية تقدمت محاسن من سرير حبيبها هامة : « حبيب ا ما بك ؟ .. ماذا اصابك يا حبيبي ؟ . ماذا دهاك يا روح محاسن » وامتكت بيده المحمومة تشدها والدمعة تترقرق في عينيها . وهمس حبيب : لولا رحمة الله لكان حبيبك حبيب في عالم الارواح الآن ، فشدت يدها يده وهمست : « لا سمح الله يا حبيب روحي فداك يا حبيبي » .

وخرجت ام حبيب من غرفة ابنها تاركة البيروقية الحسناء جالسة قرب سرير ابنها ، وشخصت الى المطبخ لتهمي القهوة . وهمست محاسن : « اخبرني يا حبيب ماذا دهاك ؟ ماذا اصابك ؟ » فهمس حبيب مرزوق : بعد ان تركتك ذاك اليوم عدت الى هنا والامال والاحلام تغمر روحي وقلبي . وانصرفت الى العمل في البستان ومضيت في العمل حتى

المغيب . وانهكفي التعب ، وتصيب العرق من جسدي .
كنت اريد ان انهي العمل كي استطيع ان اوافيك الى
الشاطيء الجميل في اليوم التالي . وانيت العمل . وعدت الى
الدار لاجلس على المقعد « على السطیحة » وكان الهواء البارد
العليل يهب عليّ من كل صوب . وكان العرق ما زال يتصبب
من جسدي فتركت للهواء البارد العليل اليد ليعبث بي ،
وفجأة شعرت بألم في خاصرتي وبضيق في صدري . فلم أبه
للأمر .

ودخلت الى الدار لأنزع عني ثيابي وأرتدي ثياب النوم .
ولم استطع ان اتناول العشاء فلجأت الى سريري . وأخذ
الألم يشتد بي . وأخذت انفاسي تضيق . وما ان انتصف
الليل حتى كانت الحمى تنهش جسدي ، وكنت قد اصبحت
على شفير القبر . وذعرت امني . وأسرعت الى الجيران تسبتجد
بهم وتطلب اليهم استدعاء الطبيب . وأسرع الجيران الى
استدعاء الدكتور جوزف كرم .. وأقبل الدكتور كرم مع
مطلع الفجر ليمدني بالمصول والعقاقير ويعلم انني مصاب بلفحة
هواء وان رئتي مصابتان بالتهاب شديد وان حالتي خطيرة ..
ومنذ تلك الليلة وأنا طريح الفراش . كنت وأنا أتألم افكر
بك يا محاسن . كنت اخشى ان اموت قبل ان اراك يا محاسن .
كنت اخشى ان تتهمني بالقدر والحيانة وقد تخلفت عن
موافاتك الى الشاطيء في الموعد المضروب .

ومست محاسن والدمعة في عينها : « فليغيبني القبر قبل

ان تصاب بأذى يا حبيبي .

قال : « اخبريني كيف استطعت ان تصلي الى هذه القرية
يا محاسن ؟ ومن ارشدك الى داري ؟ » .

قالت : « صاحب النادي أوفد معي الخادم عبود الى هنا .
انه هنا في الغرفة المجاورة » .

وأقبلت الأم العجوز حاملة للضيقة الكريمة القهوة .
وتناولت محاسن القهوة وراحت ترشفها على مهل . وجلست
الأم العجوز قريبا وراحت تسايرها وتتودد اليها دون أن
تسألها من هي ؟ ولا كيف تعرفت الى ابنها ... كان كل ما
يهم تلك الأم ان ترى ابنها سعيداً ، وهي قد رأت السعادة
توج في عيني حبيب وهو يتحدث الى البيروتية الحسنة .

وطال جلوس محاسن نصار قرب سرير حبيبها . وعندما
حان موعد تجرع الدواء ابت محاسن الا ان تجرع حبيباً
الدواء بيدها .. ودعت محاسن الخادم عبود لتتنفحه بورقة
نقدية من قئة حشر ليرات لبنانية قائلة :

« خذ يا عبود هذا المبلغ الزهيد استقل سيارة تاكسي وعد
الى عمك . وألف شكر لك » ..

وشكر عبود الخادم البيروتية الحسنة على سخائها عائداً
أدراجه الى المسبح في المعاملتين .

وأقامت محاسن قرب سرير حبيب مرزوق طيلة النهار .
تجرعه الدواء بيدها وتمتدّه بللمصول بيدها وتشرف على معالجته
ورعايته بنفسها ..

وتناولت طعام الافداء مع ام حبيب ، زعترأ وزيتونا
وجبناً وبيضاً ولبناً ودبساً وعسلاً . وتناولت محاسن ذلك
الطعام القروي بشية لم تعدها بنفسها . لقد أكلت الراقصة
الحسنة كمية من الخبز والطعام لم تتناولها مرة في حياتها .
وانقضى النهار على سرعة واندفاع. وبدأت الشمس تتوارى
وراء تلك الجبال والقمم والتلال ، وبدأ الظلام يتأهب ليغمر
القرية الواحة الهائلة المطمئنة بوشاحه الاسود البارد الكئيب
فنهضت محاسن لتودع حبيباً وأمه ..

ومست في اذنه وهي تودعه : « سأكون عندك يا حبيبي
في ساعة مبكرة من صباح غد . ارجو ان تستلم للرقاد وان
تقضي ليلة هائلة سعيدة » .

وابتسم حبيب . ومس : « شكراً لك يا حبيبي على عنايتك
واهتمامك بي . سأحمل جميلك في عنقي مدى الحياة يا محاسن ،
وشدت يد محاسن بسد حبيبها . وتمنت لو ان امه تخرج من
الغرفة لنضمه الى صدرها وتقبله ، إلا ان الامنية لم تتحقق
ولم تخرج الأم من الغرفة . واكتفت محاسن من حبيب بشد
اليدين . ثم صافعت ام حبيب بجمرة وخرجت من الدار القروية
للسير الى سيارتها فلتستقلها وتعود الى بيروت على امل باسم
وحلم هانيء عاطر جميل .

الراقصة الفاتنة محاسن نصار جالسة في غرفتها في دارها تدخن وتفكر . انها لتفكر بحبيب القلب والروح ، بحبيب مرزوق . ان حبيبها مريض ، فهل يجوز لها ان تنفذ القرار الذي اتخذته وتبتعد عنه الى الابد ؟ لا ، الوقت الآن ليس وقت تنفيذ المقررات ، عليها ان تعني بحبيب ريثما يشفى وينهض من السرير ، وعندئذ يبقى لكل حدث حديث ..

وارتاحت محاسن كل الارتياح وقد وصلت الى هذا الحل للمعضلة .. مسكين حبيب .. هو مريض . لقد اخطأت الظن به ، خيل اليها انه غدر بها وكفر بجبها فاذا به طريح الفراش ..

وقيا محاسن منصرفه الى التفكير والتدخين اقبلت صديقتها الحبيبة انعام . ووثبت انعام الى محاسن لتقول :

« اين قضيت نهارك اليوم يا محاسن ؟ لقد خرجت من الدار في ساعة مبكرة من الصباح . استفتت فلم اجسدهك . قولي لي يا « عفريته » اين قضيت نهارك ؟ »

ونفثت محاسن اللفافة في الفضاء ومست : « كنت

عنده . لقد قضيت طيلة النهار قربه يا انعام ؟ »

وتساءلت انعام : « القروي الفقير ؟ » .

قالت : « اجل هو يا انعام . الشاب الوسيم الجميل » .

وتقدمت انعام من صديقتها محاسن تجلس قريبا لتقول :

« ولذلك فأنا اراك باسمه الثغر ، طلقة الحيا ، مرتاحة الفؤاد .

لقد وجدته اخيراً » .

قالت محاسن : « انني اترجع على قبة السعادة يا انعام لقد

قضيت طيلة النهار قربه . قرب سريره » .

فأجفلت انعام . وتمتت : « قرب سريره ؟ . أياكون

مريضاً ؟ » .

قالت محاسن : « اجل . هو مريض يا انعام » .

فلمعت الخشية في عيني الراقصة انعام وهمست : « مريض

وتجلسين قرب سريره ؟ ألا تخشين ان تنتقل العدوى اليك

يا محاسن ؟ »

فابتسمت محاسن . وهمست : « الحب لا يعترف بمثل هذه

التوافه يا انعام . هل تصدقين يا انعام انني اتقى ان تنتقل

العدوى اليّ . اتقى ان امرض انا ويشفى حبيب » .

فارتسمت على شفتي الراقصة انعام ابتسامة هزه وسخرية

وتمتت : « انت مجنونة يا محاسن . لم يعد عندي شك

مجنونك . ماذا سيفعل لك حبيبك هذا ؟ وما سيفيدك الحب

اذا وقعت فريسة داء وبيل ؟ نصيحتي اليك يا محاسن ان

تبتعدي عن هذا الشاب المريض ريثما يشفى . قد يكون داؤه

وبيلًا يا اختي » .

قالت محاسن : « لا .. اطمئني . اذا كنت تخافين ان
انقل الداء اليك فانني لأطمئنك بأن داءه غير وبيل » .
قالت انعام ، وهي تنفث دخان لفاقتها في الفضاء : « ما
هو دأؤه ؟ ما هو مرضه يا محاسن ؟ »

قالت محاسن : « هو مصاب بلفحة هواء . كان العرق
يتصبب من جسده وتعرض للهواء ، فأصيب بالتهاب شديد
وارتفعت حرارته ارتفاعاً كبيراً واستدعي له الطبيب ليلاً
فأعلن ان حاله خطيرة . وهو منذ اربعة ايام طريح الفراش
إلا أن الخطر ابتعد عنه والحمد لله » .

فوجت انعام وتمتمت : « داء حبيبك خطر خفيف يا محاسن .
هكذا يبدأ داء السل الوبيل . انني لأخشى ان يكون حبيبك
مصدوراً . إن ابن عمي مات مصدوراً . وقد اصيب بما اصيب
به حبيبك .
وتبتست محاسن . وهمت : أتكون نهاية حبيب مثل
نهاية ابن عم انعام ؟ لا . لا . مستحيل لماذا تريد انعام ان
تشغل بالها وان تقلق افكارها ؟

وساد الصمت برهة بين الراقصتين الجميلتين . وعادت انعام
الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : « انهضي الآن يا محاسن
وارتدي ثيابك . سأدخل انا الى غرفتي وارتدي ثيابي ..
للساعة بدأت تشير الى التاسعة ويجب ان نخصص الى عملنا في
المهسى يا اختي » .

قالت انعام هذا ونهضت لتدخل الى غرفتها لترتدي ثياب

السهرة .. ونهضت محاسن ايضاً لترتدي ثيابها والقلق يعصف
بها والهواجس تقلق خاطرهما وتثير خوفها واضطرابها .
وانتهت الراقصتان من ارتداء ثيابها . ودلفتا الى السيارة ،
الى سيارة محاسن ، وجلست محاسن الى مقود السيارة ، وجلست
انعام قربها ، وانطلقت السيارة بها الى الملهى الصاخب
الرحيب ..

وراحت محاسن تفكر بحبيب وتردد في خاطرهما ككلمات
صديقتها انعام : « ابن عمي مات مصدوراً . وقد اصيب بما
اصيب به حبيب » . ترى هل ينتزع الموت منها حبيبها ؟ هل
يموت حبيب ؟

وذعرت الراقصة محاسن وقد وصلت بتفكيرها الى هذا
الحد : هل يموت ؟ هل تفقده ؟ هل يزاحها الموت عليه ؟
لا . لا . لا وألف لا .

والنف الزبائن الكرام حولها يسايرونها ويلاطفونها
ويغدقون عليها الهدايا وينفحونها بالخر ، إلا أن محاسن كانت
في شغل عنهم .. كانت منصرفه الى التفكير بحبيب القلب
والروح ..

وحان موعد رقصها ، والليل قد قارب الانتصاف فصمدت
الى المسرح لترقص وهي تفكر بحبيب .. وعندما أنهت عملها
ارقدت ثيابها على عجل ووثبت الى صديقتها انعام قائلة :
« انعام . انا سأهود فوراً الى الدار » .

فدهشت انعام الراقصة ، وتمتمت : « الآن ؟ الساعة لم تتجاوز

منتصف الليل يا محاسن. والذباثن الكرام والمحبون والاصدقاء
ينتظرونك في القاعة يجب ان تجالسهم وتسايرهم وتشاركهم
احسانا الخمر . يجب ان تكلي مهتمك يا محاسن .
قالت محاسن : « انا متعبة . ويجب ان ارتاح يا انعام
سأنتظرك في الدار » .

قالت محاسن هذا وممت بالانصراف .. واذا بصاحب
المهوى الكريم يطل عليها .. وشاهدها تتأهب للخروج فوثب
اليها يسك بيدها ليقول : « الى اين يا محاسن ؟ »
قالت : « سأعود الى الدار يا ابا العز » .

فظهرت الدهشة في عيني ابي العز وقال : « الآن ؟ الآن ؟
تريدين ان تعودي الى الدار؟ في مثل هذه الساعة المبكرة ؟ »
قالت : « انا متعبة يا ابا العز . الصداع يؤلني . وأنفاسي
تضيق في صدري والألم يعصف بكل عضو من اعضاء جسدي » .
فشدت يد ابي العز يد الراقصة محاسن وتمتم : « محاسن !
صحتك عندي قبل كل شيء . إلا أن المصلحة تقتضي وجودك
في المهوى . انت تعلمين يا محاسن ان المعجبين بك كثيرون ،
وأصدقاءك كثيرون ، والذين يؤمنون هذا المهوى من اجلك ،
كي يشاهدوك وينعموا بالجلوس قربك والتحدث اليك كثيرون .
اذا انت انصرفت الآن انصرفوا وراءك .. ليلة امس لم تحضري
الى العمل ، اتعلمين ماذا حدث ؟ ما ان علموا بتفبيك حتى
انصرفوا دون ان يحتسوا كأس خمر .. غيابك عن هذا المهوى
يخرب بيتي يا محاسن .

فارتسمت على شفقي الراقصة محاسن ابتسامه واهية صفراء
وهمست : « انا متمبة يا ابا العز . هل تروح الى تعبي ؟ سأقع
فريسة الداء اذا لم اخلد الى الراحة . ان غيابي عن ملهساك
لساعات قليلة يخرب بيتك .. ترى ماذا يفعل بيتك مرضي
الطويل ، الذي ينتهي بي الى القبر ؟ أليس من الافضل ان
أنتهب عن العمل ساعات من ان انقطع عنه انقطاعاً تاماً ؟
فأفحمته .. قال : « قلت لك وأعيد القول ان صحتك
قبل كل شيء عندي يا محاسن . اذا رأيت نفسك متمبة فعودي
الى الدار » .

قالت وهي تهم بالمسير : « تصبح على خير يا ابا العز » ..
فلم تفلت يده يدها . وقال : « سأرافقك الى الدار يا محاسن .
سأقضي ما بقي من الليل قريبك .. منذ أمد بعيد لم نقض ليلة
معاً . انني في اشتياق رحيب اليك » .

قالت : « لا يا ابا العز . انا منعبة الليلة كما قلت لك ،
اريد ان ارتاح . اريد ان انام . لو انني استطيع العمل لأقت
هنا في الملهى أسائر الزبائن وأسامرهم وأشاطرهم الخمر والطعام » .
قال ابو العز : « متى سأخاطبك يا محاسن ؟ متى استطيع
أن استعيد معك ليألبنا الحلوة الهانئة العذبة » ؟

قالت وهي تسحب يدها من يده : « الايام بيننا يا ابو العز .
لا تستعجل الامور وقد كانت الندامة ابدأ في العجلة » .
قال : « انني لأكاد اذوب شرقاً اليك » .

وردت عليه بابتسامه واهية صفراء .. وانسلت من الملهى ،

للسرع الى سيارتها فستقلها وتطير الى دارها القائمة عن شارع
الجمراء الارستقراطي في الصميم .. ووصلت الى دارها فأسرعت
الى غرفتها فنزع عنها ثيابها وترقدي ثياب النوم وتستلقي في
سريرها لتشعل لفافة وتنصرف الى التدخين والى التفكير .
ومرت حياتها في غيبتها . فتذكرت ، تذكرت تلك الايام
المظلمة الرهيبة المرّة المذاق التي عاشتها .. كيف مات والداها
وهي طفلة .. وكيف بسط خالها عليها سلطانه .. وكيف
عملت خادمة تغسل الصحون وتكنس الدور وتغسل الثياب
وتعاني مرارة الفقر والموز والجوع والحرمان .. وكيف
اصبحت راقصة .. وكيف حرمت من نعمة الحب المقدس
طيلة هذه السنوات .

والآن .. الآن بعد ان وجدت الحب المقدس الشريف ،
تتدخل الاقدار في مصيرها لتحرمها من حبيبها .. فكأن
الله كتب لها الشقاء والتماسة والعذاب في صفحة القدر . كأنها
ولدت والنحس في يوم واحد . ترى هل تفقد حبيباً ؟ .. اذا
فقدته ، لا سمح الله ، فهي لن تعيش يوماً واحداً بعده . اذا
مات حبيب ، لا سمح الله ألف مرة ، فستلحق به . ستنتحر
وتدفن وإياه في قبر واحد ..

وأدمعت عينا محاسن وشريط حياتها يمر امام عينيها ..
وأغمضت عينيها على دموعها . ومست : « ارحمني يا رب .
يكفيني ما ذقت من العذاب والالم والشقاء في حياتي . رفقا
بقلي يا إلهي واشف لي حبيباً » .

وثامت .. ثامت محاسن على دموعها .. وعندما استفاقت
كانت الشمس قد بدأت تتسلل عبر النافذة الى غرفتها لتغمر
سريرها بوشاحها الذهبي الجميل .. ورمقت محاسن الساعة بنظرة
سريعة فاذا بها تشير الى الساعة من الصباح .. ووثبت من
السريـر. وغسلت وجهها ثم بدأت ترتدي ثيابها على عجل . لقد
وعدت حبيباً بأن تكون عنده في ساعة مبكرة من الصباح .
يجب ان تسرع في الوصول اليه . وانتهت من ارتداء ثيابها .
وحملت محفظتها ، وتسللت من الدار وهي تخشى ان تستفيق
انعام وتحاول ردعها عن الذهاب اليه .. واستقلت سيارتها
وأطلقت لها العنان في طريق المعاملتين ..

وعادت محاسن الى التفكير ، وهي تقود السيارة الفخمة
الانيقة . وعادت الافكار تفلق خاطرها . وعادت كلمات
انعام ترن في اذنيها ، ابن عمي مات مصدوراً بعد ان أصيب
بلفحة هواء . تماماً مثل حبيبك .. وأرسلت محاسن أنسة
موجعة وهي تقود سيارتها . وهمست في سرها : لقد أثارت
انعام القلق والخوف والذعر في قلبي من يطمن قلبي وينزع
منه هذه الهواجس والافكار السوداء ويريجني منها؟ .. من؟ ..
ليس ثمة الا الطبيب . يجب ان تستشير طبيباً .. ولكن ..
من هو هذا الطبيب الذي ستستشيرهُ؟ .. من هو؟ .. يجب
ان تستشير الطبيب الذي عالج حبيباً والذي مده بالوصول
وصف له الادوية والعقاقير .. هذا الطبيب ، من هو ؟ انه
الدكتور جوزف كرم .. هكذا قال لها حبيب .. لقد قال

لها : الجيران استدعوا لي الدكتور جوزف كرم ليلاً ..
الدكتور جوزف كرم ؟ .. اجل .. وعيادة الدكتور
جوزف صكرم في المعاملتين . لا تبعد عن الشاطيء الفسيح
الارجاء سوى خطوات قليلة . ورواد الشاطيء كلهم يعرفون
تلك العيادة . وأكثرهم يمر بها في ذهابه وإيابه .. ستمر اذن ،
وهي في طريقها الى القرية الصغيرة الوادعة ، ستمر بعيادة
الدكتور كرم وتساله عن حالة حبيب وتقف منه على الحقيقة
الناصعة البيضاء ..

وضغطت رجلها على ضاغط البازين فاندفعت سيارة
البويك السوداء بأقصى سرعتها .. كانت محاسن تريد الوصول
الى عيادة الدكتور جوزف كرم لتقف منه على الحقيقة الراهنة
البيضاء .. ووصلت السيارة بها الى المعاملتين ، وانجبت بها
الى عيادة الدكتور جوزف كرم ، ودخلت الى العيادة لتطلب
من الممرضة مقابلة الطبيب . وكانت العيادة تزدهم بالمرضى
الذين جاؤوا للمعالجة فدعتها الممرضة الى الانتظار .. وانتظرت .
انتظرت زهاء ساعة قبل ان تسمح لها الممرضة العبوس بمقابلة
الطبيب .. وأخيراً ، وبعد انتظار طويل سمحت لها الممرضة
بالدخول على الطبيب .. ورحب الدكتور كرم بالفادة الحسنة
وسألها : أمر ؟ .. بماذا تحسين ؟ .. ماذا يؤمك ؟

وابلست محاسن نصار . وهمست : « انا لا أشكو داء
ولا أحس بمرض يا سيدي الطبيب ، وضحك الدكتور كرم ،
وهس : « هل يخيل اليك انني بائع عطورات ؟ هل جئت

تبتاعين علبة بودرة او قلم احمر شفاه ؟ ، والدكتور حكرم خفيف الروح سريع النكتة دائم الابتسام . هذا اذا كان هادىء الاعصاب . أما اذا كان غاضباً ، فان ثورة الغضب تبلغ ذروتها في نفس الدكتور كرم .. ومن حسن حظ الراقصة محاسن نصار ان الدكتور كرم كان هادىء الاعصاب تلك الساعة .. فارتاحت محاسن للطف الدكتور كرم ولحفاة روجه ومهمت : « انا اعلم يا سيدي الطبيب انك لا تتاجر بسوى المعرفة والطب والادوية والمقايير ولذلك فقد جئت اليك جئت لاطلب منك أداء خدمة . جئت لاستشيرك في مسألة طبية » فجلس الدكتور كرم على مقعده ومس : « سلي ما تريدن ايتها الحسنة » . وتمت محاسن : « منذ خمسة ايام ذهبت فجراً لمعالجة شاب في القرية الخضراء القريبة من المعاملتين . هل تذكر يا سيدي ؟ » قال الطبيب : « من اين لي ان اذكر وقد عاجلت مئات المرضى خلال هذه الايام الخمسة . قولي لي ما هو اسم هذا الشاب ؟ » قالت : « اسمه حبيب مرزوق » قال : « أجل . اذكر . حبيب مرزوق شاب وسم قوي . كان مصاب بالتهاب في الصدر وفي الرئتين » . قالت محاسن : « جئت اسألك يا سيدي واستحلفك بشبابك ان تقول لي بكل صراحة ، هل هناك خطر على حياته ؟ » . وادرك الدكتور كرم ، وهو ليس بغريب عن اورشليم ، ادرك انه حيال عاشقة متيمة ولهى فقال : « ماذا يهمك من امر حبيب مرزوق ؟ .. هل انت نسبيته ؟ .. » قالت :

« لا .. انا صديقته يا سيدي ، فضحك الطبيب ومس :
« اطمني . ليس ثمة اي خطر على حياته سيكون باستطاعته
الزواج بعد ايام قليلة » .

فصيح الخجل وجنتي معانن إلا أنها اطمانت بعض
الاطمئنان .. وأبت إلا أن تزداد اطمئناناً فقالت : « ولكنني
اعلم ان لفحة الهواء فصل بالملفوح الى داء السل الوبيل ،
فقهاه الدكتور كرم وقال : « ما دامت معلوماتك الطبية
واسعة الى هذا الحد ، فلماذا لا تفتحين عيادة وتعالجين
المرضى ؟ » .

ومرة ثانية صبغ الخجل جبين محاسن نصار . وتمتت :
« اعرف شاباً اصيب بما اصيب به حبيب مرزوق يا سيدي
ولم يلبث ان اصبح مصدوراً ، وانتهى به الداء الوبيل الى
القبر » قال الدكتور كرم : « اسمعي يا انستي اللطيفة . ان
ما اصاب صديقك او حبيبك او خطيبك حبيب مرزوق امر
خطير . ان لفحة الهواء قد تؤدي الى داء السل وقد تؤدي
الى الموت اذا لم تعالج فوراً وبسرعة . ومن المعلوم ان داء
الصدر يجد ارضاً خصبة في صدور الشبان الاقوياء . كان من
الممكن ان يصاب حبيب مرزوق بداء الصدر لو لم اسرع
لمعالجته بأحدث الوسائل الطبية . اما وقد عولج فهو
سيكون قادراً على النهوض من السرير خلال اسبوع
على ابعد تعديل .. ثم انا لا اعلم لماذا يخاف الناس داء الصدر
او داء السل كما يسمونه ، بالرغم من ان الادوية والعقاقير

والمصول الحديثة اصبحت قادرة على قهر هذا الداء وعلى خنق
جرثومته في مهدها . ان داء السل لم يعد اليوم داء خطيراً
مميّناً يا آنسي . ثم انني اقسم لك ان داء الصدر بعيد عن
حبيب مرزوق بعد الارض عن السماء .

وارتاحت معانن نصاري كل الارتياح .. وشكرت الطبيب
على جميله ، وودعته لتسرع الى سيارتها فتستقلها وتطير بها
الى حبيب القلب والروح والاحلام الهانئة والآمال الباسمة
الخضراء تداعب فؤادها الهائم الولوج .



١٢

نور وظلام

أقامت محاسن نصار قرب سرير حبيبها مرزوق لا تفارقه طيلة النهار، فكانت تشخص الى القرية الوداعة الهانئة الخضراء في ساعة مبكرة من الصباح حاملة لحبيب القلب والروح الحلوى والائثار والهدايا ، وتجلس قرب سريره تسايره وتسامره وتشرف بنفسها على معالجته ، وتجرحه الدواء بيدها . وكانت محاسن تجد لذة كبيرة في معالجة حبيب وفي خدمته . وازدادت تعلقاً به وقد لمست به الأدب والفضيلة والصلاح . وكان حبيب قد ازداد أيضاً تعلقاً بحبيبه محاسن بعد ان لمس فيها العطف والحب والتفاني في خدمته .

وكانت محاسن تعود الى دارها في بيروت في المساء . فما أن تنوارى الشمس وراء تلك الجبال الشامخ حتى تثب محاسن الى حبيب تودعه وتودع أمه المعجوز وتعود ادراجها الى بيروت على بسمة طليقة وأحلام وارفة عذاب ..
وتدخل محاسن الى غرفتها لتتزع عنها ثيابها، ثياب النهار، ثياب الحشمة والفضيلة ، وترتدي ثياب الليل ، ثياب السهرة

الصاخبة المجنونة الحمراء ...

وتعمل محاسن طيلة الليل في الملبى ، تجالس الزبائن ،
وتسايرهم وتشاطرهم الشراب ، وتسطو على اموالهم ، ثم تصعد
على المسرح لترقص رقصها الشرقي الصاخب .. وتعود مع مطلع
الفجر البعيد مع صديقتها انعام الى الدار لتنام .. وتنهض في
ساعة مبكرة فترتدي ثيابها وتستقل سيارتها وتطير بها الى
حبيب .. واطمأنت محاسن كل الاطمئنان لبرنامجها هذا .
الليل لعلها ، لرقصها ، للقامة الخبز . والنهار لقلبها ، لحبيبها ،
لحبها ..

وسار حبيب مرزوق خطوات سريعة في طريق الصحة
والعافية .. وصحت نبوءة الدكتور جوزف كرم .. ما ان
انقضى الاسبوع حتى وثب حبيب من السرير ، والصحة تغمر
بردته بوشاحها الفضفاض الرحيب .. وبدأ حبيب يخرج مع
محاسن الى الاحراج والغابات والكروم والبساتين . فكان يمسك
بيدها ويسير وإياها ليجلسا معاً في ظل شجرة خضراء او تحت
حنايا صخراته . وتجلس محاسن قرب حبيب ، يدها بيده
ورأسها الى صدره ، وتنثني الراقصة محاسن نصار في جلستها
الهائثة قرب حبيبها وقد غمرتها الطبيعة بوشاحها الاخضر
الفضفاض وسكبت المصافير في آذانها اناشيدها الشجية
وأرسلت الجداول حولها ترانيمها العذبة الرخيمة .

وينصرف العاشقان المتيمان الى المناجاة والى رسم خطوط
المستقبل الباسم الجميل .. ويفرش حبيب مرزوق طريق حبيبته

محاسن بالورود وبالطور وبالرياحين : « غداً يا محاسن ، بعد ان نتزوج ، سنقضي العمر كله معاً ، هنا في هذه الربوع .. سنقضي العمر كله يا محاسن .. هكذا سنقضي العمر يا حبيبتى . يدي بيدك ورأسك على صدري ونسير في طريق الحياة معاً حتى النهاية ، .. »

وتفمض الراقصة محاسن عينيها على دموعها لتشاهد بعين الخيال من خلال دموعها ذلك المستقبل الجميل الذي يرسمه حبيب لها .. وتهمس في سرها : « حبيب على يقين من اني فتاة شريفة ، ابنة تاجر كبير ، تعيش مع ابنة خالها في دارها في بيروت عيش فضيلة وطهارة وشرف وعفاف . ترى ماذا سيقول ؟ وماذا سيفعل اذا علم اني راقصة اعرض جسدي العاري كل ليلة على ابناء الليل وبناته ؟ »

وتتصرف محاسن الى التفكير فيما حبيب يسكب في أذنيها كلمات الحب والهوى والحنين .. وتستغرق الراقصة الحسنة في تفكيرها .. ماذا عليها أن تفعل ؟ هل تطلع حبيباً على الحقيقة الناصعة البياض ؟ هل تقول له : « انا خدعتك يا حبيب ، انا كذبت عليك .. انا لست ابنة تاجر كبير . انا راقصة .. راقصة أكسب خبزى بدموع عيني ؟ »

هل تقول له هذا ؟ .. لا لا وألف لا .. الموت أهون لديها من هذا . هي لن تطلع حبيباً على هذه الحقيقة . لن تعترف له بحريمتها . لن تقول له : « انا خدعتك . » وتقف امامه مطأطأة الرأس ذليلة خجولة .. ماذا ستفعل اذن ؟ .. هل تنفذ الخطة

المرسومة فتبتعد عنه الى الابد؟ .. لا .. هذا ما لا تقوى عليه .. هي لا تستطيع ان تحيا بعيدة عنه ، لا تستطيع ان تعيش وقد ابتعد هو عنها .. الموت اهون عليها من الابتعاد عنه .. ماذا ستفعل اذن محاسن نصار ؟ .. هي لا تستطيع البقاء قرب حبيب مرزوق ، ولا هي تستطيع الابتعاد عنه . ماذا ستفعل ؟ . لست تدري ماذا ستفعل .

وتضيق محاسن في تفكيرها ، وهي جالسة قرب حبيب مرزوق .. وتظفر الدموع من عيني محاسن ، وتبدأ تلك الدموع بالانهار على وجنتيها النديتين .. ويلتفت حبيب اليها ليقول : محاسن ! .. لماذا تبكين ألا تروق لك الحياة ؟ قرب حبيب ؟ . ألا تريدان ان تقضي العمر قربي يا محاسن ؟ . وتطوق محاسن نصار عنق حبيبها بيديها . وهمس : هذه هي دموع الفرح يا حبيبي .. انها دموع السعادة . انا سعيدة قربك يا حبيب ، سعيدة بجمك ، سعيدة بك . والسعادة عندما تبلغ ذروتها تدفع الدمع الى الانهار ، والسعادة الكبيرة مثل الحزن الكبير يا حبيب .

ويتعانقان على جوى وار .. وتنسلخ محاسن عن حبيب لتسرع الى دارها فتدخل الى غرفتها وتستغرق في البكاء .. كانت محاسن نصار في حيا كالنائه في يم شاسع واسع رحيب تحيط به الأمواج المتلاطمة والعواصف الهوجاء . لم تكن محاسن تعلم ماذا عليها ان تفعل .. هل تبتعد عن حبيب أم تظل قربه ؟ . هل تطلعه على حقيقتها ، أم تخفي

تلك الحقيقة عنه ؟ . ليست قدرتي ، ليست قدرتي .. عشرات الاسئلة كانت تدور في خاطر محاسن نصار دون ان تستطيع الاجابة على سؤال واحد منها .. فهي تعلم يقيناً انها لن تستطيع العيش قرب حبيب ، اذا وقف حبيب على حقيقتها . اذا علم انها راقصة فهو سيعتمد عنها كما يعتمد عن الوباء . فهو لن يرضى بالزواج من راقصة ، واذا رضي فان أمه لن ترضى ، وهذه الأم ، سترغم ولدها على الابتعاد عنها .. وحبيب يجب أمه ويحترمها ولا يخالف لها أمراً .. من المؤكد أن تلك الأم ، وهي القروية التي لا تزال تعتبر الكشف عن عنق المرأة وعن معصمها جريمة خلقية لا تغتفر .

من المؤكد ان تلك الأم ستمسك بيد ابنها وتبتعد به عن الراقصة التي تعرض جسدها العاري على العيون النهمة الجائعة المعطشى .. وتعلم محاسن انها لن تستطيع الابتعاد عن حبيب . ان الموت افضل لديها من الابتعاد عن حبيب مرزوق .. الويل لها اذا ابتعدت عن حبيبها ، وألف ويل لها اذا لم تبتعد . وتضيع الراقصة الحسنة في تفكيرها ، وتلقه في دموعها كما يتبه الضائع في صحراء واسعة الحنايا بعيدة المدى مجهولة الحدود ..

ولم تستطع محاسن ان تتخذ اي قرار . لم تستطع ان ترمم مصيرها مع حبيب فتركت للايام تدبير امرها وتقرير ذلك المصير ...

ومضت الراقصة الجميلة في علاقتها العاطفية المتينة بحبيب

مرزوق . كما مضت في عملها في ملهى صالح ابي العز .. في
النهار تشغص الى القرية الباسمة الخضراء وتخلو بحبيبها ، وفي
الليل ترقص وتساير الزبائن وتحسو الخمر معهم وتستولي على ما
في جيوبهم من مال وذهب ..

إلا ان محاسن نصار لم تكن مرتاحة الى حالها . فهي
لا تريد ان تمضي في خداع حبيبها . هي تريد ان تخلص له
على الاقل ، ما دامت لا تستطيع ان تصارحه بالحقيقة ..
تريد ان تكفر عن ماضيها بحاضرها . الماضي مضى . لقد
رقصت وشربت الخمر ، وسكرت ، وكان لها علاقات غرامية
مع اكثر من رجل ، وأغدقت على عشيقها الرسمي صالح ابي
العز الكثير من جسدها ومن عاطفتها فهل يجوز لها ان تمضي
في المسير ؟ .. هل يجوز لها ان تستمر في حياة الظلام بعد ان
أحبت حبيباً وتدلته بحبه وقفانت في هواه ؟ .. لا ، لا ،
هذا ما لا يجوز .. يجب ان تنسى الماضي وأن تدفنه وتخلص
منه . ثم ، ثم تعيش بحاضرها حياة نظيفة سعيدة ناصعة
البياض . وهكذا تخلص لحبيبها وتصون شرفها وكرامتها
وسمعتها ونصاعة جبينها ..

واستلقت محاسن نصار ذات ليلة على سريرها الوثير قدخن
وتفكر . كانت تفكر بالتخلص من ماضيها .. ولكن
كيف ؟ .. كيف تستطيع التخلص من هذا الماضي الاسود
الموبوء ؟ .. هل تستطيع ان تتخلص من عشيقها صالح ابي
العز ؟ .. هل تستطيع ان تتخلص من مسaire الزبائن في الملهى

الليلي العامر ، ومن حسو الخمر معهم ؟ ..
هل تستطيع أن تتخلص من السهر حتى مطلع الفجر
البعيد ؟ .. لا .. هي لن تستطيع التخلص من كل هذا ، إلا
إذا تخلصت من عملها . يجب أن تتخلص من العمل في الملهى .
يجب أن تتوقف عن الرقص . هذا إذا ارادت أن تتخلص من
ماضيها ..

ولكن . ولكن هل تستطيع أن تتوقف عن العمل ؟ ..
هل تستطيع أن تنقطع عن الرقص ؟ .. ان توقفها عن العمل يعني
انقطاع المورد العذب عنها . يعني ان الذهب والحلى والجواهر
لن تتدفق بين يديها .. أتكفر بالنعمة ؟ .. أتعرض عن الذهب
المتدفق عليها في حين يمدو البشر وراهه ؟ .. هل تستطيع
ذلك ؟ .. لا : لا وألف لا .

وانغمست بحاسن نصار في تفكيرها : لماذا لا تنقطع عن
العمل ؟ ألا يكفيها ما جمعت من مال ومن حلى ومن جواهر
خلال الأعوام التي عملت فيها في ملامي لبنان وسوريا والعراق
والاردن وتونس ومراكش وسائر المدن والعواصم العربية ؟ ..
لقد جمعت ثروة طائلة يعجز عن جمعها كبار التجار والصناعيين
والمزارعين خلال تلك الاعوام .

هذه البناية الشاهقة ذات الاجنحة العالية هي ملكها
الخاص ، وهي تدر عليها ثلاثين ألف ليرة في العام . ولديها
في مصارف لبنان مبالغ محترمة من المال . وحلاها وجواهرها
تقدر بألوف الليرات . هي لن تموت . من الجوع اذا انقطعت

عن العمل ، بل هي تستطيع ان تعيش كما تعيش اي سيدة
محترمة غنية .. يجب اذن أن تنقطع عن العمل وقصوت
كرامتها وشرفها وسمعتها وحبها .. ستتخلي عن عملها لتحتفظ
بجيبها . حبيب يساري لديها مال الدنيا بأسره ..
وعزمت محاسن على التوقف عن الرقص . لقد اتخذت
قراراً بالتخلي عن عملها ، إلا انها لم تضرب موعداً لتنفيذ
القرار . هي ستترك للأيام تحديد الموعد المضروب ..
وارتاحت محاسن بمض الإرتياح وقد توصلت الى اتخاذ
هذا القرار . وأقامت ترقب الفرصة السانحة لوضعه موضع
التنفيذ .

ومضت الأيام على سرعة واندفاع ، وتوارى الصيف بلهيبه
وحره وحرارته . واقفر الشاطئء الحالم الجميل في المعاملتين
ونزح عنه الساجون والساججات تاركين للامواج الصاخبة
التمردة الهوجاء اليد في الرمال الباسمة السمراء ، تمبث بها
وتغمرها بزبدها وذراتها .. وأطل الخريف بوجهه الاصفر
السام الواجم ، فبدأت الحقول تقفر من المزارعين ، وعادت
المواشي الى حظائرهما ، وجمعت الحنطة عن البيادر وراح
الفلاحون والمزارعون يستعدون لأستقبال الشتاء البارد المطر
الكثيب ..

وبزغ الشتاء بعواصفه وثلوجه وامطاره وتمرت الاغصان
من ثوبها الأخضر الريان وورحلت الطيور عن أعالي الجبال .
وانقلبت أناسيد الجداول الى عريدة وولولة وهدير ... وقبع

الفلاحون في دورهم حول المواقد يدفعون بناها البرد القارس عن أجسادهم المثلثة صعبة وعاقية ، ويحيون الليالي الساهرة الفناء بلعب الورق ورقص الدبكة ، والمباراة الزجلية الحامية الرطيس ..

ولم تنقطع محاسن نصار عن زيارة حبيبها القروي الوسيم . إلا أن جلسات الحبيين المتيمين وخلواتها انتقلت من الاحراج والغابات والبساتين الى الدار القروية الوداعة ، الى دار حبيب مرزوق ، فكان حبيب ومحاسن يجلسان في تلك الدار حول الموقد الملهب السعير يصطليان بناها ، ويتبادلان أحاديث الحب والوجد والشوق والهيام ..

وكانت أم حبيب مرتاحة كل الارتياح لعلاقة « المحروس » حبيب بالبيروتية الحسنة ، لا سيما وهي تأمل أن تفرح من المحروس وأن تشاهد أحفادها يدرجون في دارها العامرة الواسعة الأرجاء .. وحبيب كان يرفض الزواج كلما عرضت عليه أمه مشروع الزواج واختارت له عروساً من بنات القرية ، كان يرفض المشروع ويأبى أن يوافق على اختيار أمه المعجوز . واللواتي اختارتهن أم حبيب لابنها كثيرات .. ابنة المختار رفض حبيب الزواج منها ، وإبنة النباطور أبي حبيب الزواج بها، وإبنة المعلم جبور كان نصيبها الرفض .. وإبنة الشيخ عباس لم يكن حظها من حبيب بأفضل من حظ اللواتي سبقنها . وتبرمت أم حبيب وثأفت وابنها يكفر بالزواج ويأبى أن ينزل عند طلبها . وضربت المعجوز كفاً بكف

وتمتت: يا ويلى يا ويلى . كم انت بائسة يا ام حبيب ، ستموتين
وفي قلبك حسرة . ستدخلين القبر قبل أن يحط هذا الولد
عقله برأسه ، ويتزوج .

وبدت أم حبيب ساهمة واجدة كبيرة الخاطر . فهي تريد
أن تفرح من المحروس ، والمحروس يأبى إلا أن يجرمها من
فرحته ..

وأقامت أم حبيب تلتظر من المحروس أن يحط عقله
برأسه . ولم يطل انتظارها . شهور قليلة وجاءت البيروتية
الحسنة . فخيّل لأم حبيب ان معضلتها حلت ... يبدو أن
الانسجام سائد بين محاسن وحبيب . والانسجام يقود الى الحب
والحب يقود الى الزواج . وماذا تلتظر ام حبيب غير هذا ؟
وكانت ام حبيب ترتاح كل الارتياح للبيروتية الحسنة التي
تورم كل يوم تقريباً حاملة لها ولابنها الهدايا العديدة ، فبا
أن تطل محاسن ، حتى تشب ام حبيب اليها فاتحة لها ذراعها
لتضمها الى صدرها وتمانقها كما تمنق الام ابنتها ...

ومحاسن نفسها كانت ترتاح كل الارتياح لأم حبيب وكانت
ترى فيها الأم الفاضلة الحنون . ولم تكن تناديا إلا بـ « يا
امي » وتناديا ام حبيب : « يا ابنتي . » وتموج الدموع في عيني
محاسن نصار كلما نادت ام حبيب : « يا امي » وكلما نادتها ام
حبيب : « يا ابنتي » وهي التي حرمت من حنان امها ومن
عطف أبيها ..

وأصبحت محاسن من الاسرة . فهي عند ام حبيب الابنة

العزيزة . وعند حبيب الحبيبة المالكة القلب والروح ..
وكانت محاسن نصار تجرد لذة كبرى في الجلوس قرب حبيب
أمام الموقد الملتهب السعير . كانت تلك الدقائق التي تخلو فيها
محاسن بحبيبتها رائعة فاتنة سمحاء ..

ومرت الايام .. واقترب العام من الانتهاء .. وبدأت
محاسن تفكر جدياً بتنفيذ القرار المتخذ ، قرار الانقطاع
عن العمل والاخلاص لحبيب القلب والروح .. وكان يوم
الرابع والعشرين من شهر كانون الاول .. والعام ذلك عام
١٩٦٠ فشخصت محاسن كما دتها الى القرية الباسمة الهانئة .
لقد شخصت محاسن الى القرية في الساعة العاشرة من الصباح ..
وكالعادة ، وثبت اليها ام حبيب تعانقها وتضمها الى صدرها
هامسة : اهلا يا ابنتي ، املاً لقد كنت انتظر حضورك يا
محاسن . انت لن تعودى الليلة الى بيروت . ستسهرين عندنا
الليلة وتنامين عندنا .

فحاولت محاسن نصار الاعتذار قالت : « لا يا امي . لا
انا لا استطيع أن اسهر هنا وأنام هنا لأن ابنة خالي انعام
التي تقيم معي في الدار ستقلق عليّ . يجب أن اعود الى بيروت
قبل الغيب » . وأمسكت ام حبيب بيدها لتقول : « الليلة
ليلة عيد الميلاد . في مثل هذه الليلة ولد مخلص العالم ، ستسهرين
معنا حق منتصف الليل ثم تشخصين معنا الى الكنيسة . حيث
نحضر معاً القداس الالهى » .

فوجت محاسن نصار .. القداس الالهى ؟ هي لم تحضر

القداس الالهي ، ولم تدخل الى الكنيسة منذ أمد بعيد . منذ
ان كانت طفلة صغيرة .. ترى هل يحق لها الدخول الى
الكنيسة بعد أن انقطعت عنها زهاء عشرين سنة ؟ لماذا لا
يحق لها ذلك وابواب المآبد والمساجد مشرعة امام الجميع ؟
هل تقبل معاسن دعوة ام حبيب ؟ هل تسهر عندها ؟ ..
والعمل في الملهى ؟ هل تتخلى عن عملها ؟ وماذا سيفعل
ابو العز ان هي تخلفت عن الحضور الى الملهى ؟ ماذا سيفعل ؟
فليفعل ما يطيب له .. هي ستدعي انها مصابة بوعكة صحية .
ستدعي بأنها تريد زيارة اهلها ، ستدعي بأنها مشغولة . ستجد
ألف عذر .. اجل ، اجل هي ستلي دعوة ام حبيب فتسهر
مع حبيب حتى منتصف الليل . ثم تذهب برفقته الى الكنيسة .
وأقبل حبيب يرحب بها . والتفتت امه اليه لتقول :
« معاسن ستسهر معنا الليلة وستحضر القداس معنا يا حبيب »
ومس حبيب مرزوق بفرح بعيد : « صحيح صحيح يا
معاسن ؟ » ومست معاسن : « اجل يا حبيب ، اجل
سأظل قريبك هنا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ثم اعود الى
بيروت لاطمن ابنة خالي وأخبرها بأنني سأسهر هنا . وأعود
في الساعة السادسة او في الساعة السابعة اليكم » .
قالت ام حبيب : « فلتحضر ابنة خالك معك يا معاسن .
لماذا تظل وحدها في بيروت ؟ » قالت معاسن : « سأدعوها
للحضور معي إلا انني لا أعلم اذا كانت تستطيع الحضور
ام لا » .

وأقامت محاسن قرب حبيب حتى الساعة الثالثة. ونهضت
وقد اشرفت الساعة على الثالثة لتقول : « انا شاخصة الى
بيروت وسأعود في الساعة السادسة ». وعادت ام حبيب تلح
عليها باحضار ابنة خالها معها .. وتمت محاسن : « سأجرب
أن احضرها معي » .. واستقلت سيارتها وطارت بها الى
بيروت .. ودخلت محاسن الى الدار . وانجهدت الى غرفة
انعام . وكانت انعام نائمة . كان من عادة انعام أن تنام بعد
الظهر كي تستطيع السهر .. وجلست محاسن على السرير قرب
انعام توقظها : انعام .. انهي . انهي يا حبيبي .. انهي
يا انعام ..

واستفاقت انعام تفرك عينيها . وهمست : « كم الساعة
الآن ؟ .. هل حان موعد ذهابنا الى الملهى ؟ » وضحكت
محاسن وهمست : « لا لم يحن موعد العمل بعد . الساعة لم
تبلغ الرابعة » . وتمت انعام : « كيف عدت اليوم بالسلامة
قبل الساعة الثامنة ؟ » قالت : « اسمعي يا انعام . انا لن
اشخص الليلة الى العمل » .

فوجت انعام توفيق وتمت : « خير ان شاء الله .. لماذا
لا تريدان الذهاب الى العمل ؟ » قالت محاسن : « انا مدعوة
الى السهرة وانت ايضا مدعوة معي » . قالت انعام : « من
هو الداعي ؟ أياكون غنياً ؟ هل هو شاب ؟ هل هو امير
هربي ؟ » .

فابتسمت محاسن وهمست : « لا . لا هو غني . ولا هو

امير عربي . قالت انعام : « اذهبي وحدك إذنت . انا لن ارافئك » . قالت : « اسمعي يا انعام . الليلة ليلة عيد الميلاد . لقد دعيتي ام حبيب ودعتك معي للسهرة في دارها » .
قالت محاسن : « من هي ام حبيب هذه ؟ » فأمسكت محاسن بيد صديقتها انعام لتقول : « ام حبيب هي ام حبيبي يا انعام » .

فتمتت الراقصة انعام باستفهام : « ام الشاب القروي ؟ »
قالت : « اجل هي بنفسها . نحن سنسهر الليلة في القرية مع القرويين » . فضحكت انعام وتمتت : « هل تتغلخين عن عمك للسهري مع القرويين ؟ » قالت : « اجل . وسنسهرين معي ايضاً » .

قالت انعام : « لا يا محاسن . لا . العمل قبل كل شيء » .
يجب أن نشخص الى عملنا » . فشدت يد محاسن يد صديقتها انعام وهمست : « نحن نستطيع ان نعمل بكل ليلة ، ولكننا لن نستطيع ان نسهر مع القرويين كل ليلة » .

انهضي . انهضي فارقدي ثيابك وتعالى معي . قالت انعام : « ماذا سيفعل ابوالعز وقد تخلفنا عن عملنا يا محاسن ؟ »
قالت محاسن : « فليفعل ما يطيب له . تعالي ، تعالي »
وصمتت انعام . ونهضت من السرير ، وراحت ترقدي ثيابها .. ووثبت محاسن اليها لتقول : « لا . لا ترقدي هذا الثوب . يجب ان ترقدي ثوباً محشماً » . وضحكت انعام وهمست : « فليحرسك الله يا صاحبة الحشمة والطير والمفاف » .

وتتمت محاسن : « اسمعي يا انعام . انا أوهمت حبيباً وأمه
انني ابنة تاجر كبير ، مات والدي تاركاً لي ثروة طائلة ،
وأنتي اهيش مع ابنة خالي في طبري في بيروت . أنت الآن
ابنة خالي . اياك ان تدعيهم يشعرون بأنك راقصة » .
ففضت انعام في ضحكها وبهمت : « هل يخيل اليك انني
سأرقص أمامهم ؟ اطمئني . هم لن يعرفوا شيئاً .. »
وارتدت انعام ثياباً محتشمة ودلفت مع محاسن الى
السيارة الفضة . وطارت السيارة بها الى القرية الهائلة الباسمة
الخصراء .



السهرة الصاخبة عامرة في دار حبيب مرزوق. والنار
متقدة السعير في الموقد ، ومحاسن جالسة قرب حبيبها حبيب
مرزوق ، وقربها تجلس زميلتها وصديقتها الحبيبة انعام .
والقرويون يلتفون حول الموقد ليحيوا ليلة العيد على طريقتهم
الخاصة .. وبدأ الزجالون يتبارون في الازجال فيمشون
الهجات العنيفة نارة ليشبوا الى الغزل طوراً . وراح الزجالون
يتغنون بحمال الفتاتين البيروتيتين وبحسنها وبميونها وبقامتها
ورشاقتها .. والتفت احد الشبان الزجالين الى محاسن نصار
لينفحها بـ « ردة » غزل قال :

يا ام القامة الطويلة لوين بسدي روح
عملت عا قلبي جيله وسرقت الروح

وردد الردادون الردة العامرة: « يا ام القامة الطويلة .. »
والتفت احد الزجالين الى انعام لينفحها بـ « ردة » عامرة
قال :

صارت روحي مشتبكي	في	ممرسكتين
وقلي عميرقص دبكي	ومدبوح	بالعين
علقتيني بالشبكة	يلعظ	الجفنين
وتركت روحي تلبكي	وقلي	مجروح

وردد الردادون :

يا ام القامة الطويله	لوين بسدي روح
عملت عا قلبي حيله	وسرقت الروح

وتبادلت محاسن وانعام النظرات والابتسامات وقد اعجبتنا باولئك الزجاجين السريعي الحاطر الحاضري الذهن الذين ينظمون الزجل ويرتجلونه ارتجالاً، وبعضهم يكاد لا يحسن القراءة والكتابة .

وهذه الميزة ، ميزة ارتجال. الزجل يتفرد بها لبنان بين جميع الدول ، فكان الموهبة والنبوغ فطرة في اللبناني . وانتشت محاسن وانعام بأبيات الزجل المنثورة في اذانها . وفيها الكثير من المديح لها والثناء عليها والاعجاب بها . وممت انعام في اذن محاسن : « يا لها من سهرة رائعة يا محاسن ، وممت محاسن : «الم اقل لك ان سهرة القرويين رائعة يا انعام ؟ .. هل انت مرتاحة يا حبيبيتي ؟ » وتمتت انعام : « مرتاحة كل الارتياح يا محاسن . انا لم اكن لاحم بمثل هذه السهرة .. »

ونهضت ام حبيب لتقدم للضيوف الساهرين الاثمار المحففة

والجوز واللوز والمسل والحلوى .. وامتدت السهرة حتى منتصف الليل .. واذا يجرس المعبد يقرع .. فهو يعلن لابناء القرية الصغيرة موعد ابتداء القداس الالهي .. ووجت محاسن نصار وهي تسمع صدى قرع الجرس يتجاوب في تلك الوديان والوهاد والتلال ممزقا اذات الليل البهيم ، مرسلا الرهبة والخشوع في القلوب والنفوس والارواح ..

وكانت الجبال والوديان تردد صدى الناقوس الحاناً شجية عذبة صافية الادم .. وهب الساهرون في دار حبيب مرزوق شاكرين لصاحب الدار ولوالدته ضياقتها واخذوا يخرجون من تلك الدار ليشتخصوا الى الكنيسة .. ووقفت محاسن ووقفت انعام .. واقتربت انعام من محاسن لتقول : يجب أن نعود الى بيروت يا محاسن .

ومست محاسن نصار : « لا يا انعام لا يا اختي . نحن لن نعود الى بيروت الآن . سنشخص مع القرويين الى المعبد لحضور القداس الالهي » قالت انعام : « الساعة أشرفت الآن على منتصف الليل يجب ان نعود الى دارنا لترتاح يا محاسن » . قالت محاسن باصرار : « سنسمع القداس الالهي ثم نعود الى دارنا . تعالي ، تعالي معي الى الكنيسة يا انعام » .

قالت محاسن هذا وسارت مع حبيب ومع أمه الى المعبد. وسارت معهم انعام. وكان البدر يتبختر في السماء ساكباً على الارض ثوبه الفضي الجميل . والبرد قارس شديد ، والهواء البارد يلفح الاجسام بسوطه. وكل ما في القرية الصغيرة هاديء

صامت هاجع . ما هناك سوى صدى قرع الناقوس المتجاوب
في الربى والوهاد والجبال والوديان ..

ووصلوا الى المبد .. كان هناك جمهور غفير من ابناء
القرية يحشدون في ساحة الكنيسة تحت اغصان السندبانة
الهرمة المعجوز . وكان الشبان يتبارون في قرع الجرس . وكانت
ابواب المبد مشرعة وقد أنيرت الشموع ونثرت في جوانبه
الزهور والورود والرياحين . ودخل حبيب الى المبد . ودخلت
امه ومحاسن وانعام... لم يكن القداس الالهى قد بدأ بعد .
الا أن الشموع كانت قد أنيرت على المذبح ، وكانت انوار
الشموع تتهادى بين أيدي نسيم الليل العليل فتهدى معها
ظلال الرسوم والصور والتماثيل على الجدران وكأنها أطيان ،
او أجنحة ملائكة تحفق في الفضاء ...

وشمرت محاسن نصار برهة وبخشوع وقد دخلت الى تلك
الكنيسة الصغيرة ، شعرت بتيار كهربائي يسري في دمها ،
شعرت بقشعريرة لم تشعر بمثها في حياتها . وعادت بها
الذاكرة الى الراء . الى زهاء عشرين سنة عندما كانت امها
الراحة تمسك بيدها وتسير بها الى الكنيسة . يومذاك كانت
صغيرة . صغيرة جداً . كانت طفلة . إلا ان تلك الذكريات
كانت تتمايل في خاطرها كالأشباح الوامية الصفراء .

لم تكن محاسن تذكر كل شيء بل هي كانت تذكر بعض
الشيء . كانت تذكر ان امها كانت تجثو في الكنيسة أمام
المصوب وتتم بعض كلمات .. وكانت تذكر ان امها كانت

ترسم إشارة الصليب وهي تدخل الى المعبد .. وكانت تذكر
أن المهتدين في الكنيسة كانوا ينشدون بعض الأاشيد ويترنمون
ببعض الترانيم .. هذا كل ما كانت محاسن تذكره .. وكانت
تلك الذكريات تنتصب امامها وهي جالسة على المقعد الخشي
في الكنيسة قرب انعام وقرب ام حبيب .

ومر خاطر سريع في رأسها : أمها كانت تجثو امام
المصوب في الكنيسة وتصلي .. وفجأة رأت نفسها تجثو على
ركبتيها وقمض عينيها وهمس في سرها : « يا يسوع بحق
ميلادك العجيب خذ بيدي وأز امامي السبيل .. ربي وإلهي
اغفر لي خطاياي . أنا خاطئة يا رب . أنا مجرمة ، أنا شريرة ،
ارحمي يا رب ارحمي يا إلهي انك لغفور رحيم .. »

وبدأت الدموع تنهمر بغزارة من عينيها المغمضتين ..
وضاعت الراقصة محاسن نصار عن حقيقتها ، وهي جائسة
تصلي وتبكي في ذلك المعبد الصغير . هي لم تهمس بكلمة صلاة
في حياتها . هي لم تركع مرة في حياتها . فما بالها تجثو الآن
وتبكي وتصلي ؟ .. وشعرت محاسن نصار بقوة هائلة تعصف
بها ، شعرت بعاصفة هوجاء تجتاح كيانها وهي راكعة تصلي ..
ما هي تلك القوة ؟ ما هي تلك العاصفة ؟ ليست تدري ..
وابتداً القداس الالهي . واحتشد أبناء القرية في الكنيسة .
وبدأ الكاهن بالذبيحة الالهية وتعالى الترانيم والترانيل ،
ومحاسن نصار ضائعة تأهية مستغرقة في صلاتها وفي بكائها وفي
طلب الرحمة والغفران من إله السماوات والارض .. وعندما

انتهى القداس الالهي بدأ ابناة القرية يخرجون من الكنيسة .
وظلت محاسن جاثية تبكي .. واقتربت منها صديقتها انعام
لتز كنفها وتمس في أذنها : محاسن .. تعالي ..

واستفاقت محاسن من ذهولها .. وتلفتت حولها فاذا
بالمساعد تكاد تقفر من المتعبدين .. ونهضت .. وخرجت من
المعبد مع انعام لتجدا جيبياً وأمه بانتظارهما امام المعبد ..
ومسحت محاسن نصار دموعها . وسارت قرب حبيب في
الطريق الضيق الطويل . وسارت انعام قرب ام حبيب ..
وهمست محاسن في اذن حبيب وهي تسير قربيه : « حبيب .
فليكن هذا العيد السعيد مباركاً عليك يا حبيبي » . وهمس
حبيب : « وعليك ايضاً يا محاسن » . وهمست محاسن :
« ما اجل الصلاة في معبديكم يا حبيب » . وتتم حبيب : « غداً
بعد ان نتزوج ، وتصبح هذه القرية قريتك ، متصلين دائماً في
هذا المعبد يا محاسن » . وأمسكت محاسن بيد حبيب
تشدها وتمس : « ان شاء الله . ان شاء الله يا حبيب » .

ووصلوا الى الدار ، وانصرفت ام حبيب لتهيئة القهوة ..
وكانت انوار الفجر البعيد قد بدأت تغمر القرية الهانئة الوداعة
بوشاحها الواهي الضئيل فجلسوا يشربون القهوة في صحن الدار .
وما أن انتهوا من حسو القهوة حتى وقفت انعام تقول :
« يجب ان نعود الى بيروت . ان النعاس يثقل اجفاني »
ووثبت ام حبيب اليها لتقول : « أعودان الى بيروت في مثل
هذه الساعة ؟ .. لا . اننا ستنامان هنا ، عندنا . ماذا سيقول

الناس فيكما وهم يشاهدونكما تعودان الى داركما في مثل هذه الساعة من الفجر ؟ .

وابتسمت انعام: هذه العجوز تخاف على سمعتها الناصمة ،
البياض . هي تخاف على سمعتها من الألسن الناهشة . يخيل
اليها انها لا تخرجان من دارهما ليلاً . ترى ماذا ستفعل ؟
وماذا ستقول هذه العجوز لو علمت انها راقصتان وانها لا
تعودان الى دارهما كل ليلة الا مع مطلع الفجر البعيد ؟ .

وصممت محاسن . وقالت انعام: « الليلة ليلة عيد ، والخروج
من الدور في مثل هذه الساعة مسموح يا خالتي . نحن سنعود
بسيارتنا ولن يستطيع احد ان يخدش سمعتنا ولا ان ينظر الينا
نظرة شك وارتباب . »

قالت ام حبيب: « ولكن لماذا تعودان الى داركما في مثل
هذه الساعة يا ابنتي ؟ .. تستطيعان ان تناما عندما تم نقضي
نهار العيد معاً . » قالت انعام: « لا يا خالتي . انا لا استطيع
ان اقام في سوى سريري . اننا لشكركم على حفاوتكم
وضيافتكم . ونرجو ان تشرفونا بزيارتكم في دارنا . »

فهمست ام حبيب: « شكراً يا ابنتي . » قالت انعام ، تلح
في الدعوة: « يجب أن تردوا لنا الزيارة . » قالت هذا ،
والتفتت الى حبيب الذي كان يتهامس مع محاسن لتقول:
« متى ستزورنا يا حبيب ؟ » قال حبيب: « عندما تسمع لنا
الظروف ايها الأنة انعام . » قالت: « لقد احببنا ليلة عيد
للبلاد عندكم فزرجو أن تحبوا ليلة عيد رأس السنة عندنا . »

ووجت محاسن . ماذا تقول انعام ؟ .. انها لتدعو حبيباً
 واما لزيارتها في دارها في بيروت ؟ هل تريد انعام أن
 تفضحها ؟ .. وتابعت الراقصة انعام كلامها لتقول : « لقد
 اعجبت شديد الاعجاب بالمباراة الزجلية . انني لادعوك يا
 حبيب وادعو السيدة والدتك وادعو رفاقك الزجالين لقضاء
 سهرة رأس السنة في دارنا في بيروت » . وابتسم حبيب . وهمس :
 « على الرأس والعين يا انعام . سنحبي ليلة عيد رأس السنة في
 داركا في بيروت . وسيكون جميع زجالي القرية معنا
 وستسمعين من الازجال ما يسر خاطرنا ويشير اعجابك » .
 وتحول الرجوم في عيني محاسن الى ذعر وهي تسمع كلام
 حبيب . لقد وافق حبيب على قضاء سهرة رأس السنة في
 دارها . ترى هل يكتشف امرها ؟ وهل يقف على
 حقيقتها ؟ .. ورمقت محاسن صديقتها انعام بنظرة عتاب
 قاسية ، إلا أن انعام لم تأبه لها ، وتابعت كلامها لتقول :
 « انت لا تعلم اين تقع دارنا في بيروت يا حبيب . ستحضر
 محاسن اليك ليلة عيد رأس السنة لتتقلكم في سيارتها » . قال
 حبيب : « ليس من الضروري ازعاج خاطر محاسن .
 سنشخص اليكم في سيارتي الخاصة » .
 قالت : « لا .. يجب أن تحضر محاسن لتقلكم . ان
 سيارتك لا تلسع للجميع . ستنقلون الى بيروت في السيارتين .
 في سيارتك وفي سيارة محاسن » .
 والتفت حبيب الى محاسن ليقول : « كما تريد محاسن .

لها أن تأمر وعليّ أن اطيع « وطلت على شفي محاسن نصار
إبتسامه واهية صفراء. وهمست : « كما تريد انت يا حبيب »
قال حبيب : « إذن كما تريد انعام ». قالت الراقصة : « هذا
ما اريده. تحضر محاسن وتنقلكم بسيارتها الى بيروت ونقضي
ليلة عيد رأس السنة معاً » .

ومدت يدها تصافح ام حبيب متممة : « الى اللقاء يا ام
حبيب وألف شكر لك على حسن ضيافتك ». وهمست ام
حبيب : « مع السلامة يا ابنتي فلترافقكما السلامة » .

وودعت محاسن حبيبها وامه وسارت مع انعام الى
السيارة والفضب يهزها هزاً .. وما أن صعدت الراقصتان الى
السيارة حتى انفجر غضب محاسن فالتفت الى صديقتها
لتقول : « ماذا فعلت يا انعام. لماذا دعوت حبيباً الى دارنا ؟
هل تريدن أن تفضحيني ؟ هل تريدن أن تخربي بيتي ، ؟
هل تريدن أن يقف حبيب على حقيقتي ؟ لماذا اوقعتني في
هذا المأزق يا انعام ؟ لماذا ألقيت بي في هذه المعضلة ؟ » .

فابتسمت انعام على ارتياح. وهمست : « اطمئي. لن يقف
حبيب على شيء سنسهر في دارنا كما سهرنا في دارهم ونشرف
أذائنا بالازجال . وسأدعو الصديقات والاصدقاء الى هذه
السهرة ايضاً » .. وزارت محاسن ، وهي تدير محرك
السيارة « لا ، لا ، لا اريد أن استقبل احداً في داري ،
اريد أن اظل وحدي ، اريد أن اخلو بنفسني لا اريد أن
اشاهد احداً ، لا اريد أن ارى احداً ، لا اريد لا اريد » .

وأطلقت للسيارة العنان ، والغضب الشديد يستبد بها
ويصف بجنايا قلبها وروحها .. وراحت انعام تمازحها
وتسايرها وتحاول استرضاءها طيلة الطريق الممتد بين القرية
وبيروت إلا أن معاسن لم تكن لتهدأ ولا لتجيب بحرف .
كانت على ثورة جامحة عاصفة هوجاء ..

ووصلت بها السيارة الى بيروت .. وفي شارع الحمراء .
امام الدار اوقفت معاسن السيارة وترجلت منها . وترجلت
انعام .. واستقلتا المصعد الى دازهما .. وكانت انوار الصباح
قد بدأت تغمر بيروت فدخلت انعام الى غرفتها لتستغرق في
نوم هادئ عميق . اما معاسن فقد استلقت في سريرها
لتتصرف الى التفكير ..

وراحت معاسن تستعيد في مخيلتها كل ما جرى وكل ما
حدثت .. ولاحت في خاطرها الكنيسة ، كنييسة القرية
الصغيرة المضاءة بالشموع .. وترددت في مسمعا تراقيل ابناء
القرية وأناشيدهم الروحية .. وشاهدت نفسها بعين الخيال
تركع وتبكي وتصلي ..

كانت تلك الصور تمر امام عينيها كما يمر الشريط السينمائي .
وابتعدت بتفكيرها .. ابتعدت الى الماضي القريب فشاهدت
نفسها ترقص شبه عارية .. وشاهدت نفسها بين ذراعي عشيقها
ابي المز .. وشاهدت نفسها تحسو الخمر مع الزبائن الكرام في
القهى ، وتسايرهم وتسامرهم وتتودد اليهم . فارتعدت ..
واستوت في سريرها على غضب. وهمت في سرها : « لن

ارقص بعد اليوم .. لا . لن أعود الى الملهى . سأتوب ..
سأصلي وأضرع الى الله كي يغفر لي خطاياي . سأخلص لحبيب ،
وسأعيش ما بقي من عمري في رحاب الفضيلة والتقوى والبر
والصلاح .

وارتاحت محاسن نصار بعض الارتياح وقد وصلت
بتفكيرها الى هذا الحد .. وتمددت في سريرها لتستغرق في
نوم هادىء ساكن عميق .



نفذت محاسن نصار القرار المتخذ ، وانقطعت عن العمل ..
 ولم تشخص الراقصة محاسن الى عملها في الملهى ثلاث ليال
 متوالية ، فقلق صاحب الملهى ؛ صالح أبو العز عليها شديد
 القلق . وكان كلما سأل أبو العز الراقصة انعام عن صديقتها
 محاسن ، أجابت : « هي مصابة بوعكة صحية . قد تستطيع
 الحضور ليلة غد » .

ويصدق أبو العز ادعاء انعام ويهمس : « سلامة عينها » ..
 و ينتظر صاحب الملهى الكريم حضور محاسن « ليلة غد » ،
 الا أن محاسن تخفيب الامل وتخاف عن الحضور .. ورأى
 أبو العز ان يشخص بنفسه الى دار محاسن ليطمئن الى
 سلامتها .. وما ان اطل صباح اليوم الثالث لتخفيب محاسن
 حتى كان أبو العز يشخص الى دار الراقصة الحسناء القائمة من
 شارع الحمراء في الصميم .

وخرج أبو العز على السوق ليشتري بعض الهدايا والاعراض
 لعشيقته الحسناء ، ثم حمل ما اشتراه واتجه الى دار محاسن ..

وكانت الساعة قد اشرفت على العاشرة من الصباح عندما طرقت
ابو العز باب دار الراقصة الجميلة وفي يديه الهدايا . ولم يفتح
الباب ، فأعاد ابو العز الطرقت ووقف ينتظر.. وطال انتظاره
دون ان يلقى اي رد .. وأعاد الطرقت .. وإذا بالبواب يفتح
وتطل منه الخادمة ، وهي امرأة في العقد الرابع من العمر
كانت تحضر صباح كل يوم الى دار محاسن وانعام لتنظيف الدار
وقنسل الصحن وتنفض الغبار عن الرياش.. وهمست الخادمة:
« أمر ؟ .. »

ودخل ابو العز دون ان تدعوه الخادمة للدخول . ووضع
الاهراض والهدايا من يده على المقعد وقال : « ابن الست
محاسن ؟ »

وأجابت الخادمة : « الست محاسن غير موجودة » .
فدهش ابو العز . وهمس : « أين هي ؟ »
قالت الخادمة : « لست ادري يا سيدي . لقد خرجت
منذ نصف ساعة » .

وظهر الوجوم جلياً في عيني ابي العز وتمتم : « الست انعام
موجودة ؟ »

قالت : « الست انعام لا تزال نائمة » .
فجلس ابو العز على المقعد الوثير ليقول : « ايقظيها اني
بحاجة اليها » . فترددت الخادمة في تلبية الطلب .. وشاهدها
صاحب الملهى الكريم في ترددتها فقال : « قولي لها ابو العز
يريد ان يتحدث اليك » .

وسارت الخادمة الى غرفة الراقصة انعام . ونفذت الامر .
ايقظتها وقالت لها: « ابو العز هنا ويريد ان يتحدث اليك » ..
واستوت الراقصة انعام في سريرها على وجوم لتقول
بمساؤل ووجوم : « ابو العز هنا ؟ »

قالت الخادمة مؤكدة: « أجل يا سيدتي . هو في البهو » .
وتمتت انعام : « والست محاسن . اين هي ؟ هل خرجت ؟ »
وأجابت : « أجل خرجت يا سيدتي » .

فضربت الراقصة كفاً بكف . ومست : « فليساعحك الله
يا محاسن » . لقد اوقعتني في مأزق لن استطيع الخروج منه ..
ووثبت انعام من السرير ، وارتدت الروب دي شامبر فوق
ثياب النوم وخرجت من الغرفة الى البهو ..

وتقدمت من ابي العز مرحبة به : « اهلا .. اهلا .. اهلا
وسهلاً بأبي العز » .

ومس ابو العز دون ان يكلف خاطره عناء الوقوف :
« اين هي محاسن ؟ »

وتمتت : انها .. انها .. انها .. وتلعثمت انعام .
واحتارت في امرها ، ماذا ستقول له ؟ . هل تقول : لقد
ذهبت الى حبيبها ؟ لا لا لن تبوح بسر صديقتها وهي تعلم
ماذا سيكون وراء البوح بهذا السر .. ماذا ستقول له اذن ؟
وكيف ستخرج من هذا المأزق المخرج السعيق الذي اوقعتها
فيه محاسن ؟

والتفت ابو العز اليها ليقول : « ما بك يا انعام ؟ لماذا

لا تجيبين ؟ اين هي معاسن ؟ لقد قلت لي ليل امس انها مصابة بوعكة صحية . كيف استطاعت ان تغادر السرير اليوم ، ولم تستطع ان تشخص الى عملها في الملهى ليل امس ؟ .
 ووجدت انعام السبيل للخروج من المأزق الحرج . لقد اوهمت ابا العز ان معاسن مريضة .. اذن .. اذن ماذا ؟
 اذن هي ذهبت الى الطبيب .. وأطلقت الراقصة انعام ابتسامه واهية صفراء ، وجلست قرب ابي العز على المقعد الرجراج الوثير ، ومست : « مسكينه معاسن . لقد اشتد بها الداء هذا الصباح . وارتفعت حرارتها ارتفاعاً كبيراً فشخصت الى الطبيب .. وتنفست الراقصة انعام الصعداء وقد نجت من المأزق المدلمم الاسود ..

وصمت ابو العز .. وأشعل لفاقة راح ينفث دخانها بصمت وتفكير . كان يفكر بما تقول انعام : أتراها صادقة ؟ ..
 أتكون معاسن قد شخصت الى عيادة الطبيب ؟ .. قد يمكن ذلك . كلام انعام معقول .. ولكن .. ولكن هناك تناقضاً في أقوال الراقصة الحسناء .. هي تقول ان الداء اشتد بمعاسن ، وان حرارتها ارتفعت فكيف استطاعت ان تنهض من السرير وأن تشخص الى الطبيب والداء يشتد بها وحرارتها مرتفعة ؟
 ألم يكن من الأفضل ان تسدعو الطبيب اليها ؟

واستغرق ابو العز في التفكير ، وهو جالس على المقعد الوثير قرب انعام . وراحت انعام تراقبه بطرف خفي . ترى هل جازت الحيلة عليه ؟ هل آمن بأن معاسن شخصت الى

الطبيب ؟ هل هو على يقين من صدقها ، ام تراه يشك
بإدعائها ؟

ونفت ابو العز دخان اللفافة في الفضاء.ومس : « متى
ستمود من عيادة الطبيب ؟ » ...

وقلبت انعام شفتيها وهزت كتفيها. وطمتمت : « لست
ادري » ،

فرمق ابو العز الساعة المشدودة الى معصمه بنظرة سريعة
ليقول : « الساعة الآن تشير الى العاشرة والنصف . الخادمة
تقول : ان محاسن شخست الى عيادة الطبيب منذ نصف
ساعة . اي في الساعة العاشرة . يجب اذن ان تكون هنا
بعد نصف ساعة ، في الساعة الحادية عشرة .. يخيل اليّ ان
ذهابها الى عيادة الطبيب وأياها لن يستغرقا اكثر من ساعة .
أليس كذلك انعام ؟ »

فوجت انعام .. ابو العز على حق ان الذهاب الى عيادة
الطبيب والاياب الى الدار لا يستغرقان اكثر من ساعة ، إلا
أن محاسن لم تشخص إلى الطبيب ، بل هي شخست الى حبيبها
حبيب مرزوق . وهي لن تعود لا بعد نصف ساعة ، ولا
بعد ساعة ولا بعد ساعتين ولا بعد ثلاث ساعات ولا بعد
اربع ولا بعد خمس ساعات .. هي لن تعود إلا في المساء ،
بعد ان تتوارى الشمس وراء الافق البعيد .. وصمتت انعام .
وراحت تفكر بماذا ستجيب ابا العز ؟ ماذا ستقول له ؟
ليست قدرتي .. ليست قدرتي ..

وعاد ابو العز الى الكلام بعد صمت قصير ليقول : « انا
سأنتظر عودتها هنا . هي لن تتأخر اكثر من ساعة في عيادة
الطبيب . لقد انقضى نصف ساعة من الساعة وبقي نصف ساعة » .
فهمت انعام : « ولكن قد يتأخر انتظارها في عيادة
الطبيب .. قد يكون الطبيب منهمكاً في عمله فيدعوها الى
الانتظار . وقد تعرج على احدى الصيدليات لشراء الادوية
في طريق عودتها الى الدار » .

قال ابو العز : « الى متى ستأخر عودتها ؟ الى ساعة ؟
الى ساعتين ؟ الى ثلاث ساعات ؟ .. لا بأس .. انا سأنتظرها
هنا . انا لن اتزعج من هنا إلا وقد عادت محاسن » .

قالت انعام بتلثم وارتيابك : « ولكن .. قد تتأخر
عودتها » .. فلمعت ابتسامة هزء وسخرية على شفتي ابي العز
ومس بنجبت ومكر ودهاء : « مها تأخرت عودتها فهي
ستنام هنا في دارها . أليس كذلك يا انعام ؟ » .

قالت انعام : « بكل تأكيد » .

قال : « سأنتظر حتى تعود .. انا اريد ان اطمئن الى
سلامتها . افكاري في انشغال عليها ، لن استطيع ان اعرف
الراحة إلا وقد اطمأن قلبي الى راحتها وسلامتها » .

وذعرت الراقصة انعام وهي تسمع كلام ابي العز .. ويلها ..
او بالاحرى ويل محاسن من غضب صاحب الملهى الكريم
اذا اكتشف الحقيقة .. ماذا عليها ان تفعل لتتقذ نفسها من
هذا المأزق الحرج وتتقذ محاسن ؟ ماذا تفعل ؟ ليست تدري

ماذا تفعل .. وانهمست الراقصة انعام في صمت بارد موحش
كثيب . والتفت ابو العز اليها بعد صمت طويل ليقول بكل
مكر ودهاء : « ما بك يا انعام ؟ ألا تريدان ان انتظر عودة
صديقتك وزميلتك الكريمة محاسن واطمنن الى سلامتها ؟ »
قالت : « لا . ليس هذا ما اريد . اني لأتمنى ان تطول
زيارتك لنا يا ابا العز إلا اني ... » وتلعثمت .

فقال : « ماذا ؟ . إلا انك ماذا ؟ »

قالت : « إلا اني اخشى ان يطول غياب محاسن فتضطر
الى الاقامة هنا ساعة او ساعتين ولربما تضطر الى الانتظار
ثلاث ساعات فيتعطل شغلك وتضيع وقتك في الانتظار » .
فعدت الابلتسامه الهازئة تطفو على شفثيه ليقول : « لا ..
اطمئني .. ليس لدي اشغال الآن . ثم ، ثم ان صحة محاسن
قبل كل شيء . انا على استعداد للتضحية بجميع اعمالى وبجميع
اشغالي من اجل محاسن . انت تعلمين يا انعام ، كل ما بيني
وبين محاسن . انت لست بغريبة عنا . انت تعلمين اني
احب محاسن وانها تبادلتني الحب .. الحب فقط ؟ .. لا ، بل
هي تبادلتني الحب والوفاء والاخلاص ايضاً . أليس كذلك ؟ »
فأجابت انعام بتعلم وأرتباك : « اجل . اجل . اعلم كل
هذا يا ابا العز » .

قال : « ما دمت تعلمين كل هذا فكيف تريدان مني ان
اعود ادراجي قبل ان يطمئن قلبي الى سلامتها ؟ »
فصمتت انعام .. هي لا تعلم كيف تستطيع أن تخرجوا من

هذا المأزق الحرج الذي ألقنها فيه صديقتها محاسن .
وراح ابو العز يدخن بصمت عميق .. والتفت الى انعام
بعد صمت طويل ليقول : « ابن القهوة ؟ .. ألا تقدمين القهوة
للضيوف يا انعام ؟ »

وتمتت انعام : « انا سأعدّ لك القهوة بيدي يا ابا العز » .
قالت هذا لتدخل الى المطبخ وتنصرف الى تهيئة القهوة ،
والهواجس الممضة ، والأفكار السوداء ، تعصف بها وتقلق
خاطرهما ، وتثير في فؤادها الخوف والذعر .. وحملت القهوة الى
ابي العز ، وقدمتها له .. وجلست قربه لتعود الى التفكير
البارد الواجم العميق ..

وراح ابو العز يرشف القهوة على مهل ويدخن بصمت عميق ،
في حين انصرفت انعام الى التفكير .. وطال صمتها ، ومضت
الدقائق ثقيلة باردة موحشة على القلبين .. على قلب انعام وعلى
قلب ابي العز .. كان ابو العز يفكر في محاسن : اين هي الآن ؟
أتراها متجدهه ؟ أتكون بين ذراعي احد عشاقها .. لا بأس .
هو لا يفار عليها . انه ليعلم ان محاسن عشرات العشاق المعجبين
إلا أن الراقصة الفاتنة الحسناء لا تحب احداً منهم . هي تكتفي
بالاستيلاء على قلوبهم وأموالهم . وحصّة ابي العز محفوظة من
الاموال التي تستولي عليها محاسن . النصف لمحاسن والنصف
لأبي العز . ولكن ، ولكن ماذا يا ابا العز ؟ .. ولكن محاسن
بدأت تسلك معه سبيل المكر والكذب والنفاق .. يبدو ان
هناك عاشقاً غنياً جديداً لدى محاسن ، وهي تريد ان تستولي

على امواله وحدها ، دون ان تحسب لأبي العز حساباً ، لذلك
فهي قد ادعت المرض للشخص الى عشيقها الجديد وتلقى بين
ذراعيه آخر اساليب الحب والهوى والبرام ، ثم ترجع ومحفظتها
ملأى بالأوراق النقدية ، وأبو العز لا علم له ولا خبر ..

وشعر ابو العز بثورة غضب لاهبة عاصفة هوجاء ، وهذه
الافكار تجتاح رأسه .. وممس في سره : لن ادعها تضعك على
ذقني . هل يخيل اليها ان ابا العز لقمة سائغة سهلة الازدراء ؟
لا والله . انا سأقصف عمرها ان هي حاولت الضحك على ذقني .
وفي هذه الاثناء ، فيما أبو العز يفكر بمثل هذه الافكار كانت
انعام تفكر بالخروج من هذا المأزق الحرج الذي اوقعتها فيه
صديقتها محاسن . وطال تفكير الراقصة انعام دون ان تهتدي
الى حل للمضلة . وأخيراً وبعد تفكير طويل لاح لها قبس واه
بعيد .. استدعي بأنها على موعد مع احد الاصدقاء وأنها تريد
الخروج من الدار .. ويضطر ابو العز الى الخروج معها وتفض
المعضلة . وارتاحت انعام بمض الاقرب وقد توصلت الى هذا
الحل . ونهضت دون ان تنبس بحرف ، ودخلت الى غرفتها
لترقدي ثيابها وتصبغ وجنتيها بالابيض وشفتيها بالاحمر ، ثم
تسرح شعرها وتحمل محفظتها وتخرج الى البهو حيث كان ابو العز
ما زال جالساً يدخن ويفكر .. والتفت ابو العز اليها ليقول :
« أراك قد ارتديت ثيابك يا انعام » . فتمتمت : « انا على موعد
يا ابا العز : انني مضطرة للخروج الآن » .

فوجم ابو العز وتمتم : « هل تخرجين قبل ان تعود محاسن؟ »

قالت : « قد تتأخر محاسن في العودة يا ابا العز وأنا مضطرة للخروج من الدار الآن لأنني على موعد كما قلت لك » .

فتم أبو العز : « سنخرج معاً يا انعام » .

واطمأنت انعام توفيق . الحمد لله ، يبدو ان خطتها المرسومة تكلت بالنجاح ، وتابع أبو العز كلامه فقال : « ولكن اريد ان اتحدث اليك في أمر مهم قبل ان نخرج . اجلسي ، اجلسي هنا قربي يا انعام » . وكانت لا بد لها من الامتثال للأمر الكريم ، فجلست حيث اشار اليها ، هناك ، قربه .

ونفت أبو العز دخان اللفافة في الفضاء وهمس : « أين هي محاسن يا انعام ؟ »

وأجابت انعام : « لست ادري يا ابا العز . لقد استفتت فلم اجدها ، إلا انني اميل الى الاعتقاد انها شخصت الى الطبيب لأنها كانت متعبة مرهقة ليل امس . عندما عدت في الساعة الثالثة من فجر امس كانت حالتها تفتت الاكباد » .

فعاد أبو العز الى نفت دخان اللفافة في الفضاء ليقول : « يبدو ان حالتي انا تفتت الاكباد ، لا حالة صديقتك محاسن . محاسن كاذبة مخادعة خائنة . وأنت لا تختلفين عنها في الكذب والنفاق » .. فوجت انعام ؛ ومضى أبو العز في كلامه اللامع ليقول : « أين هي محاسن ؟ انا اريد ان اعلم أين هي . انت تكذبين . هي لم تشخص الى الطبيب . أيخيل اليك انني من البلاهة اى هذا الحد ؟ أيخيل اليك انني اصدق كذبك ونفاقك ؟ كيف تستطيع ان تنهض من السرير ، وان تشخص الى الطبيب ،

وهي متعبة مرهقة ، وحرارتها مرتفعة؟ لماذا لا تُدعو الطبيب اليها ؟ لماذا لا تمسك بساعة الهاتف وتصل بالطبيب ، بأي طبيب ، وتطلب اليه ان يعودها هنا في دارها ؟ قولي لي أين هي؟ الى اين ذهبت ؟ » .

وتحول الرجوم الى ذعر في صدر انعام وقد لمست في ابي العز تلك الثورة الجأمة الهوجاء . وممست : « لست ادري ، لست ادري يا ابا العز » .. قال : « بل انت تدرين . انت تعلمين كل شيء . قولي لي اين هي ؟ اين هي ؟ »

فعدت الى التمتعة بخوف وارتيباك : « لست ادري ، لست ادري » . فوقف ابو العز ليقول بغضب شديد : « انا سأكشف جريمتها . سأقف على كل شيء . لن أدع هذه المجرمة الفاسقة تخدعني . الويل ، ثم الويل لها من غضبي وانتقامي » .

وسار ابو العز . وخرج من تلك الدار ، لا يلوي على شيء والغضب يهزه هزاً .. وتنفست الراقصة انعام الصعداء وقد خرج ابو العز . وألقت بالمحفظة من يدها وراحت تفكر : ماذا عليها ان تفعل الآن ؟ هل تشخص الى القرية الخضراء فتمسك بيد محاسن وتعود بها الى الدار ؟ هل تظل هنا في الدار تنتظر عودتها ؟ هل تخرج الى المنتزهات ؟ ماذا ستفعل ؟ ماذا ستفعل ؟ ومضت انعام في تفكيرها العميق . واخيراً ، وبعد تفكير كبير توصلت الى اتخاذ القرار الحازم الصريح . هي ستخرج من الدار . تخرج الى احد المطاعم المنتشرة على شاطئ البحر في محلة الروشة ، فتتناول طعام الغداء ثم تعود الى الدار .. لا يجوز ان

تظل الآن في الدار ، فقد يخطر على بال ابي العزان يعود ..
وماذا ستقول اذا سأها « ألم تذهبي الى الموعد المضروب ؟ » ..
يجب اذن ان تخرج من الدار ثم تعود بعد ساعة او ساعتين ..
ونهضت .. وعادت تحمل محفظتها لتخرج من الدار شاخصة الى
حلة الروشة ..

وهناك ، في مطعم أنيق رحيب فسيح ، تناولت انعام
توفيق الغداء ورشفت القهوة ، ودخنت اللقافات الفاخرة ،
وظلت في جلستها في المطعم الجاثم بكل هناء واطمئنان على
الشاطيء الرحيب ، حتى الساعة الثالثة بعد الظهر .. وشعرت
بالتعاس يداعب اجفانها ، فنهضت وخرجت من المطعم لتستقل
سيارة تاكسي وتعود بها الى الدار .. ودخلت الى الدار .. واتجهت
توآ الى غرفتها لتتزع عنها ثيابها وترتدي ثياب النوم وتندس في
السرير ..

واذا بالبواب يطرق .. وتبرمت انعام وتأففت . فهي تريد
ان تنام ، ولا تريد من احد ان يزعج خاطرها الكريم . وعزمت
على ألا تفتح الباب للطارق . هي ستنام وتستغرق في النوم ..
إلا ان الطارق توالى بشدة ، فوثبت من السرير على غضب وحنق
لتفتح الباب .. واذا بها امام ابي العز وجهاً لوجه .. وهمست
انعام وهي تلتأب وتفرك عينيها : « أهلاً وسهلاً بأبي العز » .
وتتم ، دون ان يكلف خاطره بالقاء التحية : « هل عادت ؟ »
قالت . « لا . لم تعد بعد » . قال : « انا في الملهى . عندما تعود
فلتصل بي هاتفياً » . فهمست : « سأبلغها امرك الكريم يا

أبا العز . ودون ان يفوه ابو العز بكلمة واحدة أدار ظهره وعاد أدراجه ، وعادت انعام الى غرفتها لتستلقي في سريرها وتستغرق في نوم هادى عميق ..

ولم تستفق الراقصة انعام من نومها الا على صوت جرس الهاتف يرن فيمزق اذنيها . وفتحت عينيها بعناء ، ودون ان تجلس مدت يدها الى سماعة الهاتف لترفعها الى اذنيها وتمس : « آلو ! من ؟ » وقال الصوت : « انا ابو العز .. هل عادت محاسن » وتمتت : « لا .. لم تعد . وانقطع الخط .. فألقت بالسماعة من يدها لتعود الى الاستغراق في النوم .. وما كادت عينها تغمضان حتى عاد رنين الهاتف يتعالى .. - « آلو من ؟ » .. وتمت الصوت : « هل عادت محاسن ؟ قالت : « لا . لم تعد بعد يا ابا العز » .. وعادت الى النوم ليعود رنين الهاتف مجدداً الى ازعاجها .. كل نصف ساعة كان ابو العز يتصل هاتفياً بالراقصة انعام ليسألها : « هل عادت محاسن ؟ » . والجواب واحد معروف « لا .. » .

وأخيراً وثبت انعام من السرير والحنق يغمر صدرها والغضب الشديد يستبد بها . وايقنت ان ابا العز لن يكف عن ازعاجها ، فخرجت من غرفة النوم لتدخل الى المطبخ وتنصرف الى تهيتة القهوة .. وحملت فنجان القهوة وخرجت الى الشرفة لتجلس على مقعد وثير تدخن وترشف القهوة والصداع يعصب رأسها ..

وكانت الساعة قد اشرفت على السادسة من المساء والظلام

يغمر بيروت ، والمصابيح الكهربائية المنتصبة في شارع الحمراء تلقي انوارها الساطعة الواضحة على ذلك الشارع الطويل الفسيح الحنايا البعيد الارجاء .. وعاد جرس الهاتف يرن .. وعاد صوت ابو العز يتعالى في اذن الراقصة انعام : « هل عادت محاسن ؟ » . ومهتت انعام بغضب شديد : « لا .. » ثم - ألتقت بالساعة من يدها لتعود الى الشرفة وهي تتمم : « فليسامحك الله يا محاسن ، فليسامحك الله » .. واقامت ترقب عودة صديقتها محاسن بفارغ صبر ، وراحت تستعرض السيارات المنطلقة في شارع الحمراء ، وهي تأمل أن تكون سيارة محاسن بين تلك السيارات المنطلقة في ذلك الشارع . وكلما لاح لها مصباح سيارة مقبلة من بعيد همست : « هذه هي سيارتها » .. حتى اذا اقتربت تلك السيارة من الدار وتأكدت من أنها ليست سيارة محاسن ، ضربت كفاً بكف وتمتمت : « فليسامحك الله يا محاسن فليسامحك الله » ..

ومضت الدقائق على سرعة واندفاع والراقصة انعام جالسة على شرفة الدار في شارع الحمراء تدخن وتفكر وتلتظر هودة صديقتها محاسن .. واشرفت الساعة على الساعة من الليل ومحاسن لم تعد .. وبدأت الساعة تميل الى الساعة والنصف دون أن يبين لمحاسن أي اثر ، وبلغت الساعة الثامنة .. ثم اشرفت على الثامنة والنصف ومحاسن لم تطل ...

واشدت القلق بالراقصة انعام وقد اشرفت الساعة على الثامنة والنصف دون أن تطل محاسن : ما بها محاسن ؟ لماذا لم تعد

الى الدار؟ .. أتكون في خطر؟ أتكون ثمة كارثة انقضت عليها؟ .. لم يكن من عادة محاسن أن تظل في القرية الخضراء ، قرب حبيبها الى مثل هذه الساعة . كان من عاداتها أن تعود في الساعة السابعة او في الساعة السابعة والنصف ، واذا طال غيابها هادت في الساعة الثامنة . اما الآن ، فان الساعة تشير الى الثامنة والنصف ومحاسن لم تعد .. لماذا لم تعد محاسن؟ لماذا تأخرت في العودة؟ .. ما بها؟ .. ليست تدري ، ليست تدري ..

وطال تفكير الراقصة انعام ، وبدأت الهواجس المقلقة والافكار الممضة السوداء تغمر قلبها وروحها . وقلقت شديد القلق على صديقتها وزميلتها وحبيبته محاسن وراحت تدخن بنهم وقلق واضطراب وهي تراقب السيارات العديدة المنطلقة في ذلك الشارع الفسيح باحثه بينها عن سيارة محاسن .. وكان جرس الهاتف يرن من حين الى آخر داخل الدار إلا أنها لم تكن لتهم له ، ولم تكن لتنهض وتحمد انفاسه . فهي تعلم يقيناً ان المتحدث سيكون ابا العز . وانه يريد أن يعلم : هل عادت محاسن؟ ..

ومضت الساعة في سيرها السريع ، وانعام جالسة على الشرفة العالية المطلة على الشارع .. وقبل أن تشرف الساعة على التاسعة بقليل اطلت سيارة محاسن . وتوقفت امام البناية الشاهقة .. وترجلت محاسن منها فتنفست انعام الصعداء : الحمد لله . لقد عادت محاسن بالسلامة ، وهي بألف خير .. واستقلت محاسن المصعد الى دارها . ودخلت فوثبت اليها انعام

تعابها بقسوة وشدة وغضب : « اين كنت يا محاسن ؟ لقد اقلقت خاطري عليك . كان عليك أن تطلميني على رغبتك في التأخير . أنا لست مجبرة على انتظارك والقلق يعصف بي والهواجس ترمق اعصابي . الف فكر وفكر اسود نحر عباب رأسي والف هاجس وهاجس اثار خوفا ورعي » .

فوثبت محاسن اليها تعانقها والفرحة تغمز قلبها . وهمست : « انا فرحة يا انعام ، انا هانئة ، انا سعيدة ، الحب شيء لذيق يا انعام . لم اكن لأحلم يوماً بمثل هذه اللذة ولا بمثل هذه السعادة يا اختي ، انني لأطلب لك من الله أن تحيي كما احببت انا ، حباً ظاهراً شريفاً مقدساً ، حباً روحياً خالداً يا انعام » فابتعدت انعام عنها والغضب ما زال يعصف بها لتقول : « سعادتك هذه ستتحول الى تعاسة ، ولذتك ستقلب الى شقاء وفرحك سيصبح حزناً عندما تعلمين ماذا جرى » . فوجت محاسن . وتقدمت من انعام لتقول : « ماذا جرى يا انعام ؟ لقد اقلقت خاطري يا اختي » ..

ولم تجب انعام . لم تنبس بحرف ، بل هي اكتفت بأن تنفث دخان لغافتها في الفضاء وترمق محاسن بنظرة لوم وغضب وعتاب ..

وأمسكت محاسن بيد صديقتها انعام لتقول بخشية وإلحاح : « ماذا جرى يا انعام ؟ اخبريني ماذا جرى ؟ هل هناك مصيبة ؟ هل هناك كارثة انقضت علينا ؟ » .

فعدت انعام توفيقى الى نفث دخان اللغافة في الفضاء لتقول :

« لقد شرفني سعادته بزيارته .. فتمتعت محاسن : « من هو سعادته هذا ؟ » .

قالت انعام : « ألا تعرفينه ؟ صديقك يا ستي . عشيقك يا ست محاسن ، ابو العز » .

فقلبت محاسن شفيتها بهزم وهمت : « هل هذه هي الكارثة يا انعام ؟ أهذه هي المصيبة ؟ »

فعاد الغضب يلعب في عيني انعام لتقول : « لقد جاء ثلاث مرات الى هنا يسأل عنك . او همته اولاً انك شخصت الى الطبيب للمعالجة ، وكادت الحيلة تجوز عليه الا انه ابى ان يترحل من هنا . لقد اراد ان ينتظر عودتك وعندما طال انتظاره ادرك انني خدعته وقال لي : « انت كاذبة مثلها . محاسن ليست في عيادة الطبيب انها عند عشيقها ، انا سأعرف كيف اكشف وكيف انتقم منها .. »

وأردت أن أتخلص منه فأومته انني مدعوة على الغداء . فخرجت من الدار لأتناول طعام الغداء في المطعم ثم عدت في الساعة الثالثة الى هنا . ومنذ أن وصلت حتى الآن لم ينقطع رنين الهاتف . كل نصف ساعة يتصل ابو العز بي ، ليسألني : هل عادت ؟

قالت محاسن : « وبماذا كنت تجيبينه ؟ »

قالت : « بماذا تريد ان اجيبه ؟ ماذا تريد ان اقول له ..؟ هل اقول له : اجل ، لقد عادت . هو يقول لي : اريد ان يتحدث اليها .. لقد اوقعتني في مازق حرج يا محاسن .. كنت

في كل مرة اقول له : لم تعد بعد وأخيراً لم اعد اجيبه بشيء . لم اعد ارفع سماعة الهاتف . تفضلي اتصلي به انت الآن . انه ينتظرك في الملهى .. انا داخلة الى غرفتي لارتدي ثيابي لقد تأخرت عن موعد عملي ، .

فارتسمت على شفقي محاسن ابتسامة هازئة، ومهست : ماذا سيفعل ابو العز ؟ هل هو سيعدمني الحياة ؟

قالت انعام وهي تدخل الى غرفتها : هل تجهلين ابا العز ؟ هل تجهلين غضبه وانتقامه ؟ .. هو سيقتل عمرك ..

فضحكت محاسن، وتمتمت : فليفعل ما يطيّب له : انا لن اعود الى ملهاه ، ولن اعمل راقصة بعد اليوم ..

قالت محاسن هذا ولحقت بصديقتها انعام الى غرفتها ..

وكانت انعام قد وقفت امام المراة لتزين وتصبغ وجنتيها بالابيض وشفتيها بالاحمر وتسرح شعرها . فالتفتت الى محاسن لتقول : اذهبي الى غرفتك وارقدي ثيابك وتعالى معي الى عمرك في الملهى .. بلا جنون يا محاسن .

فاقتربت محاسن نصار من صديقتها انعام لتقول : انا لست مجنونة يا انعام لقد كنت مجنونة ، كنت بلهاه ، كنت بلا عقل ، اما الآن فقد اصبحت عاقلة . استمدت عقلي يا انعام . انا لم اعد بلهاه ، لم اعد مغمضة العينين ، لم اعد اسير في الظلام . لقد تفتحت عيناى وأحاط النور بي من كل صوب . انا لن ادع ابا العز يتاجر بي بعد الآن . لن أساير الزبائن ، ولن احسو الخمر

معهم ولن اهتلي المسرح لأرقص اكراماً لميون السكارى
والمعريدين . لن اشترى خبزي بعد اليوم بدمعي . لا . لن
اعود الى ملهى ابو العز ولا لأي ملهى آخر . أريد أن أتحرر
يا اخي . أريد أن أحطم هذه القيود الحديدية الثقيلة . أريد ان
أعيش كما يعيش جميع الناس . أنا لمست محتاجة لأحد والحمد لله .
ما لدي من المال يكفيني مدى الحياة » .

قالت انعام وهي تصبغ شفتيها بالأحمر : ماذا ستفعلين
اذن ؟ هل ستظلين هكذا بلا عمل تنتقلين من هنا الى القرية ومن
القرية الى هنا اكراماً لميني حبيبك القروي .

قالت : لا . أنا لن أظل هكذا . لن أنتقل بين القرية
ويروت . أنا سأظل العمر كله في القرية . سأتزوج من حبيب
وسأعيش وإياه هناك في داره في القرية الهائثة الباسمة الوداعة
الخضراء .

فدهشت انعام وهي تسمع كلام محاسن ، وألقت بالقلم
الأحمر من يدها ، والتفتت الى صديقتها لتقول باستفهام ، وكأنها
لا تصدق ما تسمع : « ستزوجين؟ ممن ؟ .. من الشاب القروي؟
من حبيب مرزوق ؟ هل جننت ؟

قالت محاسن . لا ، لم أجن . اختك محاسن ستتوب الى
ربها وستعيش مغلصة وفيه لزوجها . لن تسكر بعد اليوم ، لن
ترقص ، لن تسير احداً ، ان تجود على احد بالنظرات
والابسامات والقبلات . ستكون لشاب واحد لزوجها .

فنهضت انعام واقتربت من محاسن لتقول :

اسمي يا محاسن .. انت لن تستطيعي تنفيذ هذه الخطوة التي رسمتها . لن تستطيعي الزواج من حبيب مرزوق لأسباب عديدة :

اولاً : هل يعلم حبيبك انك راقصة ؟ .. وهل يرضى بالزواج من راقصة ؟ واذا كان لا يعلم الآن ، فماذا سيفعل اذا علم انك كنت راقصة ؟ ماذا سيقول ؟ .. سيقول : لقد خدعتني .. وليس هناك شاب في العالم يجب فتاة كاذبة مخادعة منافقة . انت لن تستطيعي ان تتخلصي من ماضيك يا محاسن . لن تستطيعي أن تنسي انك كنت راقصة .. الماضي يا حبيبي كالظل . انه ليرافق الانسان مدى الحياة ..

ثانياً : كيف ستتخلصين من ابي العز ؟ هو لن يتخلى عنك ، ولن يتركك وشأنك . ابو العز سلاحك ، سيطاردك ، لن يدعك ترحلين .. عودي الى عقلك يا محاسن . اعقلي يا اختي .. لقد حكم الله علينا ان نعيش هكذا وسنظل هكذا مدى الحياة .

فارتسمت على شفتي محاسن ابلسامة هائلة بيضاء وممست :
اطمئي . لا تخافي على اختك محاسن ..

اولاً : ان حبيباً يحبني كما احبه حباً هائلاً مروعاً . لا هو يستطيع ان يبتعد عني ولا انا استطيع ان ابتعد عنه . ثم من اين له ان يعرف انني كنت راقصة . انا سأعيش وإياه في تلك القرية الجميلة . لن نحضر الى بيروت إلا للقضاء حاجة او لشراء

ما محتاجه .. ثانياً : انا لا يهمني ابو العز . هو لن يجرني على مطاردتي ، ولن يستطيع ان ينال بعد اليوم قلامة من ظفري .. فليفعل ما يطيب له .. وماذا بعد يا انعام ؟

فأمسكت الراقصة انعام بيد صديقتها لتقول : محاسن . لا تغامري بسعادتك وبراحتك وبجيانك يا محاسن . اسمهي مني ولن تخسري يا محاسن . انا لا اريد ان تنقطعي عن حبيبك ، لا ، لا اريد ان تبتعدي عنه . تستطيعين ان تظلي على علاقتك به . ولكن دون زواج ، ودون مغامرة ، ودون انقطاع عن العمل .

قالت محاسن : « لا يا انعام . لا يا اختي . انت لم تحبي حبا حقيقيا ، حبا روحيا خالدا مقدسا . لو انك أحببت مثل هذا الحب لما نطقت بهذا الكلام . انا اريد ان اخلص لحبيبي . اريد ان اكون له وحده . لا اريد ان اخونه ، لا اريد ان ألعب به وأضحك عليه . لا . لا . لن اخون حبيباً بعد اليوم . سأتزوج منه وأكون له وحده وأعيش العمر كله بين ذراعيه ..

قالت انعام : « محاسن .. انت تعيشين بالالوهام يا اختي . كوني واقعية في الحياة يا محاسن . يجب ان تجاهي الحقيقة بكل جرأة وشجاعة .. تعالي الآن . تعالي معي الى الملهى . وغداً يكون لكل حادث حديث » ..

قالت : « لا . لن اعود الى الملهى يا انعام . لقد اتخذت قرارى وانا لن أترحزح عنه » .

فضت انعام في ارتداء ثياب السهرة وهي تقول : « انت حرة يا محاسن . لقد نصحتك فلم تقبلي نصحي الا انك ستندمين يوماً . وانني لأرجو ان يكون ندمك قبل فوات الاوان » .
قالت محاسن نصار : « اطمئني لن اندم يا انعام . وانني لأتمنى لك ما أتمناه لنفسي يا حبيبي . اتمنى ان تقعي يوماً على حبيب مثل حبيبي وان تسلكي الطريق الذي سلكته اختك محاسن » .
وكانت انعام قد انتهت من ارتداء ثيابها فحملت محافظتها ووقبت الى محاسن تعانقها مودعة وتقول : « ماذا سأقول لأبي العز . اذا سألتني عنك ؟ » .

قالت : « قولي له ما تشائين وما تريدن . انا لا يهمني ابو العز » .

قالت انعام : « سأقول له : « لقد عادت الى الدار . ولكنها متعبة مرهقة » .

قالت محاسن : « هو لن يصدقك انني متعبة بعد ان اكتشف غيابي عن الدار طيلة النهار » .

قالت انعام : « سأقول « لقد قضت نهارها في المستشفى . واجري لها الاطباء فحوصات عدة . . .

فضحكت محاسن ومهتت : « قولي له ما يطيب لك . قلت لك وأعيد القول : « انا لا يهمني ابو العز . فليفعل ما يطيب له » . . .

وزودت انعام صديقتها محاسن بقبلة اخوية بيضاء .
وخرجت من الدار ..

ودخلت محاسن الى غرفتها تنترغ عنها ثيابها وترتدي ثياب
النوم ثم تدخل الى المطبخ فتبهيء فنجان قهوة بنفسها وتعود به
الى غرفتها .

واستلقت محاسن نصار في سريرها الوثير تدخن ، وترشف
القهوة وتفكر بجيبها حبيب مرزوق والآمال الباسمة الهائلة
تغمر قلبها الخافق المغموم الولوج .



— « اين هي محاسن ؟ .. ألم تعد بعد من زيارة الطبيب ؟ »
 كان المتكلم أبو العز .. ما ان وصلت الراقصة انعام الى
 الملهى ، حتى وثب اليها صاحب الملهى الكريم ، صالح ابو العز
 يسألها : اين هي محاسن ؟ ألم تعد بعد من زيارة الطبيب ؟
 وكانت لهجته هازئة ماكرة ساخرة .. وتمت انعام :
 مسكينة .. لقد ظلمتها يا ابا العز .

فقهه ابو العز بهزء وسخرية ليقول : اجل ظلمتها . كان
 عليّ ان أظل أبه مغمض العينين لأنصفها . أليس كذلك
 يا انعام ؟

فتقدمت انعام منه لتقول : « أتعلم اين قضت نهارها يا
 ابا العز ؟ »

قال : « بكل تأكيد . وهل هناك سواي من يعلم ؟ لقد
 قضت طيلة النهار في احضان عاشق جديد وتقاضت منه المبالغ
 الطائلة . والله لأسعفن رأسها سحقاً . أنا سأتدبر امري ممها .
 لن ادع فتاة مثلها تضحك على ذقني والذي يستطيع ان يضحك

من ابي العز لم يخلق بعد ..

كان ابو العز يتكلم بسرعة وغضب ، فعادت انعام الى الاقتراب منه لتقول : « لا تظلمها يا ابا العز . يجب ان تعلم اولاً ابن كانت ، ثم تصدر حكك عليها . »

فنفث صالح ابو العز دخان اللفافة في الفضاء ليقول : « ابن كانت ؟ »

قالت : « كانت في المستشفى . »

فوجم ابو العز ... ماذا تقول انعام ؟ أتكون صادقة في ما تدعي وتقول ؟ .. ام تراها تخدعة ؟

وتابعت الراقصة انعام كلامها لتقول : « لقد خرجت في ساعة مبكرة من الصباح شاخصة الى الطبيب . وأشار عليها الطبيب بالذهاب الى المستشفى لأجراء فحوصات عدة، لها . واقتادها بنفسه الى المستشفى ، وهناك في المستشفى قضت النهار بين ايدي الأطباء والفاحصين والخبراء . ولم تعد الا في الساعة الثامنة الى الدار . »

وصمت ابو العز .. أتراه ظلم محاسن ؟ أتكون محاسن بريئة من التهمة التي ألصقها بها ، بتهمة موافاة احد العشاق المتيمين ؟ ليس يدري ، ليس يدري ..

وساد الصمت برهة بينها .. وعاد ابو العز الى الكلام ، بعد صمت قصير ليقول : « ولكنني اتصلت هاقيماً بكما مراراً عديدة بين الساعة السابعة وبين الساعة الثامنة فلم يكن ثمة من يجيب . » قالت : « انا خرجت من الدار في الساعة السابعة ،

ولم اعد اليها الا في الساعة التاسعة ، وعندما عدت وجدت محاسن في الدار . وقالت لي انها وصلت الدار في الساعة الثامنة ، .. فألقى ابو العز اللقافة من يده وتمتم : « ابن هي الآن ؟ » قالت : « انها في الدار . يبدو ان حالها تدعو الى القلق يا أبا العز . مسكينة محاسن . يخيل اليّ انها في خطر . مسكينة . مسكينة ... »

وتظاهرت انعام بالأسف الشديد وبالخزن العميق على مصير صديقتها محاسن. وأدمعت عينها . لقد استطاعت انعام ان تقوم بالدور على اكمل وجهه. وكانت ممثلة ماهرة بارعة .. وآمن ابو العز بكلامها وهو يشاهد الدموع توج في عينيها . وندم على تسرعه في اصدار حكمه القاسي على محاسن . والتفت اليها ليقول : « ماذا كانت نتيجة الفحص يا انعام ؟ وماذا قال لها الاطباء ؟ » فضربت انعام توفيق كفاً بكف وهمست بمجن وأسف ودمع : « لست ادري يا أبا العز ، لست ادري » .

قال ابو العز والأسى يحز في نفسه : « انا سأتصل بها هاتفياً ، الآن فوراً » . قال هذا وأسرع الى الهاتف يدير ارقامه ليتصل بالراقصة الحبيبة .. وسمع صوت محاسن عبر الاسلاك يقول : « الو .. من ؟ » وهمس : « محاسن ! .. ما بك يا حبيبي ؟ .. انعام أقلقت خاطري قالت لي انك قضيت طيلة النهار في المستشفى .. ما بك يا محاسن ؟ ما بك يا حبيبي ؟ » .

فضحكت محاسن في سرها . انعام خدعته . وآمن بما قالت له .. وتمتمت : « لا تقلق خاطررك يا ابا العز . الامر بسيط » .

قال : « ماذا قال لك الاطباء ؟ » ... فاحتارت بماذا تجيب
وخشيت ان يناقض كلامها كلام انعام فتمتت : « كما قالت لك
انعام » .

قال : « ولكن انعام لم تقل لي ما هو مرضك . لم تقل انعام
ماذا كانت نتيجة الفحص . لقد اشعلت النار في صدري واقعدت
عن اطفاؤها . اثارته هو اجنسي ولم تخمد ثورتها . قولي لي يا محاسن
ماذا كانت نتيجة الفحص ؟ » فهمت محاسن : « الامر بسيط
كما قلت لك يا ابا العز . ليس ثمة ما يدعو الى القلق » .

قال : « ولكنني اريد ان اعلم ما بك . اريد ان اطمئن الى
سلامتك يا حبيبي » . قالت : « اطمئن . أنا بألف خير » .
ومس : « كيف تكونين بألف خير ، وقد قضيت طيلة النهار
في المستشفى ؟ اريد ان اعلم ما بك يا محاسن ؟ » .

فبرمت الراقصة محاسن باسئلته وتأففت . ورأت ان تتخلص
منه ومن اسئلته المخرجة فهمت : « تصبح على خير يا ابا العز » .
ومت بألقاء سماعة الهاتف من يدها الا ان ابا العز صرخ بها :
« اريد ان اعلم ما بك . لا تقطعي الخط . اسمعي يا محاسن .. »
ولم تسمع محاسن ، بل هي همست : « انا متعبة الآن يا ابا العز .
تحدث الي صبح غد . تصبح على خير » ...

وألقت بالسماعة من يدها . فراح ابو العز يتمتم : « ألو ..
ألو .. محاسن .. محاسن .. محاسن .. الا انت محاسن لم
تجب .. وكانت قد عادت الى الاستلقاء في السرير وهي تمس
في سرها : « سأتحصل منه . لن ادعه يستمر في مد سلطانه

عليّ . سأتححرر من العبودية التي فرضها عليّ . سأحطم القيود الحديدية الثقيلة التي قيدني بها ..

وراحت محاسن نصار تدخن .. وعادت الى رشف القهوة والى التفكير بحبيب القلب والروح .

ورأت محاسن نصار نفسها قوية شجاعة جريئة . ولمست في نفسها جرأة لم تلمسها من قبل .. كانت لأيام خلت تخاف ابا العز وتحشى جانبه وتزهب سطوته وبطشه ، فاذا بها الآن لا تأبه له ، ولا تقيم لغضبه وزناً . وراحت تردد في سرها : « فليفعل ما يطيب له » .

وشعرت محاسن بارتياح شديد وهي مستلقية في سريرها تدخن وترشف القهوة وتفكر .. ولاحت لها الآمال ندية وارقة خضراء .. غداً ستتزوج من حبيبها وتعيش واياها في تلك القرية الباسمة الرائعة الجمال . وستنعم قرب حبيب بالراحة والسعادة والهناء . وستخلص له الاخلاص الكامل ، لن تلتفت الى رجل ، ولن تفكر بشاب ولن تسمح لعينها بأن تنظر لغير حبيب .

وفيا محاسن مستسلمة لتفكيرها الهانئ الجميل ، قرع جرس الباب ، ورمقت محاسن نصار الساعة المشدودة الى معصمها بنظرة سريعة فاذا بها تشير الى الحادية عشرة من الليل ، ووجت .. من تراه القادم اليها في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ واحترت في أمرها . هل تفتح الباب ، أم تراها تظل في سريرها ؟ لا . هي ستفتح الباب . يجب ان تعلم من هو الطارق . ووثبت من السرير لترتدي « الروب » فوق ثياب النوم ،

وتسير الى الباب بقدمين ثابتتين . وفتحت الباب، فاذا هي امام
ابي العز وجهاً لوجه، ولم تجم محاسن، ولم قدشش، ولم تضطرب،
ولم تفلق، بل هي مدت يدها الى ابي العز تصافحه والابتسامة
تشع على شفيتها النديتين . ولملت على شفتي ابي العز ابتسامة
واهية صفراء . وصافحها ببرود وقتور . ودخل دون ان ينبس
بجرف . ودخلت محاسن وراءه وهي تتمم : « اهلاً وسهلاً
بأبي العز . تفضل . تفضل الى الصالون » .

ولم يتفضل ابو العز الى الصالون، بل هو شخص توأ الى غرفة
النوم، الى غرفة نومها.. ودخل، فدخلت وراءه . وجلس على
مقعد رجراج وثير قرب سريرها، حيث كان يجلس دائماً .
وجلست محاسن على مقعد يبعد قليلاً عن مقعده . هي لم تجلس
على السرير قرب كعادتها . وقدمت له علبة التبغ هامة :
« تفضل » . وتناول ابو العز لفافة ألقى بها بين شفتيه .
وتناولت محاسن لفافة اشعلتها، وأشعل ابو العز لفافته . وراحا
يدخان بصمت بارد كثيب .. كان صمتها شبيهاً بالهدوء الذي
يسبق العاصفة العاتية الهوجاء ..

ولم يطل صمتها .. فقد التفت ابو العز الى محاسن ليقول :
« كيف الحال ؟ » كلمتان .. كلمتان فقط : كيف الحال ؟
وردت محاسن بكلمتين ايضاً : « الحمد لله » .. قال وهو ينفث
دخان اللفافة في الفضاء : « هل تحسنت صحتك ؟ » فصادت
محاسن تتمم : « الحمد لله » . قال بهزه وسخرية : « يلوح لي ان
الطبيب الذي عاجلك اليوم افلح في معالجتك . فأنت كما تلوحين لي

بألف خير .

فعادت الى التمتمة : « الحمد لله » .

واستوى ابو العز في جلسته على المقعد الوثير ليقول :
« ماذا قال لك ذلك الطيب الماهر ؟ .. بماذا عاجلك ؟ » فنفتت
محاسن دخان لفاقتها في الفضاء دون ان تنبس بحرف .
وعاد ابو العز الى الكلام ليقول : « في أي مستشفى تعالجت
يا محاسن ؟ .. وماذا كانت نتيجة الفحص ؟ » . ولم تجب
محاسن . لم تنس بحرف ، لم تفه بكلمة ، بل هي راحت تدخن
وتفكر ..

وعاد الصمت يلفها بأجنحته السوداء .. وراحا يدخنان
بنهم وجشع وسرعة وعجل .. وعقد دخان اللفاقتين غيوماً
دكناء في فضاء القاعة الرحبة الفاخرة الرياض .. وطال
صمتها .. وكان ابو العز يراقب محاسن بطرف خفي فيراها
مقطبة الحاجبين ، مكفهرة الوجه غارقة في التفكير ..

وعاد الى الكلام بعد صمت طويل ليقول : « هل كنت
مرتاحة في المستشفى ؟ » والتفتت محاسن نصار الى ابي العز
لتقول : « انا لم اكن في المستشفى يا ابا العز » . ونفت ابو العز
دخان اللفاقة في الفضاء . وهمس : « لا .. انت كنت في المستشفى
انعام قالت لي انك قضيت طيلة النهار في المستشفى وانعام
معصومة عن الكذب .. وأنت .. انت نفسك أيدتها وقلت لي ،
عندما تحدثت اليك هاتقياً . انك كنت في المستشفى . هل تكذبين
يا محاسن ؟ » . وتمتت : « اجل لقد كذبت عليك . وانعام

خدعتك لتتخذ موقفي حيالك . اما الحقيقة فهي انني لم اكن في المستشفى .

قال وهو ينفث دخان اللفافة : « لا .. انت لا تكذابين . وانعام لا تخدعني . انت اصبت بداء وبيل وشخصت الى الطبيب والطبيب أشار عليك بدخول المستشفى لاجراء فحص دقيق » .
قالت : « لا يا ابا العز . انا بألف خير ، ولست مصابة بأي مرض . ولم اشخص الى الطبيب ولم ادخل الى المستشفى » .

فلمع الجهد في عيني ابي العز وزأر : « هل خيل اليك انك تستطيعين أن تخدعي ابا العز بكل سهولة ؟ هل خيل اليك انني صدقت كذبك وآمنت بنفاق صديقتك الوفية انعام ؟ .. لا . انت على ضلال يا محاسن . ابو العز لا يخدع . قولي لي الآن كم دفع لك من المال ؟ .. ما هو المبلغ الذي تقاضيته منه ؟ » .

قالت محاسن وهي تنفث دخان اللفافة في الفضاء : « انا لم اتقاض منه ليرة واحدة » فتمتم صالح ابو العز : « هل عدنا الى الكذب ؟ » . قالت محاسن : « صدقني يا ابا العز . انا لم اتقاض منه شيئاً » قال : « هل تريدان أن يصدق ابو العز ان حبيبته محاسن غبية بلهاء .. تقضي النهار بكامله قرب رجل ثم تودعه في المساء دون أن تتقاضى منه بدل » اتعابها ؟ .

وهمت محاسن : « يا ابا العز انا اريد أن اصارحك الحقيقة . لا اريد أن اخدعك اريد أن اكون صريحة معك كل الصراحة » فرمى ابو العز باللفافة المحتضرة من يده ليشعل لفافة ثانية ويقول : « قولي ماذا تريدان أن تقولي ؟ » قالت : صديقتك محاسن

تغيرت . هي اليوم غيرها بالامس . هي لن ترقص بعهد اليوم ،
ولن تحسو الحمر ، ولن تساير الزبائن ، ولن تقضي ليلاتها ساهرة
في الملاهي . لقد اعتزلت محاسن العمل يا ابا العز .

فوجم ابو العز وهو يسمع كلام الراقصة الحشاء ، وادرك
ان الامر من الخطورة في مقام كبير .. والتفت الى محاسن
ليقول : « لماذا هذا الانقلاب المفاجيء ؟ خير ان شاء الله ؟ » .
فصمت محاسن برهة لتقول : « انا سأتزوج يا ابا العز ،
وانصرف الى الاهتمام بأمر زوجي وبأمر دائري الزوجية »
وتحول الوجود في صدر ابي العز الى ذعر . اذكون محاسن
صادقة في ما تقول ؟ . اذا صدقت فان الكارثة ستكون كبيرة
غيفة رهيبة .

ونفت صالح ابو العز دخان اللفافة الفاخرة في النضاء وتمتم :
« هل فكرت ملياً يا محاسن قبل اتخاذ هذا القرار المهم ؟ » .
قالت : « اجل يا ابا العز . فكرت ملياً . ورأيت ان لا بسد لي
من السير في هذا الطريق » . قال : « ولكن هل تعرفين ما هي
واجبات الزواج ومتطلباته ؟ » . قالت : « اعرف كل شيء يا
ابا العز » .

قال : « ومن هو العريس السعيد ؟ » . قالت : ستعرف من
هو بعد أن يتم زواجنا لا قبل » . قال : « وهل هو غني ؟ » ..
وخيل لابي العز ان محاسن ستجيب بقولها : « هو غني جداً ..
إلا أن محاسن خبيت الامل . وهمست : « لا .. انه فقير » ..
وزار ابو العز .. « اذكونين بلهاء الى هذا الحد؟ فتزوجين من

شاب فقير وانت قادرة على ايقاع الاغنياء الاثرياء في شباكك ؟ .

قالت : « القلوب لا تشرى ولا تباع يا ابا العز . فقهمه ابو العز . وممن : « منذ متى اصبحت فيلسوفة يا ست محاسن ؟ » . قالت : « منذ ان تعرف قلبي الى الحب يا ابا العز . انا احب . اجل احب هذا الشاب وسأتزوج منه وارتاح من حياة الليل والسهر والبؤس والعذاب » .

قال : « لقد فهمت الآن . انت تحبين اذن . تحبين شاباً فقيراً .. لقد استطاع هذا الشاب أن يوقعك في الشرك . استطاع أن يستولي على قلبك .. يا مسكينة يا محاسن . مصيبتك كبيرة جداً » .

قالت : « انا راضية بهذه المصيبة » . قال : « اذن انت كنت عنده طيلة النهار ؟ » . قالت : « اجل كنت عنده . كنت عنده طيلة النهار . وسيطل يوم ، وهو قريب جداً ، اظل فيه عنده الليل والنهار » ..

قال : « اسمعي يا محاسن .. ان الطريق الذي تسيرين فيه طريق خطر رهيب مخيف . هو سيصل بك الى وهدة عميقة الغور بعيدة القرار ، لا تستطيعين الخروج منها . نصيحتي اليك أن تقفي في المسير في هذا الطريق عند هذا الحد . لا تتوغلي فيه . لا تسيري بعد الآن ولا خطوة واحدة في حناياه . عودي . عودي من منتصف الطريق يا محاسن ، لئلا تجدي نفسك عاجزة عن العودة وقد اشرفت على الهاوية .

فارتست على شفي الراقصة الحسناء ابتسامة هادئة بريئة
وتمتت : « اطمئن انا لن اعود ، لا من منتصف الطريق ، ولا
من آخره » . قال : ستندمين يا محاسن . فهمت : « لن اندم ،
لن اندم . لقد اتخذت قراري . وليس ثمة قوة تستطيع ان تعود
بي عن هذا القرار » . وصمت ابو العز ، وراح يدخن ويفكر ..
وصمت ايضاً محاسن .. وعاد ابو العز الى الكلام بعد صمت
قصير . ليقول : « انت تعودت يا محاسن حياة البذخ والاسراف
فهل تستطيعين أن تعيشي عيشة فقر وعوز وتعتير؟ انت تعودت
حياة السهر والمرح والسكر والعريضة والمجون ، فهل تستطيعين
أن تعيشي حياة رصانة ووقار ومحافضة وتهذيب ؟ .. » .

قالت : « كما تعودت حياة البذخ والاسراف والعريضة
والسهر والمجون سأعود على حياة الاقتصاد والرصانة والوقار .
قلت لك يا ابا العز وأعيد القول . انا احب هذا الشاب ،
وسعادتي قربه ، لن ابتعد عنه . لن اضيع سعادتي ، انا سأزوج
منه ، واعيش قربه وله مدى الحياة » .

فعاد ابو العز الى الصمت ينغمس فيه . ولاذت محاسن ايضاً
بالصمت العميق . وطال صمتها دون أن ينبس احدهما بحرف ..
واخذت محاسن تتشابه وقد انك النعاس اجفانها .. والتفت
صاحب الملهى الكريم اليها ليقول مجزم وعزم ووقار : « انت
لن تتزوجي » .. وكان قاسياً في كلامه . كان يتكلم كأنه قاض
يصدر حكماً لا مرد له .. وضحكت محاسن نصار مستهزئة
بكلامه . ونفثت دخان اللقافة بلا مبالاة . وتمتت : « انا بالغة

سن الرشد يا ابا العز واستطيع أن اقرر مصيري بنفسني، لو كان
والداي على قيد الحياة الآن، لما استطاعا أن يصدرا اليّ الاوامر.
انا حرة . اتزوج من اريد ، ساعة اريد .

فظهر الجسد في عيني ابي العز ، واستوى في مقعده ليقول :
« اسمي يا محاسن . انا لي جميل في عنقك وعليك أن تردي لي
هذا الجميل . قالت بهزه وسخرية : « ما هو هذا الجميل ؟ . .
هل تستطيع أن تقول لي ما هو ؟ » .

قال : لقد جعلت منك راقصة شهيرة . كنت خادمة فقيرة
فأصبحت راقصة غنية . كل ذلك بفضلنا انا . لولاي لكنت الآن
خادمة .. خادمة ، تغسل الصحون وتنظف الثياب وتكنس
الدور . قالت محاسن بغضب وحنق : « يجيل الي انك
استعدت جميلك مني . منذ سنين بعيدة وانا ارقص في ملهناك
لقاء اجرة زهيدة ، منذ سنين وأنت تتاجر بي وتتقاضى اجرة
اتعابي ، منذ سنين وانا أغدق عليك من مالي ومن جسدي ،
ومن راحتي ومن سعادتي فماذا تريد بعد ؟ » . فزار ابو العز :
« انت لن تتزوجي . الموت أقرب اليك من الزواج . هل تفهمين .
لك ان تحتاري ، اما الموت واما الزواج » . وبأدلت محاسن
أبا العز الزئير بالمثل . قالت : « أتهدني يا أبا العز .. ؟ اقل ما
يطيب لك . الذي يستطيع أن يهدد محاسن لم يخلق بعد . ليس
ثمّة من يستطيع ان يفرض ارادته علي .. انا سيدة امري . انا
حرة . أقل ما اريد ساعة اريد . هل تفهم ؟ » .

واشتد الغضب بأبي العز ، وهو يلس في الراقصة محاسن

نصار ، التمرد والعصيان . وزأر : « أتمردين علي يا جاحدة
النعمة ؟ هل يخيل اليك ان أبا العز سيتخلى عنك بكل هذه
السهولة ؟ لا والله أنا سأخطف أنفاسك إن أنت فكرت بالافلات
من يدي » .

وعصف الغضب الشديد في قلب محاسن فوفقت تقول بلهجة
قاسية حازمة شديدة الوقع : « اسمع يا أبا العز . انا لا أسمع لك
بالتدخل في شؤوني الخاصة . انت لست ولي امري ، ولست ابي
ولا اخي ولا نسيبي . كنت اعمل في ملهالك وانقطعت . كنت
راقصة واعتزلت الرقص ، كنت عشيقتك يا سيدي وانتهى كل
شيء بيننا فماذا تريد مني ؟ .. تفضل .. ها هو الباب امامك .
تستطيع ان تخرج بأمان وسلام واطمئنان » .

وتحول الغضب في قلب صالح ابي العز الى ذعر . ماذا تقول
محاسن ؟ .. هل جنت ؟ .. أطرده من دارها ؟ أتمرده عليه ،
وقد كانت لأيام قليلة مضت لا تجرؤ على رفع رأسها امامه ؟ ..
كل حساب حسبه ابو العز إلا هذا الحساب . لم يخطر في باله ان
محاسن ستقف منه يوماً مثل هذا الموقف الرهيب . لم يحل في
خاطره ان عشيقته ستتمرد يوماً عليه . لم يفكر بأن الراقصة
محاسن نصار ستجرؤ على رفع صوتها في وجهه .. لقد خيل
اليه ان محاسن ستخاف تهديده وأنها ستعتمد الى اللطف
والاستغفاف واللين . إلا ان حساب الحقل لم يطابق على حساب
البيدر . فاذا بالعشيقة الوديمة المسالمة تتقلب فجأة الى امرأة
متمردة ناقة غضوب ..

وصمت ابو العز . وأبى ان يقف ويتجه الى الباب ويخرج منه كما أشارت اليه محاسن . وراح يدخن بصمت وتفكير : « ماذا عليه ان يفعل الآن ؟ .. هل يمضي في موقفه منها ؟ .. هل يمضي في التهديد وفي الوعيد ؟ هل يثب اليها فيمسك بشرها وينهال عليها بالصفع ؟ .. وراقته فكرة الضرب .. سيضرها ، ويلقنها درساً قاسياً في الخضوع لمشيئته وفي الانصياع الاعمى لأوامره .. ولكن ، ولكن هل ينجع الضرب والصفع في الراقصة المتعمدة الحرون ؟ .. لا ، من المؤكد ان الضرب سيزيدها تمرداً والصفع يزيدا غضباً وجنوناً .. ماذا عليه ان يفعل اذن ؟ وراح أبو العز يفكر: .. عليه الآن ان يلاطفها ويسايرها ويتودد اليها . ثم .. ثم ماذا ؟ ثم يعمد الى الحيلة لإبعادها عن ذلك الشاب الذي استطاع ان يمد سلطانه عليها وان يظفر بقلبها الهائم اللولوع .. الحيلة ؟ . أجل الحيلة .. الحيلة وحدها تصل بأبي العز الى ما يبتغي ويروم . وأبو العز ، حرسه الله ، يتلن فن الاحتيال ، فهو من هذا الفن « الرقيق » في أعلى مقام ، ومن المحتملين الكرام في المقدمة .

واطمأن ابو العز وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد . والتفت الى محاسن ليقول بكل ذل وهدوء وانكسار: « اطردينني من دارك يا محاسن ؟ »

وكان في صوته رقة ووداعة وذل واتضاع ، فخبجت محاسن نصار من نفسها ، كيف دفعها الغضب الشديد الى التلطف بتلك الكلمات القاسية ؟ وكيف سمحت لنفسها بأن تطرد ضيفاً من

دارها ؟ لقد اساءت محاسن نصار الى ابي العز ، لقد اخطأت بحقه ، وعليها ان تكفر عن اساءتها وان تصلح خطاها .

وجلست محاسن ، دون ان تهمس بحرف . وهاد ابوالعز الى الكلام ليقول : « أهكذا يهون لديك حبيبك ابوالعز يا محاسن ؟ أهكذا تنسين في لحظة كل ما كان بيننا ؟ يا ضياع الامل بك يا محاسن ؟ أنا لم اكن لأفكر يوماً بأنك ستقفين مني هذا الموقف البغيض . لم اكن لأفكر بأنه سيطل عليّ يوم تطردني فيه حبيبتي محاسن من دارها . سامحك الله يا محاسن » .

ونفثت محاسن دخان اللقافة في الفضاء . وهمست : « لقد أرتني يا أبا العز . كلامك ألهب سمير الغضب في صدري . فتلفظت بما لا اريد التلفظ به » .

قال ابو العز : « يا محاسن ، انا ان كنت اريدك على الابد عن الزواج فما ذلك إلا من اجلك انت ، من اجل سعادتك ومن اجل هنائك يا حبيبتي . الزواج ليس بالأمر السهل اليسير . انه امر صعب شاق مرهق متعب ثقيل العبء . ليس الزواج « اكلة طيبة » . لم تموتي ، ولكن ألم تشاهدي من مات ؟ »

قالت محاسن : « يا ابا العز انا اريد ان ارتاح . اريد ان اضمن مستقبلي ، اريد ان اصبح زوجة صالحة وأماً رؤوفاً ، هذا الحلم هو حلم كل فتاة ، كل امرأة ، ماذا ستكون نهايتي وأنا أسلك سبيل الرقص والسهر والسكر والمريدة والمجون ؟ الى أين سيصل بي هذا الطريق الذي اسلكه ؟ ماذا سيكون مصيري ؟ أي مستقبل مظلم قاتم السواد سيكون مستقبلي ؟ » فهمس

ابو العز : « انت غنية يا محاسن . لقد جمعت ثروة طائلة يعجز كبار الرجال وأشد ممة وحكمة وذكاء ونشاطاً عن جمعها ، جمعت هذه الثروة الطائلة وأنت ما زلت في شرخ الشباب . اموالك ستكفل مستقبلك يا محاسن . من يملك العرش يملك احترام الناس وتقديرهم واحترامهم . مستقبلك مضمون يا محاسن ، ومصيرك معلوم . ليس لك ان تخافي غدر الايام وظلمها ، والاموال تتدفق بين يديك . لماذا تريدن الزواج ؟ أتريدن ان تعيشي في دار هائلة . وهل هناك دار تعرف الهناء مثل هذه الدار التي تعيشين فيها الآن ؟ .. هل تريدن ان تعيشي في كنف رجل ؟ ... كل الرجال « على حسابك » ما لك الا ان تختاري ، ما لك الا أن تشيرى بيدك الى اي رجل ، الى اي شاب ، حتى ينقاد اليك انقياد الأعمى الى دليله . لماذا تربطين مصيرك بمصير شاب واحد وهناك عشرات الشبان ، وأنا في طليعتهم يتمنون أن تكوني لهم ؟ اي فائدة تجنينها من الزواج ؟ لست ادري » .

ومست محاسن : « هل انتهيت من حديثك يا أبا العز ؟ » .
 قال : « اجل انتهيت » . قالت : « لقد استمعت انا الى آرائك ، فهل تتفضل وتستمع انت الآن الى آرائي ؟ » .
 فأشعل ابو العز لفاقة . وتمتم : « تفضلي . هاتي آراءك القيمة » .
 قالت : « ان المال لا يشتري السعادة . كل ما أملك من مال لا يشتري لي ذرة من سعادة . ان المال يزول يا أبا العز ، قد ينفد مالي ويتبخر قبل ان تدمني الشيخوخة . وعندئذ

لن أجد من يقدم لي كأس ماء .. » قال ابو العز : « وماذا
 بعد ؟ » قالت : « ثم ان هؤلاء الشبان الذين ينقادون اليّ
 بإشارة صغيرة من طرف اصبعي ، سيتفارقون عني ويهربون
 مني عندما تطل عليّ الشيخوخة من وراء السنين .
 فنفت صالح ابو العز دخان اللفافة في الفضاء وهمس :
 « وبعدهذا ؟ » . قالت : « بعدئذ أنا اريد ان اصبح زوجة
 وأماً . لا اريد ان اكون عشيقة » . قال : « وماذا بعد ؟ » .
 قالت : « ثم هل تعلم يا أبا العز ان كل ما في العالم من سعادة
 ولذة وهناء لا يساوي سعادة الحب الحقيقي المقدس ولذته
 وهنائه » . قال ابو العز : « معنى هذا انك تحبين هذا الشاب
 الفقير ؟ » .

قالت : « أجل يا أبا العز ، انا احبه واعترف بأنني احبه .
 انا لا اخجل بحبه ، بل افتخر به ، الحب المقدس الطاهر
 النبيل الشريف ، الحب الروحي يا أبا العز يرتفع بالنفس البشرية
 الى الاعالي ، ويهيم بها في عالم بعيد الحدود فسيح الحنايا شاسع
 الارزاء ، في عالم من السعادة غير المتناهية » . قال ابو العز :
 « بلوح لي يا محاسن ان هذا الشاب استطاع ان يسيطر عليك
 سيطرة تامة وأن يبسط سلطانه على قلبك الطاهر النبيل » .
 قالت : « هذه هي الحقيقة يا أبا العز . لقد استطاع هذا
 الشاب ان يسيطر على عقلي وعلى قلبي وعلى شعوري ، كما انني
 استطعت انا ايضاً ان امد سلطاني على كل نبضة من نبضات
 قلبه وعلى كل رهشة من رهشات روحه .

وصمت ابو العز . وراح يفكر باهتمام شديد : يبدو ان محاسن غارقة في الحب حتى اذنيها . لقد وصلت محاسن الى مرحلة يصعب فيها عليها الرجوع . يا له من غبي ، كيف اهمل امر هذه الراقصة ، وكيف غفل عنها ولم يتنبه لها حتى الآن ؟ .. لا بأس . الوقت لم يفت بعد . هو ما زال قادراً على الحؤول دون انقراض الكارثة .

والتفت صاحب الملهى الكريم الى الراقصة الحسناء ليقول ، بعد صمت قصير : « انا لا انكر عليك الحب يا محاسن . من حقلك ان تحبي . ولكن لماذا لم تختاري شاباً غنياً وتحبينه ؟ الشبان الاغنياء الذين يحومون حولك كثيرون ، فلماذا اعرضت عنهم لتندفمي في هوى شاب بائس فقير ؟ » .

قالت : « نحن لا نستطيع يا ابا العز ان نختار احبابنا . الأقدار هي التي تختارهم لنا . وعلينا أن نزل عند اختيار الأقدار . انا لم اختر حبيبي ، الأقدار هي التي اختارته لي . الأقدار اوقعتني في طريقي وأوقعتني في طريقه » . قال : « هل هو من زبائن الملهى ؟ » .

فابتسمت محاسن . وممست : « انت تريد ان تعلم من هو . مهلاً يا صديقي . انا سأقول لك من هو ، ولكن ليس الآن » . قال : « ولماذا تريد ان تخفي عني اسمه ؟ » . قالت : « ستعرف اليه في الوقت المناسب . ليس الآن » . قال : « اريد ان اعلم هل هو من زبائن الملهى ؟ » .

فاتسمت الابطسامة على شفهي محاسن لتقول مازحة : « لا .

اطمئن انا لن اسلبك زبائنك الكرام . هو ليس من زبائن
ملك . ولو كان من رواد الملهى لما أحببته ولما تدهت في
حبه .

فوقف صالح ابو العز ليقول : « لقد أشرفت الساعة على
الحادية بعد منتصف الليل . اننى اتمنى لك السعادة والتوفيق .
تصبحين على خير يا محاسن » .

ووقفت الراقصة الحسناء تصافح صاحب الملهى قائلة :
« تصبح على خير يا ابا العز » .. وسار ابو العز ، وخرج من
تلك الدار وهو يفكر ، كان يفكر بما وصلت اليه محاسن .
يا لها من فتاة غبية بلهاء . هل يخيل اليها أن ابا العز سيبارك
حبا وسيفلتها من يده ؟ .. مجنونة .. هو بحاجة اليها . بحاجة
الى تلك المبالغ الطائفة التي تتدفق على ملهائى بواسطتها ، وبحاجة
الى جسدها الندي الشباب . محاسن نصار ، لن تغفل من يده .
لن تستطيع أن تسير طويلا في هذا الطريق .. فلتفعل الآن
ما يطيب لها . وفي الغد القريب سيبقى لكل حدث حديث .



السهرة عامرة زاهرة زاهية في دار محاسن نصار في شارع
الحمرء في بيروت ، فالليلة ليلة عيد رأس السنة . وأبناء القرية
الوادعة الباسمة الخضراء لبوا دعوة الراقصة انعام وجاؤوا
يحيون ليلة رأس السنة في دارها ودار محاسن . وغمر الفرح
حنايا الدار وقد هبقت بعبير الشباب العاطر الريان . وراح
الزجالون يتبارون ويتغزلون ويهجون ويصفون ..

وانتشت الراقصة انعام وهي تسمع الزجالون يصوغون
القوافي كأنها المعقود وينثرونها في المسامع كما تنثر البلبابل
اناشيدها في الفضاء . وتباهت الراقصة انعام توفيق وهي تسمع
الزجالون يتبارون في وصف جمالها الفاتن الرائع . وراحت
توزع على الزجالين الشبان ابتساماتها بالعدل والقسطاس .
وروتت الى الاثمار والى الحلوى والى القهوة والى الشاي توزعها
على ابناء القرية والنشوة تغمر فؤادها .

وأمسكت محاسن نصار بيد حبيبها حبيب مرزوق ،
هامسة في اذنه : « حبيب ! تعال نخرج الى الشرفة يا حبيب » .

وخرجا الى الشرفة . وكان الشارع الفسيح الطويل البعيد
يزدهي بالأنوار . والدور المنتصبة على جانبيه تفرق في بهجة
العيد ، وتعالى انغام الموسيقى فتساب مع نسيم الليل العليل
لتزيد فرحة العيد فرحة وبهجة وحبوراً .. وكان
الراقصون والراقصات يترغنون على انغام « التانغو » و « الفالس »
ويقفزون وينطون ويشبون على انغام « الروك اندرول »
و « التشاتشا » وغيرها من الرقصات الغربية المضحكة المنجحة ..

ووقفت محاسن نصار مع حبيبها يستعرضان الراقصات
والراقصين في الدور المواجهة لدار محاسن ، عبر زجاج النوافذ ..
ومست محاسن في اذن حبيبها : « حبيب ا.. هذا هو العام
الأول يطل علينا . هذه الليلة هي ليلة اول عام في عمر حينا
يا حبيب . كم من الليالي سنقضي بعد هذه الليلة معاً ؟ كم من
الاعوام ستمر علينا بعد هذا العام وأنا الى قربك يا حبيبي ؟ »

فهمس حبيب مرزوق وهو يطوق حبيبته محاسن بذراعيه :
« محاسن ! ستكون أيامنا كلها أعياداً يا حبيبتي . لن يفرق
بيننا شيء على هذه الارض الا الموت .. الموت ؟ .. لا
يا محاسن .. لا يا حبيبتي . حتى الموت لن يفرق بيننا . لن
يستطيع الموت أن يفرق بين روحينا . لن يستطيع ان يحطم
حينا . ان حينا أقوى من الموت يا محاسن . ستظل روحانا
متحدتين هائمتين مفرمتين حتى بعد الموت يا حبيبتي . »

فهمست محاسن ، وهي تلتصق به : « ان شاء الله ، ان

شاء الله يا حبيبي ، قال : وهو ينظر الى النجوم المتبخثرة في
الفضاء المتلاثلة من خلال الغمام المنتشر عبر الرياح : « انظري
يا محاسن . انظري يا حبيبي . هل تشاهدين هذه النجوم
الساطعة في الفضاء ..؟ هذه النجوم التي تظهر حيناً لتختفي
أحياناً وراء الغمام ..؟ هذه النجوم شبيهة بأرواحنا يا محاسن .
انها صورة واضحة عن أرواحنا . هكذا تظهر أرواحنا في
هذه الأرض ، لتختفي وراء القبر ثم تعود الى الظهور في
السماء . وروحانا ، روحي وروحك ، ستختفيان يوماً وراء
حجب الموت لتعودا فتظهرا وتسطعا في السماء يا حبيبي .

ومست محاسن وهي تطوقه بذراعيها : « هكذا سنظل
مدى العمر ، مدى الحياة يا حبيب . لن نفترق يا حبيبي .
لن نفترق أبداً أبداً أبداً » . قال حبيب مرزوق : « قولي
معي ، ان شاء الله ، يا محاسن » . فهمت : « ان شاء الله
يا حبيبي » ..

وفيا محاسن وحبيب يقفان على الشرفة كان جرس الهاتف
يقرع بشدة داخل الدار .. وأسرعت انعام الى الساعة ترفعها
الى اذنها وتهمس : « ألو .. من ..؟ » . وقال الصوت :
« من ..؟ انعام ؟ انا ابو العز يا انعام . الساعة اثمرت على
العاشرة وحضرتك لا تزالين في الدار ..؟ لماذا لم تحضري الى
العمل ؟ » . ومست انعام عبر الاسلاك الهاتفية : كل عام
وأنت طيب يا ابا العز . الليلة ليلة عيد رأس السنة » . قال :
« انا اعلم ان الليلة ليلة عيد رأس السنة . ولذلك يتعتم عليك

ان محضري الآن فوراً . اللهم يزدحم بالزبائن والمحبوبون
والاصدقاء بانتظارك .»

فتمتت : « انا لا استطيع الحضور يا أبا العز . أرجو أن
تعطيني الليلة من العمل . فتم صاحب الملهى : « هل
انتقلت عدوى الكسل من محاسن اليك ؟ محاسن تريد ان
تتزوج . أما انت فما هي مصيبتك ؟ » . قالت : « اطمئن
يا أبا العز . انا لم أبلغ من الجنون بعد الى هذا الحد . لم أجن
كي اتزوج إلا ان هنا ضيوفاً لا استطيع ان اتركهم الآن . »
قال : « اين هي محاسن ؟ .. أليست في الدار ؟ هل ذهبت
لتقضي ليلة العيد مع العريس ؟ . » . قالت : « لا ، محاسن
هنا . » قال : « فلتكفل هي بالضيوف واحضري انت الآن
فوراً الى الملهى . » . قالت : « لا يا أبا العز . انا لن استطيع
الحضور . كل عام وأنت طيب وتصبح على خير . »

وأبقت انعام بالساعة من يدها . هذه الليلة من ليالي
العمر . هي لن تفوتها لتشخص الى الملهى . هي تريد أن
تستمع بأطايب الزجل وتشنف أذنيها بالانعام القروية الشجية .
لن تذهب الى الملهى الليلة ولن تضيع عليها الفرصة السانحة ..
وعادت انعام الى قاعة الاستقبال لتجلس بين ابناء القرية
وبناتها . ومضى الزجالون في المباراة . وعلا التصفيق وترددت
الآهات . واشتركت انعام بالتصفيق وبالغناء .. واذا يجرس
الباب يقرع .. ونهضت انعام واتجهت الى الباب تفتحه فاذا
بها امام ابي العز وجهاً لوجه ..

ودهشت الراقصة انعام ، وهي تشاهد صاحب الملهى امامها . وهمست : « ابو العز ؟ .. اهلا وسهلا » .. ودخل ابو العز . وكان صوت الزجالين يتعالى في أنحاء الدار ، والتصفيق يصم الآذان .. والتفت ابو العز الى انعام ليقول : « يبدو ان السهرة عامرة عندكما » . قالت : « انهم بعض الاصدقاء جاؤوا من الجبل لقضاء سهرة العيد عندنا » .. قال : « اين هي محاسن ؟ » . فنظرت انعام الى الشرفة نظرة خشية وقلق . وتمتمت : « تفضل . الى الصالون يا ابا العز . انا سأدعو محاسن اليك » .

وأدرك ابو العز ، وهو يشاهد انعام تنظر الى الشرفة بقلق ووجوم ، أدرك ان محاسن على الشرفة .. وسار الى الشرفة . ولحقت به انعام وهي تتمتم : « تفضل يا ابا العز الى الصالون » . ولم يتفضل ابو العز الى الصالون ، بل هو شخص الى الشرفة دون ان يلتفت الى انعام .. وخرج الى الشرفة ليقف على قلق واضطراب .. ماذا يشاهد ابو العز ؟ انه ليشاهد محاسن بين ذراعي شاب قوي وسيم .. وأدرك صاحب الملهى الكريم كل شيء . هذا هو حبيب محاسن . هذا هو عزوله . انه خصمه اللدود ، مزاحمه على قلب محاسن .

لقد حاولت محاسن ان تخفي عنه ، عن ابي العز امم حبيبها وهويته ، فاذا بالأقدار تقوده الى هناك ليعترف اليه . لم يكن يخطر في بال ابي العز وهو يشخص الى دار محاسن ، أنه سيجد عزوله هناك . كان ابو العز يريد ان يحضر الى تلك

الدار ليمسك بيد انعام ويعود بها الى الملهى ، إلا ان الاقدار
أرادت ان تكشف له السر الدفين وأن تعرفه الى حبيب
محاسن .. وهمس ابو العز في سره وهو يقف على الشرفة :
« حظك من السماء يا أبا العز » . وتقدم منها قائلاً : « مساء
الخير يا جماعة » .

وارتدت محاسن على ذعر وقد وقع صوت ابي العز في
اذنيها . وانسلخت عن حبيب وتراجعت الى الوراء .. وتقدم
ابو العز من حبيب ماداً يده لمصافحته هامساً « بونسوار » ..
ومد حبيب مرزوق يده يصافح ابا العز وهمس : « بونسوار » ..
وشدت يد ابي العز يد حبيب مرزوق . والتفت الى محاسن
ليقول : « ألا تعرفيني بالشاب يا محاسن ؟ » . وأوقعها في
المأزق الحرج . لم يعد لها إلا ان تستجيب طلبه . فهمست .
« إنه السيد حبيب مرزوق » . وانفتحت محاسن إلى حبيب
تعرفه بأبي العز . « انه صالح ابو العز ابن عم والدتي يا حبيب » .
وزعق ابو العز : « حضرته السيد حبيب مرزوق . أهلاً
أهلاً أهلاً بالسيد حبيب .. منذ امد بعيد وأنا أتمنى ان اعرف
اليك . كانت محاسن تحدثني دائماً عنك . محاسن معجبة بك
شديد الالهجاب يا حبيب » ..

قال ابو العز هذا ثم التفت الى محاسن ليقول : « لقد
احسنت الاختيار يا محاسن . فلك تهاني الحارة يا نسيبتي
العزيزة » ..

ووقفت محاسن على دهشة وقلقى ووجوم . ماذا يقول

ابو العز ؟ .. لماذا يثني على حبيب كل هذا الثناء ؟ هل هناك
شرك جديد يريد ان ينصبه لها ولحبيبها ؟ وأمسكت محاسن
بيد حبيب. وتمتت : « تعال ، تعال يا حبيب لتدخل الى
الصالون » . ووقف ابو العز بينها ليقول : « لا . أبداً .
انا اريد ان أتحدث الى حبيب . ادخلي وحدك الى الصالون
يا محاسن » . وأبت الراقصة محاسن ان تدخل وحدها الى
الصالون وتترك حبيباً في خلوة مع ابي العز . وأصرت على
الدخول مع حبيب الى قاعة الاستقبال ..

ودخلا .. ولحق بها ابو العز .. وكان الزجالون لا يزالون
يطلقون قوافيهم العامرة فجلست محاسن قرب انعام ، وجلس
حبيب قربها ، وجلس ابو العز قرب حبيب .. وراح ابو العز
يتودد الى حبيب مرزوق . وراح يسايره ويسامرته ويستدرجه
للبوح بكل ما في قلبه من أسرار ..

وعلم ابو العز من حبيب مرزوق كل شيء .. لقد عرف
كيف تم التعارف بينه وبين محاسن على شاطئ المعاملتين ..
وعلم منه انه قروي اقرب الى الفقر منه الى الثنى ، وانه
يميش مع امه في القرية الباسمة الخضراء على كنف شاطئ
المعاملتين الجميل .. وعلم ان حبيباً يحب محاسن حباً هائلاً
رهيباً وانه سيتزوج منها قريباً .. وعلم ايضاً ان محاسن
ارهمت حبيباً انها ابنة تاجر كبير غني وانها تمش مع « ابنة
خالها » انعام في دارها .. وعلم ابو العز من حبيب مرزوق
كل شيء . كل شيء ..

لقد استطاع ابو العز أن ينتزع من حبيب مرزوق كل تلك
الاسرار بدون أن يلقي أي عناء .. واطمأن ابو العز وقد
توصل الى معرفة كل ما يصبو اليه .. ونهض ، وقد افرغ
حبيب مرزوق جميعته ، ليقول : « انا مضطر للعودة الى
داري . لقد تشرفت بمعرفتك ايها السيد حبيب وانني لفعخور
بمناسبتك » . وتمتم حبيب وهو يصافح ابا العز : « ارجو ان
تشرفني بزيارتك في القرية ايها السيد صالح » . وتمتم « السيد
صالح » : « سأزورك قريباً إن شاء الله يا اخي حبيب » .
وخرج ابو العز من قاعة الاستقبال وتسلسل من الدار ليعود
الى ملهاه والفرحة تغمر روحه .. وهمس في صرعه ، وهو
يدخل الى الملهى العامر الفسيح : « هنيناً لك يا ابا العز .
لقد اصبحت محاسن في قبضة يدك . لن تفلت من هذه اليد .
هي ستعود .. ستعود .. ليس للعصفور أن يبسط جناحيه
ويطير ما دام القفص موصل الباب ، محكم الاقفال .



حبيب مرزوق على فرحة طلقة ناصعة البياض ، فالآمال
 الباسمة تغمر حنايا روحه ، والاحلام المجنحة البيضاء تبسط
 على قلبه الخفوق اجنحتها الوارفة الظلال . واطمان حبيب
 مرزوق كل الاطمئنان وقد صفت له الايام ، وعمرت روحه
 بالسعادة والهناء ، ومدت فوق قلبه وقلب حبيبته محاسن
 وشاح السعادة والسلام ..

ومحاسن كانت مطمئنة البال سعيدة الروح ، فهي قد
 ارتاحت من عناء السهر والعمل في الملاهي ، وعرفت لذة
 السعادة في حبها الهانئ المقدس النبيل . وماذا تريد محاسن
 نصار غير هذا ؟ .. كل ما تريد محاسن هو أن تظل قرب
 حبيب ويظل حبيب قريبا . فهي تشخص اليه صباح كل يوم
 وتقضي طيلة النهار قربته تساعد في عمله في الحقل وفي الكرم
 وفي البستان ، وتجلس وايه تحت ظلال الاشجار الوارفة
 عندما تتبدد الغمام وينقطع المطر عن المطول ، او حول الموقد
 عندما تمطر السماء وتتلبد الغمام في الفضاء ..

وكان العاشقان المتيمان في سعادة هائلة باسمه سمحاء . وما
أن تهاهب الشمس للغيب حتى تستقل محاسن سيارتها الخاصة
وتعود بها الى بيروت .

وراح الحبيبان بينيان قصور الاماني الشاهقة المنيعة العالية
الاجنعة ، الفسيحة الارعاء . وكلما جلست محاسن قرب
حبيبها همست في اذنه : « حبيب . غداً ستصفون لنا الايام
وتزدهر وتزهو امانينا العذاب . سنعيش العمر كله معاً يا
حبيبي لن نفترق يا حبيب . لن نفترق حتى الموت » .

ويضمها حبيب مرزوق الى صدره برفق وحنان ويهمس :
« محاسن .. إذا اراد الله سنكون في الأحباء بين السعداء .
سنقضي العمر معاً . هنا في هذه الوهاد والتلال والجبال .
سنشارك الاطيار اناشيدها يا محاسن ، والجداول ترانيمها ،
ونشارك مع النسيم العليل في مساته ومع الازهار في نشر
المطر والعبير . لن تكون لسعادتنا حدود ولا حدود ،
سنعيش كما تعيش الاطيار ونغفو كما تغفو زهرات البنفسج على
ضفاف النهر الدائم الترانيم . سنصحو مع اطلالة الفجر ورأسك
على صدري يا حبيبي . ايامنا يا محاسن ستكون احلاماً مجنعة
وليالينا ستكون اطيافاً وارفة بيضاء » ..

وتغمض محاسن نصار عينيها على تلك الرسوم التي يرسمها
لها حبيبها حبيب مرزوق . على رسم الاحلام المجنعة والاطياف
الوارفة البيضاء .. وتتدحرج الدموع من عينيها المغمضتين ..
ويهمس حبيب ، وهو يشاهد دموع حبيبته محاسن تنهمر على

وجنيتها كحبات اللؤلؤ وكقطرات الندى : « محاسن !..
ما بك يا حبيبي ؟ لماذا تبكين يا محاسن ؟ » . وتشد يند
محاسن يده وتمس : انها دموع الفرح يا حبيب . دموع
السعادة . الفرح والحزن توأمين يا حبيب . والسعادة والشقاء
شقيقان والانسان يضيع بين التوأمين ، يلبه بين الشقيقتين .
فهو يبكي للفرح مثله للحزن . ويجهم للسعادة مثله للشقاء ،
والعيون والشقاء تتأثر بالحزن وبالفرح والسعادة والشقاء يا
حبيب . انا ان كنت ابكي الآن فلأني أكاد ألمس السعادة
بيدي . سعادتي قريبك يا حبيب قدفع الدموع الى عيني فليحقق
الله امانينا الوارفة واحلامنا العذاب يا حبيبي » .

وهمس حبيب مرزوق وهو يشدها الى صدره : « محاسن .
السعادة الحقيقية ليست على هذه الارض . انها هناك في السماء .
وما نشر به ، هنا على هذه الارض الفانية من سعادة ، ان
هو سوى ظل السعادة الحقيقية التي تنتظرنا هناك ما وراء
الغمام ، والسعيد السعيد هنا هو ذلك الطاهر الشريف النبيل
الذي تنتظره السعادة الابدية هناك . السعادة التي لا حدود لها
ولا سدود ، السعادة المتناهية الازلية . قولي ممي يا محاسن :
« اعطنا يا رب ذلك الميراث الابدني الذي وعدتنا به . خذ
كل ما نملك على هذه الارض من سعادة واعطنا عوضاً عنها
رضاك الذي هو كل السعادة » .

وتنثني محاسن نصار بكلمات حبيبها وتردد كلماته :
« اعطنا يا رب رضاك » . وتشعر محاسن وهي تردد مع

حبيب تلك الصلاة ، تشعر براحة وهناء وسلام واطمئنان ،
فتمسح دموعها وتضم حبيبها الى صدرها : « فليبارك الله حبنا
وأشواقنا وأمانينا وأحلامنا يا حبيب وليبقني قربك ويبقك
قربي مدى الحياة يا حبيبي » .

ويهمس حبيب مرزوق : « اطلبي من الله ممي يا محاسن أن
يجمعنا هناك .. قربه في السماء . هناك سيكون لقاءنا أبدياً
يا حبيبي . سيكون لقاء لا فراق بعده . أما هنا ، فان لقاءنا
سيكون لقاء زمنياً لا قيمة له ولا وزن ولا قدر . وتمت
محاسن بلهجة الواثقة المطمئنة : « سنجتمع هنا . وهناك
يا حبيبي . على الارض وفي السماء لن نفترق . ابداً ابداً ابداً » .
ويهمس حبيب : « ان شاء الله . ان شاء الله يا حبيبي »

وراح الحبيبان برسمان طريق المستقبل القريب ويفرشانه
بالزهور والورود والرياحين . غداً عندما يطل الربيع بمطوره
وعبيره وشذاه سيكون عرسها . وستزحف القرية بشبانها
وبناتها وكهولها ورجالها ونسائها ، ودابكها ومطربها
وزجالها الى دار حبيب مرزوق لأحياء ليالي العرس البهيج ..
وأقام الحبيبان ينتظران بزوغ الربيع العاطر الريان بفنار
صبر .. وأم حبيب اقامت ايضاً تنتظر ذلك اليوم الباسم الميمون ،
يوم عرس ابنها الحبيب .. وأطلع حبيب امه على الاتفاق المعقود
بينه وبين حبيبته محاسن فباركت ام حبيب ذلك الاتفاق
وصفت له . كل ما تطلب ام حبيب من دنياها ان تفرح بالمهروس
حبيب وأن ترقص وتزغرد يوم عرسه ، وأن تشاهد احفادها

يدرجون في دارها ويبتسمون لها ويملاون تلك الدار بهجة
وحبوراً .

وارتاحت ام حبيب للعروس المختارة : محاسن عندها في
مقام ابنها حبيب . فهي فتاة طاهرة مهذبة لطيفة ، وديمة ،
نبيلة ، جميلة .. كل ما في العالم من صفات حميدة هي في هذه
الفتاة الحسنة . وفوق كل ذلك هي فتاة تقيّة ورعة متديّنة ،
ترافق ام حبيب كل صباح احد الى الكنيسة ، وتجتو قريها على
ركبتيها لتصلي بكل ورح وتقى وخشوع . وماذا تريد ام
حبيب غير هذا ؟ .. هي لا تطمع في ان تقع لحبيب على عروس
أفضل ..

وراحت ام حبيب تستعد ليوم العرس ، وقد بات العرس
قريباً والشتاء بدأ يتقهقر ويبدأ رويداً امام مواكب الربيع
العاطر الريان . الثلاثة راحوا يستعدون لذلك اليوم السعيد ، ام
حبيب ، وحبيب ، ومحاسن . كل منهم يستعد للعرس على
طريقته الخاصة ... ام حبيب تنصرف الى تنظيف الدار ،
وطرش جدرانها بالكلس لتزيد في نصابها وازدهارها .. وحبيب
يجمع المال ويبيع ما فاض عنه من الحنطة والخبز ليؤمن نفقات
العرس ..

ومحاسن تجمع ثيابها ، وتهيئ ثياب العرس ، وتحمز حقائبها
تمهيداً للانتقال من دارها في بيروت الى دار الزوجية في القرية
الباسمة الهانئة الخضراء . هي لن تعود الى تلك الدار في بنائها
في بيروت . ستترك تلك الدار لصديقتها انعام توفيق . انعام

ستقيم وحدها في تلك الدار ، وهي ستشرف على ادارة اعمال محاسن في بيزوت. ستتقاضى بدل الايجار من المستأجرين وتشرف على تلك البناية وتهتم بشؤونها .

وتحضر محاسن مع زوجها حبيب مرزوق مرة او مرتين كل عام الى بيروت لتجري حساباً مع انعام وتقف على سير العمل ثم تعود مع الزوج الحبيب الى القرية ..

وغمرت السعادة القلوب الثلاثة ، قلب ام حبيب ، وقلب حبيب وقلب محاسن وقد اشرف الشتاء على الاقول وبدأت لباشير الربيع تطل عليهم . وكانت الثلوج قد بدأت تذوب عن سفوح الجبال ، وبدأت الغمام الدكناء تنقشع من الفضاء ، وأغصان الاشجار التي هرتها رياح الشتاء بدأت تتأهب لارتداء ثوبها الاخضر الريان . وبدأت براعم الازهار تتحفز للانطلاق لتستقبل الربيع بميرها الفواح الاريج .. والمواشي التي سجنها الامطار والثلوج في حظائرها بدأت تتأهب للانطلاق الى المروج والحقول والغابات . لقد اقترب الربيع ، واقترب معه ذلك اليوم السعيد الفاتح البهيج الذي ينتظره حبيب وامه وحبيبته محاسن نصار ..

وكانت محاسن قد انقطعت انقطاعاً كلياً عن الاصدقاء والاحباب والمجيبين ، لا سيما عن ابي العز ، صاحب الملهى الكريم . وكان ابو العز يأمل ان تعود محاسن اليه ، كان ابو العز ينتظر أن يفشل مشروع الزواج . وهو لا يحهل اي وهدة عميقة الغور تفصل بين محاسن نصار الراقصة التي تسكر وتسهر

وتعشق وتحب وتعربد ، وبين ذلك الشاب القروي الذي يعيش في تلك القرية النائية عيش تقى وورع وعمل وصلاة .. كان ابو العز يأمل أن تعود اليه يوماً محاسن وتقول له : «ها انا بين يديك يا ابا العز . لقد كنت مجنونة يوم سمحت لقلبي بالتمرد والمصيان » .. هذا ما كان ينتظر ابو العز . إلا أن حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر . ومحاسن نصار خبيت امل ابي العز ولم تمد بالسلامة اليه .

وقلت ابو العز وقد طال بعاد حبيبه محاسن عنه . ورأى أن يتصل بها مستفسراً عن غالي سلامتها . ليس له أن يتجاهل امر محاسن ، بعد أن تجاهلت هي امره . يجب أن يعلم عنها كل شيء .. ولكن .. ولكن هل يتصل بها هاتفياً ؟ .. هل يشخص بنفسه الى دارها ؟ .. واخيراً هل يسأل صديقتها انعام عنها ؟ .. وراقته الفكرة الاخيرة . سيسأل صديقتها انعام عنها . ويقف منها على اخبار صديقتها الوفية التي تعيش واياها في دار واحدة .. هذا هو الرأي الصائب القويم .

وأقام ابو العز يرقب المساء بفارغ صبر . في المساء ستحضر انعام الى عملها في الملهى وسيقف منها على كل شيء .. وأقبل المساء .. وجاءت انعام الى الملهى فوثب ابو العز اليها ليبدأها : « انعام ! كيف حال صديقتك محاسن ؟ » وارتسمت ابتسامة هازئة على شفقي الراقصة انعام توفيق ، وممت : « خير ان شاء الله . منذ امد بعيد لم تشرفها بالسؤال عنها » قال : « اردت ان اطمنن الى سلامتها » .

فانسمت الابتسامة الهازئة على شفقي الراقصة انعام، وهمست :
« العقبى لك، محاسن متزوج قريباً جداً » . فوجم ابو العز . هذه
البشرى التي تزفها اليه انعام لا تسر عدواً ولا صديقاً . قال :
« ألا تزال مفرمة بذلك الشاب القروي الحقيز ؟ » . قالت : « هي
ستزوج منه قريباً يا ابا العز . فليوفقها الله » . وسارت انعام في
سبيلها ووقف ابو العز على قلق وحيرة ووجوم .

يبدو ان الامر مهم وخطير ، وهو بحاجة الى معالجة سريعة
عاجلة . هو لن يقف مكتوف اليدين حيال الكارثة . لن يدع
الراقصة محاسن تفلت من يده « القضية فيها خراب بيوت ،
ايخسر محاسن الى الابد ؟ يخسر قلبها ، ويخسر جسدها ، ويخسر
زبائنه الكرام المعجبين بجيهاها الرائع الفتان ويخسر الوف الليرات
التي تندفق على صندوقه العامر بفضلها .. لا وألف لا . هو لم
يبلغ بعد حد الجنون ليقف مكتوف اليدين حيال الكارثة
الرهيبة الدهيئة التي تحيط به وتأهب للانقضاض على رأسه .
سيحول دون هذا الزواج مهما كلفه الامر من مشقة وجهد
وعناء ..

وجلس ابو العز وراء طاولة صغيرة في زاوية من زوايا ملهياه
الرحيب . وتادى اليه الخادم ليقول له : « هات كأس ويسكي
يا عبده » .. وانصرف عبده ليحضر لمولاه الويسكي ، في حين
راح ابو العز يفكر : كيف سيحول دون زواج محاسن ؟ .. كيف
سيعمل للاحتفاظ بها ؟ .. كيف ؟ كيف ؟ كيف ؟ .. وكان
الخادم قد جاءه بالويسكي فراح ابو العز يرشف الكأس على مهل

ويفكر .. وعزم على زيارة محاسن . مع مطلع الصباح سيكون
عندها في دارها ويقف منها على كل شيء . ثم يبقى لكل حدث
حديث ..

ونفض أبو العز ، وقد جرّع آخر قطرة من الكأس .
وشخص الى مكتبه من الملهى ليعود الى احتساء الخمر ، والى
التدخين والى التفكير .. وانقضى الشطر الاكبر من الليل
وأبو العز لا يزال جالساً على المقعد الوثير يدخن ويشرب
ويفكر ..

وبدأ الزبائن الكرام يتسللون من الملهى ، وبدأت الراقصات
والمطربات يخرجن وقد اعيامن السهر والشراب . واقفر الملهى
إلا من الخدم الذين راحوا يرفعون الموائد والمقاعد وينظفون
الارض ، وأبو العز ما زال في جلسته الواجحة الساهرة الحيرى .
وأبى أن يعود الى داره . لا ، هو لن يعود الى الدار ، وقد
قارب الفجر بزوغ . سيقضي الساعات القليلة في الملهى ، ينام
على « الصوفا » وينفض مع بزوغ الصباح لي شخص الى دار محاسن ،
ويصفي حسابه معها .

وتتدد أبو العز على المقعد الرجراج الطويل ، وحاول النوم ،
الا انه لم يستطع الى النوم سبيلاً . كيف تعرف عينا ابي العز
طعم الكرى وحبيته محاسن عازمة على الزواج وعلى الابتعاد
عنه ؟ .. سيسهر أبو العز حتى طلوع الصباح .

وسهر ، الا انه لم يستطع ان يسهر حتى مطلع الصباح . فقلبه
النعاس قبل الفجر بقليل واستسلم لسطان الكرى .. ونام

ابو العز ، قام ليستفيق مع بزوغ الشمس على بيروت . ونهض ليغسل وجهه ويسرح شعره ويرتدي ثيابه ويخرج من الملبى ليسير الى شارع الحمراء .. ولم ينس ان يعرج على المزين في طريقه الى دار محاسن ، فترين وتعطر وأكمل مسيره على بركات الله ..

ووصل الى دار محاسن والساعة تعلن التاسعة من الصباح . لقد تأخر ابو العز . كان عليه ان يصل قبل الساعة التاسعة . ووقف امام الباب يقرع الجرس . وخيل اليه ان رنين الجرس سيقطع على محاسن نومها . الا انه دهش وهو يشاهد محاسن تفتح له الباب بنفسها وقد ارتدت ثيابها الأنيقة .. ووجت محاسن ، وهي تشاهد ابا العز امامها . وهمست بدهشة واستغراب : من؟ ابو العز؟ ..

ودخل ابو العز الى الدار دون أن ينتظر من محاسن دعوته . فالدار داره والاهل اهله .. ولحقت به محاسن ، وهي تحسب هذه الزيارة المفاجئة الف حساب وحساب .. وجلس ابو العز في الصالون على مقعد رجراج وثير ، وجلست محاسن على مقعد تجاهه . وتمتمت وقد استقر بها المقام : « خير ان شاء الله يا ابا العز؟ ما هذه الزيارة المفاجئة في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح؟ » .

وأشعل ابو العز لفاقة نفث دخانها في الفضاء ليقول : انت لم تكوني تنتظرين زيارتي يا محاسن؟ أليس كذلك؟ . قالت محاسن بكل صراحة : « اجل يا ابا العز . انالم اكن لانتظر

زيارتك ، لا سيما في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح .
قال : « لقد اهاجني الشوق اليك يا محاسن فبحثت اطفئ
لهيب شوقي وحنيني » . فاشتد الوجوم بمحاسن نصار وأبو العز
يحدثها عن الشوق والحنين . وهمست : « شكراً شكراً شكراً
يا ابا العز » .

قال : « لماذا قطعت اخبارك عني يا محاسن . أهكذا يفعل
المقدمون على الزواج فينسون اصدقاءهم ويتبرأون منهم ؟ » .
قالت : « الحقيقة هي انني مرهقة بالاعمال يا ابا العز . ليس
لدي دقيقة واحدة من الوقت » . قال : « أراك قد نهضت في
ساعة مبكرة من الصباح . وليس من عادتك ان تنهضي من
النوم في مثل هذه الساعة يا محاسن . »

فارتسمت على شفتي محاسن ابتسامة هادئة . وهمست :
« الماضي مضى يا ابا العز . محاسن اليوم هي غير محاسن الامس » .
قال : « هل ستخرجين من الدار الآن ؟ » .
قالت : « اجل يا ابا العز » .

قال : « الى اين ؟ هل انت ذاهبة اليه ؟ » . فأومأت برأسها
مبشرة بالايجاب . وتمتمت : « اجل .. يجب ان اكون عنده في
الساعة العاشرة » . فرمق ابو العز الساعة المشدودة الى معصمه
بنظرة سريعة وهمس : « الساعة تشير الآن الى التاسعة والدقائق
العشر . ما زال امامك . تمتع من الوقت للوصول اليه » .

قالت : « يجب ان اسير الآن لاصل الساعة العاشرة .. »
وتتم ابو العز : « هل عزمتم على الزواج منه يا محاسن ؟ »

ومست : « اجل . ولن اراجع عما عزمت عليه » .
 فنفت صالح ابو العز دخان اللفافة في الفضاء وهمس : « وهل علم
 انك كنت راقصة ؟ » . فصمتت محاسن . ولم تجب بحرف ..
 وعاد ابو العز الى الكلام بعد صمت قصير ليقول : « يا محاسن
 انت مقدمة على مغامرة خطيرة . اسمي من صديقك ابي العز ،
 وقفي من المغامرة هند هذا الحد . ما لك وله يا محاسن . انت
 لن تستطيعي العيش معه في تلك القرية النائية الموحشة البعيدة .
 لقد تعودت حياة البذخ والشهرة والمجد والاسراف فهل تستطيعين
 ان تعيشي حياة الوحدة والانكاش والانفراد ؟ .. »

قالت : « لقد سئمت هذه الحياة التي احيهاها يا ابا العز ،
 سئمت حياة السهر والسكر والعريضة والجون . قلت لك وأعيد
 القول الآن : انا اريد ان ارتاح . اريد ان اكون زوجة مخلصه
 وأماحنونا . اريد أن أعيش كما تعيش اي امرأة شريفة . أنا
 سأتزوج من حبيب مرزوق يا ابا العز وسأتزوي معه في تلك
 القرية الهادئة الجميلة وأعيش حياة جديدة هانئة سعيدة » .

ووقفت محاسن . كأنها تقول لأبي العز : « أنا شاخصة اليه .
 تفضل بالخروج » كأنها تطرده من دارها .. وأمسك ابو العز
 بيدها ليقول : « اجلسي .. اجلسي .. لي عندك حديث طويل
 يا محاسن » .

وأبت محاسن أن تجلس . ومست : « لا يا ابا العز . دع
 حديثك هذا لوقت آخر . لقد تأخرت . لن استطيع البقاء
 دقيقة واحدة » .. فتمتم ابو العز : اسمي يا محاسن . انني

لأنصحك بعدم لزواج . اسمعي مني ولن تخسري .

قالت : « لقد سمعت منك ونزلت عند ارادتك السنين الطوال فاسمح لي الآن ان أخرج عن ارادتك . لقد اتخذت قرارى ولن اعود عنه .. »

وأدرك ابو العز انه عاجز عن ردها وعن العودة بها اليه ، فوقف ليقول : « ستندمين يا محاسن ، وأرجو ان يكون ندمك قبل فوات الاوان . »

فمدت يدها تصافحه مودعة وهي تقول : « اطمئن . لن اندم .. مع السلامة يا أبا العز . ادع لي بالتوفيق . » وصافحها . وسار دون ان يدعو لها بالتوفيق . ودون ان يلبس بحرف سار ابو العز وهو يفكر : عليه ان يرسم الخطة وأن ينفذها بحذر وسرعة وإتقان . وخرجت محاسن بعد قليل لتستقل سيارتها وتطير بها الى حبيب القلب والروح ..



١٨

وعلى الحب السلام

ام حبيب منصرفة الى تهيئة قهوة الصباح . فالساعة اشرفت على الثامنة من الصباح وهي لم تهيء القهوة للمحروس حبيب ... واذا بالباب يقرع .. وامرعت ام حبيب الى الباب تفتحه لتجد امامها رجلا في مطلع العقد الخامس ، اي في زهاء الخامسة والاربعين من العمر ، يحمل حقيبة جلدية صغيرة . وممس الرجل : « صباح الخير » وتمتمت ام حبيب : « صباح الخير يا ابني . تفضل » قال الرجل : « اكون في دار السيد حبيب مرزوق ؟ » قالت « وصلت .. امر ؟ » قال : « اكون السيد حبيب هنا ؟ » قالت : « ادخل . تفضل يا ابني ماذا تريد منه ؟ » قال : « انا صديقه . »

فافسحت له مجال الدخول الى الدار وهي تتمم : « تفضل » تفضل . اهلا وسهلا . اهلا وسهلا ، ودخل الرجل الى الدار القروية الصغيرة . ودعت ام حبيب الى الجلوس ، فجلس على الديوان الخشبي وراح يستعرض اثاث الدار ومقاعدتها وهو يضعكك . وممس في سره : « اهذه هي الدار التي ستعيش فيها محاسن ؟ .. »

يا تعتيرك يا محاسن على هالآخرة .

وانصرفت ام حبيب لندعو الخروس قائلة : « حبيب ا .
في الدار زجل يقول انه صديقك . تعال يا ابني . » وجاء حبيب ..
وما ان شاهد الرجل حتى وثب اليه يصافحه بجرارة . هذا هو
ابن عم والدة محاسن . لقد شاهده عندها في الدار ليلة عيد رأس
السنة . اسمه ؟ اسمه . صالح .. صالح ابو العز .. وممس حبيب
مرزوق وهو يصافح ابا العز : « اهلا ، اهلا وسهلا بالسيد صالح .
لقد شرفتنا بزيارتك يا سيدي » .

ومد ابو العز يده يصافح حبيباً متمتماً : « لقد وعدتك
بزيارة ايها السيد حبيب وما انا ابر بوعدتي الا انني ابكرت في
الحضور . كنت هنا في القرية المجاورة في زيارة احد الاصدقاء .
ورأيت ان امر بك وأقوم بزيارتك » . فعاد حبيب الى التمتة :
« اهلا وسهلا . اهلا وسهلا . تفضل تفضل » .. وجلس ابو العز
وهو يحتضن بمحذر الحقيبة الجلدية الصغيرة . وجلس حبيب
قريبه .. ودار الحديث بينها كما تدور الاحاديث بين الاصدقاء ،
« كيف الحال ؟ كيف الصحة ؟ كيف الاعمال ؟ » ، ولم تلبث
أن أطلت أم حبيب حاملة لها القهوة ..

ووقف حبيب يقدم الضيف الكريم لوالدته : « حضرته
السيد صالح ابو العز ابن عم والدة محاسن يا أمي » ، ومدت
العجوز يدها المرتجفة الباردة تصافح « ابن عم والدة محاسن »
هامسة : « أهلا وسهلا . أهلا وسهلا » .. وقدمت له القهوة ،
وجلست قريبه ترشف القهوة .. ورشف حبيب القهوة وساد

الصمت برهة بينهم .

وأخيراً قطع ابو العز حبل الصمت ليقول : « كيف حال محاسن ايها السيد حبيب ؟ » ، فتمتم حبيب : « هي بخير والحمد لله » . قال ابو العز : « انا لم أشاهدها منذ تلك السهرة العامرة . ولكنني أتفسم أخبارها من الاصدقاء والاقارب . لقد علمت أنكما عزمتما على الزواج؟ فمتى ستم فرحتنا بكما؟ » . قال حبيب : « بعد أسابيع قليلة ايها السيد صالح . بعد ان ينشر الربيع وشاحه الاخضر الريان على هذه الربوع . وستشرفنا وتشاركنا فرحة العرس ايها السيد صالح » . قال ابو العز : « بكل تأكيد ايها السيد حبيب » . قال ابو العز هذا ثم رشف القهوة ، ومع اللقافة ونفت الدخان في الفضاء وممس : « ان نسيبتي محاسن من خيرة النساء . ستسعد في قربها يا حبيب . هي تحبك . انا اعلم انها تحبك وتتفاني في حبك . ولو لم تكن تهيم بك هيأماً شديداً لما ضعت بشرتها وبفنها من اجلك » .

فوجم حبيب مرزوق ، ودهشت أمه . ماذا يقول هذا الرجل؟ ما هي هذه الشهرة التي ضحت بها محاسن؟ وما هو ذلك الفن؟ . وشاهد ابو العز الدهشة والوجوم يرتسمان في العيون الاربع ، في عيني حبيب وفي عيني امه فتابع كلامه ليقول : « ان محاسن راقصة عالمية لها شهرتها في عالم الفن » . وتحول الوجوم في عيني حبيب مرزوق الى ذعر ... وجحظت عينا الأم المعجوز ..

وفتح ابو العز الحقيبة الجلدية وأخرج منها بعض الجملات

الفنية وبعض الصور والاعلانات ليلقي بها امام حبيب قائلاً :
« انظر .. انظر صورها يا حبيب في بدلة الرقص .. واقرأ ..
اقرأ ماذا تكتب المجلات والصحف عنها .. اقرأ .. ماذا تقول
هذه المجلة : « الراقصة العالمية محاسن نصار » .. ونظر حبيب
مرزوق وشاهد .. ماذا نظر ؟ وماذا شاهد ؟ لقد شاهد محاسن
وهي شبه عارية . ذراعها العاريتان مرفوعتان في الفضاء .
وصدرها العاري يتلألأ تحت عقد ثمين . وفخذاها العاريان
- ايضاً - يعرضان جماهما لكل ناظر غريب او قريب ، وجسدها
يبرز من تحت ذلك الثوب الشفاف المفصوح ..

واشتد الذعر بحبيب مرزوق وهو يشاهد تلك الصور .
ووجت امه . هل يمكن هذا ؟ محاسن ؟ الفتاة الطاهرة البريئة ،
المهذبة ، الورعة راقصة ؟ .. وهذه الصور المنشورة صورها
بين يدي ابنها ؟ مستحيل مستحيل مستحيل ..

وعاد ابو العز الى الكلام ليقول . « هل آمنت الآن بأن
محاسن فتفاني في حبك يا حبيب ؟ .. هل صدقت كلامي . لقد
ضمت بكل شيء من اجلك » .. ولم يجب حبيب مرزوق . لم
يستطع أن يجيب بحرف . لم يستطع أن يفوه بكلمة . كان ينتفض
كأنه عصفور ذبيح ، كان يرتعش كأنه ورقة في مهب الرياح
الماصفة الهوجاء اما امه فكانت تستعرض تلك الصور والدموع
تترقق في عينيها . هي لا تصدق ان هذه الصور العارية هي
صور محاسن المحتشمة الورعة التقية المهذبة الوقور . لا تصدق .
لا تصدق ..

ونفض ابو العز .. لقد انتهت مهمته . لقد ادى رسالته بكل امانة وصدق واخلاص ، فليعد ادراجه .. وتمم ابو العز وهو يمد يده ليصافح حبيباً وامه : « الى اللقاء . ارجو لك يا حبيب ولتسيبني محاسن كل سعادة وتوفيق وهناء » . ويبعد مر تجفة صافح حبيب مرزوق ابا العز دون ان يفه بجملة .

وخرج ابو العز .. عليه أن يسرع بالرحيل قبل أن تطل محاسن . من المؤكد ان محاسن في طريقها الآن الى القرية ، عليه أن يعود ادراجه ويتوارى قبل وصولها . وسار ، سار في الطريق الضيق المحفوف بالاغصان الوارفة .. واذا به امام محاسن . كانت محاسن مقبلة من بعيد . لقد ابكرت محاسن نصار في الحضور اليوم على غير عاداتها . فكأن قلبها كان يندرها بوقوع الكارثة المفجعة .. وشاهدت محاسن ابا العز من بعيد فارتعدت ، وارتعشت ، وذعرت : ماذا جاء يفعل ابو العز هنا ؟ اتراه جاء ليهدم سعادتها وينثر املها واحلامها هباء في الفضاء ..

وجدت في المسير ، واسرعت في الطريق الضيق الطويل . واصطكت ركبناها وهي تعدو ، ووهنت عزائمها . واخذت ترتجف .. واقتربت من ابي العز . وتمتت وقد وصلت اليه : « ماذا جئت تفعل هنا ؟ » وبكل هزه وسخرية تسم ابو العز : « جئت ازور نسيبي ، هريسك يا نسيبي الحبيبة » وصرخت به : « ماذا فعلت يا مجرم ؟ ماذا فعلت ؟ » ولم يفه ابو العز بحرف ، بل هو تابع سيره بكل هناء واطمئنان .. وهرولت محاسن مسرعة الى دار حبيبها .. ووصلت الى الدار ، واقتحمت

الباب .. ودخلت .. وكان حبيب واقفاً والدموع تجول في عينيه. وكانت امه جالسة وهي مقبضة الحاجبين عابسة الوجه دامعة العين .. ووقفت محاسن امام حبيب كما يقف المحكوم بالاعدام امام جلاده ..

وكانت محاسن ترتجف كأنها ريشة في مهب الهواء . كان كل عضو من اعضائها يرتجف . وجهها ، يداها ، قدمها ، شفتاها ، عيناها ..

وساد الصمت ارجاء الدار . لم يستطع احد منهم أن ينطق بحرف .. ورمقت محاسن الصور والهجلات المبعثرة على الديوان وفي الارض .. وادركت كل شيء .. ابو العز حمل صورها العارية وعرضها على حبيب واطلمه على كل شيء .. وطال وقوفها امام حبيب دون ان تستطع التفوه بحرف . وطال وقوف حبيب امامها .. واخيراً هم حبيب بالمسير ، هم بالخروج من الدار دون ان يلتفت اليها .. ووثبت اليه . واعتضت سبيله واستطاعت بعد جهد ان تتكلم وهي تبكي . وقالت : « حبيب ارحمني يا حبيب . اغفر لي جريمتي اليك . ساعني يا حبيب » .. ولم يلتفت حبيب اليها . وعاد بهم بالمسير فما كان منها إلا أنها جثت على قدميه وتمسكت برجليه واخذت قولول : « حبيب !.. حبيب !.. حبيب ! لا تتركني يا حبيب . لا تهجرني . لا تبعد عني . دعني اعيش خادمة عندك . دعني امسح حذاءك وانظف دارك واغسل ثيابك .. ارحمني يا حبيب ارحمني . ارجوك . ارجوك يا حبيب لا تفجعني بقلبي وتفضي

هليّ .. حبيب .. حبيب ..

ولم يلتفت حبيب اليها بل هو انزع قدميه من بين ذراعيها
وسار .. وخرج من الدار لا يلوي على شيء .. وانطرحت
محاسن على الارض تقبل موطأ قدمي حبيب وتفسله بدموعها ..
ونفضت ام حبيب لتقترب منها فترقمها عن الارض هامسة :
« انهضي يا ابنتي .. انهضي .. » ونفضت وهي تبكي. وهمست ام
حبيب وهي تدعوها الى الانصراف : « مع السلامة يا ابنتي. ليس
لك مكان في هذه الدار .. مع السلامة يا محاسن. مع السلامة .. »
وسارت محاسن .. وخرجت من تلك الدار الهائنة التي شاهدت
فيها اجمل ايام حياتها .. وشخصت الى سيارتها بقدمين واهبتين.
وهي تجيش بالبكاء كالاطفال .



حبيب مرزوق يقيم على ألم وحزن وشجن وأسى ودموع ..
 فالكارثة النازلة به هادمة عاصفة هوجاء . والاحداث التي
 مرت به هدت قواه وأسالت دموعه وأذابت فؤاده الهائم
 الولوج ..

وبكى حبيب .. بكى بدموع قانية حمره ، وقد وقف على
 الحقيقة الراهنة . وطفح حبيب مرزوق الى البراري والقفار
 والاحراج ليذرف كل ما في مقلتيه من دموع . فهو يريد ان
 يبكي دون ان يبيح لأحد مشاهدة دموعه . لا ، حبيب مرزوق
 لا يريد ان يشاهد دموعه احد . هذه الدموع المقدسة لا تباح ،
 وحبيب يأبى ان يسكب الدموع على مرأى من ابناء القرية
 وبناتها . هو لن يبكي امام الاهل والاصدقاء والدموع لم تخلق
 إلا للنساء ..

وكان حبيب مرزوق يجلس في تلك الاماكن الهادئة الساكنة
 التي كان يجلس فيها قرب محاسن ، ويحدق بتلك الصخور التي
 كانت محاسن تجلس فوقها ، ومن خلال دموعه المترقرقة في

مقلتيه يشاهد محاسن ، يشاهدها بعين الخيال جالسة على تلك
الصخور تبسم له وتسكب في اذنيه كلمات الحب والهوى
والغرام .. وتطفّر الدموع المترقرقة في عيبيه لتنسكب غزيرة
على وجنتيه ، ويطول تحديقها بطيف محاسن المتمايل أمام بصيرته ،
ويهمس ، وهو لا يدرك ولا يعي ولا يحس : « محاسن ! .. ماذا
فعلت بي يا محاسن؟ لماذا خدعتني يا محاسن ؟ لماذا كذبت علي؟ »
ويستفيق فجأة . ويعود الى رشده ، ويمسح دموعه وينهض
هامساً في سره : « ما بي ؟ أأكون قد فقدت عقلي ؟ أيكون
الجنون قد عرف طريقه الى رأسي ؟ » . ويسير ، يسير ليطوف
تلك الغابات والاحراج والكروم والبساتين والحقول التي كان
يسير فيها مع محاسن ، وأينا سار ، وأينا اتجه ، يشاهد طيف
محاسن أمام عينيه . ويتألم حبيب ويشقى ، ويتعذب ، ويعود
الى البكاء .. كان حبيب مرزوق في حال تفتت الأكباد . كان
يقضي نهاره في الذكريات وفي البكاء ، ويقضي ليله ساهراً يدخل
ويفكر ويبكي ..

ولم يكن ليصدق ان تلك الاحداث التي مرت به قد مرت
به . لم يكن ليصدق ان محاسن راقصة تعرض جسدها العاري
كل ليلة من فوق المسارح على العيون النهمّة الجائعة العطشى ..
هل يمكن هذا ؟ محاسن ، الفتاة المهذبة الورعة التقية الخجول ،
راقصة ؟ لا ، مستحيل . مستحيل . هذا وهم يسيطر عليه ،
هو مجنون . لقد فقد عقله ..

ويهم حبيب في الخيال ، ويحاول ان يقنع نفسه بأنه مجنون .

الجنون لديه افضل من الاعتراف بالحقيقة . الجنون أهون عنده
من الاقرار بأن محاسن راقصة . لانه لا يفقه ..
وبحاول حبيب كشف السر العميق فيضيع : إنه لا يفقه
شيئاً ولا يعي شيئاً . ويهمس في سره .. محاسن ليست راقصة ،
انها ابنة تاجر كبير ، وهي تعيش مع ابنة خالها .. لا . لا .
وألف لا . محاسن لا تبيح للعيون النظر الى جسدها العاري .
هي لا ترقص ولا تسهر ، ولا تسكر واكن .. الصور
والمجلات والصحف التي حملها لي صالح ابو العز ؟ ماذا تعني ؟
ويعود الى الانغماس في التفكير العميق المدى ، البعيد
القرار .. ويهمس في سره مجدداً : « ألا يجوز ان يكون
صالح ابو العز مراوغاً مخادعاً منافقاً شريراً ؟ ألا يجوز ان
يكون قد وقع على راقصة شبيهة بمحاسن . فحمل صورها اليه
ليوهمني انها محاسن نفسها ؟ صحيح .. كل شيء يجوز .. »
ولكن .. « وتعود كلمة - ولكن .. - الى التردد في نفس
حبيب لتلسمه بسوطها القاسي الرهيب .. ولكن . ولكن
بكاء محاسن وجثوها على قدميه وبكاءها واستعطافها
واسترحامها .. ماذا يعني كل هذا ؟ .. ألا يعني انها منذبة ، وأنها
مخادعة كاذبة منافقة مجرمة ؟ ألا يعني انها خدعته ، وأنها
عبثت بقلبه وغدرت به ؟ . ألا يعني انها اوهمت بأنها فتاة طاهرة
شريفة وما هي سوى راقصة تعرض جسدها العاري على
السكرارى وعلى المريردين المقامريرين الفاسقين ؟ . أجل . أجل .
هذه هي الحقيقة الناصعة البياض . فلماذا يكابر ؟ ولماذا يعاند ؟

ولماذا يحاول ان يقنع نفسه بما هو بعيد كل البعد عن الواقع
المشهود ؟

ويعود حبيب مرزوق الى البكاء والى العذاب . ويهمس في
سره وهو يمسخ دموعه : « ليتني لم اتعرف اليها .. » ويحاول
حبيب ان ينسى محاسن ، يحاول أن ينسى تلك الايام الهائلة
الباسمة الجميلة التي عاشها قرب محاسن ، يحاول أن ينتزع همساتها
الشجية من اذنيه وصورتها من عينيه ، يحاول أن يبعد طيفها
عن سادته فيعجز ، فكأن حباها اقوى منه ، كأن همساتها الخائفة
الحلوة تحولت في اذنيه الى قصف ورعد ، كأن صورتها
لاصقة في حدقتي عينيه ، كأن طيفها مارد جبار لا تستطيع
قوة أن تزعه وتزيحه عن سادته المبللة بالدموع ..

ويضع حبيب في آهاته ولوعاته وأنيته ودموعه. ويتمنى لو ان
الموت يخذ انقاسه ويريجه من هذه الحياة المرة القاسية السوداء ،
يتمنى لو ان القدر يخذ شعلة الحياة في جسده ، ليخمد معها نار
الحب المتدلعة في روحه . يتمنى لو ان الايام توقف نبضات هذا
القلب الخائف المعذب الالوع ليتخلص منه ومن سعيره وشوقه
وحنينه .. يتمنى حبيب مرزوق كل هذا الا انه لم يكن لينال ما
يصبو اليه وما يتمنى . فالحب ، حب محاسن ، لم يكن الا ليزيد
اضطراباً في حنايا فؤاده . وطيفها لم يكن لينأى عن سادته
طيلة الليل . فهي في قلبه وروحه وعقله ونور عينيه . كلما حاول
ابعاد طيفها عنه ازداد ذلك الطيف اقتراباً منه ، وكلما حاول
اخماد نار الحب في قلبه ازددت تلك النار اندلاعاً وسعيراً .

وساءت صحة حبيب مرزوق، ولزم الصمت، فلم يكن يفوه بكلمة . وقد كان بالامس القريب حلو الحديث سريع الخاطر ، مرن اللسان . وانقطع عن العمل ، فهو لم يعد يستطيع تقليم اغصان الاشجار ، وحرارة الارض والاعتناء بالكرم والحقل والبستان . فكان اذا ما شخص الى البستان شاهد محاسن في كل شجرة من اشجاره وفي كل غصن من تلك الاشجار . واذا ما سار الى الحقل تراءت له محاسن في كل ذرة من ذرات تراب ذلك الحقل . واذا ما ذهب الى الكرم راي محاسن في كل دالية من تلك الدوالي المترامية في ذلك الكرم الفسيح الارجاء ..

ويعود الى الدار ليجدها هناك ، جالسة في كل زاوية من زوايا تلك الدار . ويغمض عينيه ليبغدها عنه فاذا بها في اغماضة عينيه .. وأيقن حبيب انه لن يستطيع الهرب منها الا الى القبر . اتراه يجدها هناك بين حنايا الضريح المظلمة السوداء اذا ثوى في الضريح ؟ .

وكان الالم الشديد يعصف بفؤاده كلما فكر بها ، وكانت الذكريات المؤلمة الرهيبة تعذبه عذاباً مبرحاً شديداً ولذلك فقد كان يريد أن يتخلص من حياته ليتخلص من عذابه . إلا أنه لم يستطع لا أن يتخلص من حياته ولا أن يتخلص من عذابه .. وفكر حبيب مرزوق بالانتحار .. الانتحار ؟ .. اجل . الانتحار . يشرب السم او يطلق رصاصة واحدة على رأسه او يزمي بنفسه من قمة الجبل العالية الى اسفل الوادي فيصل الى الوادي السحيق جثة مهشمة لا حياة فيها ولا روح .. و .. و ..

وينتهي كل شيء ...

وخيل اليه انه توصل الى حل للمعضلة .. ينتحر وينتهي كل شيء .. ينتهي كل شيء؟ .. من قال له ان كل شيء ينتهي عند باب القبر؟ .. من قال له ان حياة الانسان تنتهي بالموت؟ من قال له ان عمر الانسان ينتهي عند انفصال الروح عن الجسد؟ .. اجل ، من قال له كل هذا؟ .. ألم يعلمه الدين ان هناك حياة ابدية لا نهاية ولا حدود لها؟ .. ألا يؤمن بخلود الروح وبعذابها وبنعيمها بعد الموت؟ .. هل ينتهي الانسان بالموت؟ .. هل يرتاح وقد مدت فيه وانطفأت تلك الشعلة التي يسمونها الحياة؟ .. والجحيم؟ .. والنعم؟ .. والدينونة؟ .. والمعقاب؟ والثواب؟ كل هذه الامور والاسرار الهائلة الغامضة الرهيبة هل يتناساها ويففل عنها ..

ثم ، ثم أليس الانتحار جريمة يعاقب عليها الله في الآخرة عقاباً هائلاً شديداً؟ وهل هناك عذاب في الحياة يضاهي عذاب الجحيم؟ .. فكيف يشترى عذاب الآخرة الرهيب الخالد بعذاب الارض التافه الفاني؟ .. ان المؤمن لا يفكر بالانتحار . وهو يعلم يقيناً ان ليس للانسان ان يطفىء الشعلة التي اشعلها الله ، ولا أن يخدم النفس الذي ألهبته يد الرب العلي العظيم ..

وخاف حبيب مرزوق وارتعد ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد . ومس في سره : يا رب ، يا اله السماوات والارض اغفر لي خطيئة تفكيري . عفوك عني يا اله السماوات والارض .. ورأى حبيب مرزوق أن يستسلم لمشيئته تعالى . هذا كل ما

يستطيع الانسان أن يفعل على هذه الارض الفانية . الاستسلام
لمشيئته تعالى عز وجل : لتكن مشيئتك يا رب .. واستسلم
حبيب لمشيئة الله .. ومضت الايام به ثقيلة رهيبة خيفة . فالآلام
ترداد اضطراراً في قلبه ، والذكريات ترداد اندفاعاً في رأسه ،
والآلم يزداد عبثاً على جسده الواهي النحيل

وشعر حبيب بالعباء يعصف في جسده . لقد بدأ ذلك الجسد
الندي الشباب ينوء تحت عبء الآلم وثقل الذكريات ، ولم يأبه
حبيب للعباء الشديد العاصف به . لا ، لم يأبه ولم يهتم له . ماذا
سيحصل ؟ .. ماذا سيكون اذا اشتد به العباء ؟ .. سموت ؟ ..
حسناً . الموت بات حبيباً الى قلب حبيب ..

إلا أن تفكير ام حبيب كان يختلف عن تفكير حبيب .
فقد خافت الام وذعرت وقلقت شديد القلق ، وهي تشاهد
ابنها يذوب في ألمه كما تذوب الشمعة في نورها الواهي الضئيل .
ولم تبعث ام حبيب عن السبب ، فهي تعلم السبب ، تعلم أي
عذاب رهيب خفيف يعصف بابنها ، وتعلم وتدرك هول الكارثة
الهادمة الكاسحة النازلة بحبيب . لقد صدم حبيب بقلبه ، فجع
بجبهه فعمجز ذلك الجسد . عن الصمود في وجه الصدم وعن احتمال
الفاجعة .

وخشيت المعجوز أن تخسر ابنها ، خشيت أن تفقد وحيدها
ورأت أن تعمل لدبره الخطر المحيط بحبيب فوثبت اليه ذات
صباح لتقول : « حبيب ! .. انا لم اعد استطيع القيام بواجباتي
المنزلية . امك يا حبيب لم تعد قادرة على تنظيف الدار ولا على

غسل الصحون والثياب ولا على طهو الطعام . لقد أصبحت امك بحاجة الى مساعدة للقيام بأعباء الدار يا ابني . »

فتجاهل حبيب مرزوق ما ترمي اليه امه . وهمس : « سأبحث لك عن خادمة تساعدك في اعمالك يا امي ، وتمنت الام : « لا يا ابني لقد قضيت عمري في القيام بأعمال هذه الدار دون ان استعين بخادمة انا لن ارضى بأن استعين بخادمة » .

قال : « انت الآن غيرك بالامس يا امي . لن تستطيعي القيام بالعبء الثقيل وحدك . يجب ان تستعيني بخادمة » . قالت : « انا لن أستطيع القيام بالعبء . هذا صحيح ولكن الاستعانة بالخادمة امر لن اوافق عليه » .

وصمت حبيب . وهو لا يجهل ماذا تريد امه .. وعادت الأم الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : « ابسداً . انا لن ارضى بالخادمة . اذا كان لا بد من مساعدة ، فلن تمد لي يد هذه المساعدة إلا زوجتك » . وهمس : « لا يا امي . ابنك لن يتزوج ، سيظل العمر كله هكذا بدون زواج ، بعيداً عن النساء وعن همومهن ومصائبهن وكوارثهن » .

فأجفلت ام حبيب . وضربت صدرها بكفها لتقول : « تقبر امك يا ابني . أتريدني أن اموت دون ان افرح بك ودون ان اشاهد احفادي يدرجون في هذا الدار ؟

قال : « لقد اتخذت قراري ولن اعود عنه . انا لن أتزوج » . فتقدمت ام حبيب من ابنها لتقول : « يا ابني يا حبيب ، اذا كنت ما زلت تفتظر عودة محاسن اليك فان انتطارك



سيطول .. سيطول انتظارك العمر كله يا ابني . محاسن لن تعود اليك . لقد قضت أياماً هائلة معك ، كما قضت مثل تلك الايام مع غيرك قبل أن تتعرف اليك ، وكما تقضي الآن اياماً هائلة مع سواك .

فانتفض خبيب وأمه تبدي رأيا الصريح بالراقصة محاسن ، وأدرك انه لن يستطيع الدفاع عنها . امه على حق ، وهو نفسه من رأي امه ، الا أنه أبقى أن يسمع الاهانة تنزل بمحاسن

فهمس : « ما لنا ولها يا امي . أنا لم أعد أفكر بها . ولا أنتظر عودتها الي كما تتوهمين » .

قالت : « ولماذا لا تريد الزواج اذن ؟ .. »

قال : « لقد قلت لك . أنا اتخذت قراري ولن أعود عنه » .
قالت : « حبيب .. المصائب كثيرة في هذه الحياة يا ابني ، وليس لنا ان ننقم على الحياة كلما دهمتنا كارثة . ان الاقدار تضربنا بكارثة بينماها لتتلقانا وتنتشلنا من تلك الكارثة التي ضربتنا بها بيسرها . لا تيأس يا ابني . تشجع يا حبيب ، وانظر الى الحياة بعين الامل والجرأة والشجاعة » .

ولم يحب حبيب ، بل هو مضى في صمته المومج الحزين ، وعادت الام الى الكلام لتقول : « حبيب . الفتيات اللواتي يتمنين الزواج منك في هذه القرية كثيرات . فهناك جميلة ابنة المختار ، وهناك حنان ابنة خالتك ، وهناك نجبية ابنة المعلم تصور ، وهناك جارتنا بسمة ، وهناك سميرة ابنة عبد الله مسعود . ما لك الا ان تختار احدهن يا حبيب » .

وعاد حبيب الى التمتمة : « لن أتزوج . لن أتزوج » . وعادت الام الى محاولة الاقناع قالت : « يجب ان تنسى هذه الراقصة يا حبيب . احمد الله يا ابني وأشكره لانك وقفت على حقيقتها قبل الزواج . وماذا كنت ستفعل لو انك وقفت على هذه الحقيقة بعد الزواج ؟ .. لقد أنقذك الله من كارثة كبرى يا ابني . فالشكر والحمد له تعالى » .

ولم يحب حبيب بحرف ، بل هو م بالمسير فما كان من امه

إلا ان أمسكت بيده تحول بينه وبين المسير لتقول : « هليلك
ان تختار عروسك الآن . وانا سأشخص الى والدها وأطلب
يدها . » فارتسمت على شفقي حبيب ابتسامة واهية صفراء مثل
شمس الحريف .

ومس : « اتركي لي مجال التفكير يا أمي . انا الآن ، لا
اريد الزواج قد استطيع ان اغير رأيي يوماً ، . قال حبيب
هذا ليتقي إلحاح امه واصرارها ، إلا انه كان على يقين من انه
لن يغير رأيه ، ولن يتراجع عما عزم عليه . هو لن يتزوج . لن
يقع في الشرك مرة ثانية . لن يفكر بفتاة ، لن يركن لامرأة ..
هكذا سيميش العمر كله بعيداً عن النساء وعن الزواج ، وعن
الهم والألم والعذاب . هو سيعمل جاهداً الآن للتخلص من
ذكرياته ، ومن دموعه وشجونه وآلامه . سيعمل على تضמיד
ومعالجة جراح قلبه وروحه ولن يسعى لنبش تلك الجراح ولا
لإثخان القلب والروح بجراح جديدة ، فجراحه القديمة لا تزال
تنزف دماً حتى الآن ..

وسار حبيب مرزوق ، وخرج من الدار ليشتخص ، كما دته ،
الى الاحراج والحقول والكزوم والبساتين ولينصرف ، كما دته
ايضاً الى التفكير بمجيبته معاسن ، والدموع تقمر مقلتيه
والجراح تؤلم روحه وتعبت بجنايا قلبه الهائم الولوج .

لم يستطع حبيب مرزوق ان ينسى حبيبته محاسن نصار ،
 لم يستطع أن يطرد حبها من قلبه ، ولا هو استطاع ان يبعد
 طيفها عن وسادته ، ولا استطاع ان يتخلص من ذكرياته المؤلمة
 الرهيبة الدامية ..

هزل جسده ، وساءت صحته ، ووهنت قواه ، واشتد
 الذعر بأمه وهي تشاهده في ذبوله ونحوه وغيبائه ووهنه
 وهزاله .. وخشيت الأم المعجوز ان تفقد وحيدها ، خشيت ان
 يفتك الالم به وان يقعد به المرض عن كل حركة وعمل ..

وراحت ام حبيب تبحث عن الدواء . الدواء الشافي الذي
 يستطيع ان يعيد لابنها الصحة والعافية والنشاط .. وأم حبيب
 كانت تعرف الداء ، بقي ان تصف الدواء .. الداء هو ابعاد
 محاسن عنه .. والدواء ؟ .. ما هو الدواء ؟ .. الدواء معروف
 اما ان يتزوج حبيب من فتاة مخلصه وفيه جميلة تستطيع ان
 تنسيه محاسن وحبها . واما ؟ . واما ماذا ؟ .. واما ان تعود
 محاسن اليه ..

ووجت ام حبيب وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد ..
تعود محاسن اليه ؟ هل يمكن هذا ؟ .. لا . لا . مستحيل .
محاسن نصار راقصة ، أيتزوج حبيب من راقصة ؟ . مستحيل .
مستحيل ، والف مستحيل . هذا لن يكون . ليس راقصة ان
تكون زوجة لحبيب ، ليس لراقصة ان تحتل دارها على الرحب
والسمة . ان الله تعالى لن يرضى عن هذا الحسل . ولكن عودة
محاسن تنقذ حبيباً . من المؤكد ان حبيباً سيفشى ان تخلص
من شوقه وحنينه وذكرياته . عليها اذن ان تختار اما ان تعود
محاسن ، واما ان تفقد حبيباً ..

وذعرت الام المعجوز وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد ..
هل تفقد ابنها ؟ اجل . اجل ، كل ما هناك يشير الى ان حبيباً
يسرع الخطو في الطريق المظلم الموحش الرهيب .. لا . لا . هي
لن تفقد حبيباً ، وحبيب لديها الدنيا بأسرها . كل شيء يهون
لديها شرط ان يظل ابنها امام عينيها . اذا كانت عودة محاسن
تشفيه ، فلتعد محاسن وأهلاً وسهلاً بها ..

ولكن ، ولكن لماذا لا تعود الى محاولة اقناع حبيب بالزواج
من احدى بنات القرية ؟ اذا تكلفت مساعياً بالنجاح تكون
المعضلة قد حلت ، واذا لم تكمل تلك المساعي بالنجاح المأمول
ستعتمد الحل الثاني ، تسعى لاعادة محاسن الى حبيب .

اطمأنت ام حبيب بعض الاطمئنان ، وشخصت الى ابنها
والابتسامة تشع على شفتيها لتقول : « على ماذا عولت يا حبيب
يا ابني ؟ هل شاورت عقلك ؟ لقد تركت لك مجال التفكير كما

طلبت . هل فكرت بالامر؟ وهل استطعت ان تختار الفتاة التي ستشاركك الحياة يا حبيب ؟

وعادت الابتسامة الواهية الصفراء تلمع على شفي حبيب مرزوق الذابلتين ، وممس : « لا يا امي . لا ، انا لا ازال عند رأبي . لن اتزوج . »

فأمسكت ام حبيب بيد ابنها الباردة لتقول : « يا ابني يا حبيب . اذا كنت لا تزال تحب محاسن ، فلا بأس من أن تتزوج منها . »

فوجه حبيب مرزوق . ماذا تقول امه ؟ .. هل جنت ؟ .. هل فقدت عقلها ؟ أيتزوج من راقصة ؟ .. لا ، لا ، وألف لا . وعادت الأم الى الكلام لتقول : « يا ابني يا حبيب انا لا اخفيك انني كنت احب محاسن كما تحب الأم ابنتها ، وقد لاح لي انها فتاة مهذبة تقية ورعة . يمكنك يا حبيبي يا ابني ان تقمض عينيك عن الماضي ، وأن تجوز عن هفوتها في اخفاء حقيقتها عنك وأن تتزوج منها وتميش وإياها عيش الازواج السعداء . »

وتجهم وجه حبيب ، وقطب حاجبيه وظهر الغضب جلياً في عينيه وعمم : « لا اريد ان اسمع باسمها . لا تذكرني هذا الامم امامي يا امي مرة ثانية . » فجلست ام حبيب قرب ابنها لتقول : « انت لا تزال تحبها يا ابني . حبها سيقتلك يا حبيب . ليس لك الا ان تتزوج منها لتخلص من عذابك . » قال باصرار : « لا . لا . انا لن اعود اليها ولن اسمح لها بأن تطلأ عتبة هذه الدار . » قالت : « اذن اختر فتاة من بنات القرية

وتزوج منها . فنهض ليقول : « لا . لا انا لن اتزوج ، لا من محاسن ولا من غير محاسن لا اريد ان اتزوج لا اريد » .
واشتد الغضب به .. وسار ، وخرج من الدار لا يلوي على شيء فكانه يريد ان يهرب من اسم محاسن ، هذا الاسم الذي يخدش اذنيه ويعذبه ويبعث في صدره الذكريات المؤلمة الرهيبة ..
ولجأ الى الغابة الكثيفة الخضراء . هو يريد ان يخلو بنفسه وان ينفرد بذاته ، وأن يفكر ويحزن ويبكي ..

وسار بقدمين واهيتين الى الغابة .. ووصل ، وجلس فوق تلك الصخرة الوادعة التي كانت تجلس عليها محاسن .. وشعر بحنين بعيد اليماء ، شعر بأنفاسها تهب حوله مع النسيم العليل ، وتراءت له كعاداتها بعين الخيال ، فشاهدها تبسم تلك الابتسامة الصافية البيضاء ، وكاد يسمع كلماتها تنسكب في اذنيه على رقة وعطف وشوق وحنين .. وبدأت الدموع تنساب من عينيه لتتصدر غزيرة على وجنتيه ، وممس في سره وهو يبكي :
محاسن ! .. لماذا فعلت بي هكذا يا محاسن ؟ .

وراح يفكر .. ماذا عليه ان يفعل الآن ؟ لقد حاول ان ان ينسى محاسن وان ينسى حبها فبعجز ، هو لن يستطيع ان ينسى ، لن يستطيع ان يعتمد عن تلك الذكريات المؤلمة الهائلة المخيفة . هو ما زال يحبها .. يحبها ؟ .. لا ..

وانتفض حبيب مرزوق ، وعاد الغضب يطل من عينيه وممس : لا . لا . لا انا لا احبها . ليس لمثلها طريق الى قلبي ..
ولكن ما معنى هذا الألم الدفين الجاثم في قلبه ؟ .. ما معنى هذا

الحنين الرابض على روحه ؟ ما معنى هذه الدموع المناسبة من
عينيه ؟ .. ما معنى كل هذا ؟ .. انه ما زال يحبها فلماذا المكابرة
والعناد ؟ .

وتذكر .. تذكر كلام امه منذ دقائق قليلة .. ماذا قالت
امه ؟ .. لقد قالت له، انت لا تزال تحب محاسن يا ابني . حبها
سيقتلك يا حبيب . ليس لك الا ان تتزوج منها لتخلص من
عذابك .. هذا الكلام كلام امه . قد تكون امه على حق ..
ولكن . ولكن هل يستطيع ان يتزوج منها وان يحلها من قلبه
ومن داره على الرحب والسعة ؟ وماضيها ؟ وهفوتها ؟ وكذبها
عليه ونفاقها ؟ وخداعها ومكرها وخبثها ؟ هل يستطيع ان
ينسى كل هذه الاساءات التي رمتها بها محاسن ؟ .

وعاد كلام امه يتجاوب في اذنيه .. لقد اشارت عليه امه بان
يفمض عينيه ويتناسى الماضي .. فهل يستطيع ان يفمض عينيه
وينسى الماضي .. ويتزوج من محاسن ؟ هل يستطيع ، اذا تزوج
من محاسن ، ان ينسى انها كانت راقصة تعرض جسدها العاري على
السكري والمهربين والمغامرين ؟ هل يستطيع ان ينسى انها
خدعته وكذبت عليه وارهمتته انها ابنة تاجر كبير ؟ .. هل
يستطيع ان ينسى كل ذلك ؟ .. لا . لا هو لا يستطيع ان ينسى ،
لا يستطيع ...

ومضى حبيب في التفكير وفي استعادته كلام امه .. ماذا
قالت امه ايضاً ؟ ... قالت : لا اخيفك يا حبيب اني كنت
احب محاسن كما تحب الأم ابنتها ، وقد لاح لي انها فتاة مهذبة

تقية ورعة .. ما قالته امه صحيح .. كانت محاسن فتاة مهندبة
تقية ورعة . فلطالما رافقت امه ورافقته هو الى المعبد وجئت
على ركبتيها امام المصلوب لتصلي بكل ورع وتقى وخشوع ..
ولكن ، ولكن ما هو نفع تقاها وورعها وخشوعها اذا كانت
تعرض جسدها العاري على كل ناظر غريب او قريب ؟ .

واستغرق حبيب في تفكيره العميق . وكاد يضيع دون ان
يستطيع اتخاذ اي قرار .. هل يعود اليها ؟ هل يمضي في الابتعاد
عنها ؟ هل يتزوج منها ؟ هل يتزوج من احدى بنات القرية
التقيات المهندبات الورعات ؟ .. هل ينفذ القرار الذي اتخذه
بالابتعاد عن النساء وبمقاطعة الزواج ؟ .. ليس يدري ، ليس
يدري ..

ونض .. وسار ، سار دون ان يعلم الى اين يسير ولا لماذا
يسير .. وعادت الافكار تغمر رأسه وهو يسير بين اشجار الغابة
الخضراء : هل يجوز له ان يتزوج من راقصة ؟ .. الا يغضب هذا
الزواج الله تعالى ؟ .. هل يرضى الله عز وجل عن هذا الزواج ؟ ..
ليس يدري ...

ولم في رأس حبيب خاطر سريع . لماذا لا يستشير الخوري
الياس كاهن القرية الجليل . ان الاب الياس صديقه الحميم وهو كاهن
شاب ، تلقى دروسه في معهد الابه المرسلين وعاد الى قريته
على خدمة الرعية بكل امانة واخلاص . وارتاح حبيب كل
الارتياح لهذه الفكرة ، سيستشير الخوري الياس ويطلب معونته .
ولأب الياس ان يرسم له الطريق القويم وعليه هو ان يسير في

ذلك الطريق ..

وسار حبيب ، سار الى دار الخوري الياس ، وفي رأسه يحول
الف فكر وفكر والف خاطر وخاطر : ترى بماذا سيشير عليه
الخوري الياس ؟ ماذا سيقول له ؟ .. هل سيطلب اليه ان ينسى
محاسن ويبعد طيفها عنه ويظهر قلبه من حبها الدنس الوبيل ؟ ..
أم هل سيشير عليه بالعودة اليها ، وبالزواج منها ؟ .. ليس يدري .

ومضى حبيب في سيره الحثيث عائداً الى القرية .. وشخص
توأ الى دار الكاهن الجليل ، ووقف امام الباب يطرقه وهو واجف
القلب مضطرب الفؤاد . فكأنه وهو يقف امام ذلك الباب ،
يقف في ساحة القضاء لاستماع الحكم عليه . اما بالبراءة واما
بالاعدام .. ولم يطل وقوف حبيب امام باب الدار ، فقد فتح
الباب وأطل منه خادم الكاهن .

وهن الخادم : « السيد حبيب ! .. اهلا وسهلا » وتمتم
حبيب : « الاب الياس موجود ؟ » وافصح الخادم الطريق امام
حبيب متمتماً : « تفضل .. » وتفضل حبيب بالدخول . واقتاده
الخادم الى قاعة الاستقبال ، ودعاه للجلوس هامساً : « تفضل ،
اجلس ، سأعلم الأب الياس بحضورك » ..

وجلس حبيب ، وانصرف الخادم .. وما هي إلا دقائق قليلة
حتى اطل الأب الياس والابتسامة الهادئة البيضاء تطفو على
شفتيه . ووقف حبيب ، ومد الخوري الياس يده يصافح
حبيباً هامساً : « اهلا وسهلا . اهلا وسهلا » .

وصافح حبيب الخوري ابياس بيد باردة . وجلس الكاهن
وجلس حبيب قربه وبدأ الحديث بينهما كما تبدأ الاحاديث دائماً:
كيف الحال ؟ كيف الصحة ؟ .. والتفت الاب الياس الى حبيب
ليقول ، بعد أن انتهى حديث المجاملات : لم تعودني مثل هذه
الزيارة يا حبيب في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح . خير
ان شاء الله يا ابني ؟ » .

ومس حبيب : لقد جئتك في مهمة يا ابنت ، جئت طالباً
معاونتك ، طالباً نصيحتك .

وكان الخادم قد جاءهما بالقهوة فتناول حبيب فنجانه
وتناول الكاهن فنجانهم ورشف الاب الياس القهوة ومس :
« مر يا ابني . ماذا تريد مني ؟ » قال حبيب : صديقك حبيب
مرزوق واقع في معضلة كبرى يا ابنت وليس ثمة من يستطيع أن
ينير أمامه السبيل إلا الاب الياس .

قال الكاهن : ما هي هذه المعضلة يا حبيب ؟

قال حبيب : اريد أن اسألك . هل الزواج من راقصة
خطيئة مميته يا ابنت ؟

واستوى الكاهن في جلسته وتمتم : من هي الراقصة ؟ ومن
هو الشاب الذي يريد الزواج منها ؟ ..

ورشف حبيب القهوة ومس : اسمع يا ابنت . انا سأروي لك
كل شيء . لن اخفي عنك شيئاً .

قال الكاهن : تفضل يا ابني قل كل شيء . كلي آذان صاغية

اليك .

قال : هل تعرف الآنسة محاسن التي كانت تزورني هنا في القرية ؟

قال الكاهن : الفتاة البيروتية الحسنة ؟

قال : اجل . هي بنفسها

قال الكاهن : اجل يا ابني لقد عرفتني اليها انت بنفسك وشاهدتها مراراً عديدة في الكنيسة . كانت تصلي بخشوع ما بعده من خشوع .

قال حبيب : وهل تعلم انني كنت انوي الزواج منها ؟

قال الكاهن : لقد خيل اليّ ذلك وانا اشاهدها برفقتك دائماً .

قال حبيب : الراقصة هي محاسن يا ابنت ، وطالب الزواج منها هو انا .

ووجم الكاهن ، وهمس باستفهام : هذه الفتاة البيروتية الحسنة راقصة ؟

ففرقت الدموع في عيني حبيب وهمس : اجل . اجل يا ابنت . انا لم اعلم انها راقصة إلا منذ ايام . ولذلك فقد ترددت في الزواج منها بعد ان علمت الحقيقة . ارجوك يا ابنت أن ترشدني الى الطريق المستقيم الذي يجب عليّ أن اسير فيه . هل استطيع أن اتزوج منها دون ان اغضب الله ودون ان ارتكب خطيئة ؟ وصمت الكاهن برهة ، خيل لحبيب مرزوق انها دهر ... وأخيراً التفت الأب الياس الى حبيب ليقول : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » .

ورشف الاثنان القهوة ، وعاد الاب الياس الى الكلام بعد

صمت قصير ليقول : « اسمع يا حبيب ، الزواج من راقصة ليس خطيئة . المهم هو ان تكون الراقصة مهذبة ، في قلبها روح الله وفي نفسها خوفه تعالى . قد تكون هذه الفتاة مضطرة للعمل ، لتعيش او لتعيل اسرتها . قد تكون هذه الراقصة محتاجة الى شراء خبزها بدموع عينيها . الحياة « خبز ودمع » يا بني . ومن يريد ان يأكل الخبز عليه ان يسكب الدمع . ما أمر الحياة وما اصعبها على مثل هذه الفتاة يا حبيب .

فوجم حبيب ، ماذا يقول الأب الياس ؟ اذن هو يستطيع ان يتزوج من محاسن دون ان يرتكب خطيئة؟ .. والتفت حبيب الى الاب الياس ليقول بتساؤل ملحاح : ألا يغضب زواجي منها الله يا أبت ؟ ألا ارتكب الاثم بزواجي من راقصة ؟

قال الأب الياس : « لا يا ابني لا .. بالعكس . قد تريح اجراً بانتشالك هذه الفتاة من بؤرة الفساد التي تعيش فيها .. ولكن .. ولكن كما قلت لك بشرط ان تكون تلك الفتاة مهذبة ورعة ، تخاف الله ، وتحفظ وصاياه ، وان تكون مستعدة لدفن الماضي وللعيش معك حياة طاهرة مقدسة شريفة .

وعرفت شفتا حبيب مرزوق الابتسام .. ونهض يودع الأب الياس هامساً : « شكراً لك يا أبت على نصائحك الثمينية وارشاداتك الغالية .. »

وودع حبيب الاب الياس ، وسار عائداً الى داره .. ووقف الاب الياس يشيخه بنظره هامساً : « يا رب سدد خطواته في طريق البر والخير والصلاح . »

محاسن نصار على ثورة وغضب عاصف هائل رهيب ، نحيف .
ان ما قام به ابو العز آثار غضبها وأهاج حنقها ، وأشعل نار
الحقد في قلبها . لقد قضى ابو العز على مستقبلها وهدم كل ما بنته
من آمال وأحلام ، وصرع قلبها الهائم الولوع . ياله من مجرم
سافل حقير ..

وكانت محاسن نصار قد بكت بدموع غزيرة حمراء عندما
خرجت من دار حبيب مرزوق ، بعد أن اطلع ابو العز حبيباً
وأمه على حقيقتها وعرض عليها صورها العارية .

وسارت محاسن الى سيارتها بقدمين واهيتين مرتجفتين وهي
تتعثر في مسيرها . وما ان وصلت الى السيارة حتى ألقت بجسدها
الواهي المضطرب المرتجف على مقعد السيارة وأخذت تجش
بالبكاء . لقد ادركت انها خسرت حبيباً الى الابد وأن ابا العز
حكم عليها بالفراق الأبدي ، الفراق الذي لا لقاء بعده ..

وأدارت محرك السيارة بيد مرتجفة . وسارت السيارة بها
وهي تنهادى في مسيرها . وكادت تضيع عن الطريق وقد

حجبت دموعها العزيرة عن عينيها ذلك الطريق الضيق المنساب
في سفح الجبل الاخضر كأنه افعى رقطاء تنساب في سهل واسع
رحيب . وخشيت ان تتدهور السيارة وتصل بها الى قعر الوادي
مهشمة شر تهشم ، والانسان معها بلغ به اليأس والقنوط من
حدود يظل متعلقاً بالحياة ، وتظل الحياة لديه رائحة السناء معها
بلغت من الظلام حدوده القاسية البعيدة .

وخشيت محاسن نصار أن تفقد حياتها اذا جنحت بها
السيارة عن الطريق العام ، فأوقفت المحرك لتمسح دموعها
وتلنفس الصعداء ثم تعود الى ادارة المحرك مجدداً .

وعادت السيارة الى المسير بها على مهل وانشاد . وانصرفت
محاسن الى التفكير والسيارة تسير بها في طريق بيروت البعيد
الفسيح الأرجاء ، وراحت تفكر بتلك الايام القليلة الآفة التي
قضتها قرب حبيب . تلك الايام كانت اسعد ايام حياتها وأروعها
وأبعدها بهجة وهناء . ترى هل تعود ؟ .. لا ، لا ، تلك الايام
لن تعود . ان يقدر لها ان تشاهد حبيباً مرة ثانية .

من المؤكد ان حبيباً ناقم عليها شديد النقمة بعد ان وقف
على حقيقتها الناصعة البياض . وقد لمست الحقد في حبيب عندما
ابتعد عنها دون ان يلنازل الى مخاطبتها بكلمة واحدة ، دون
ان يلتفت اليها ، وقد جثت على قدميه متوسلة باكية متضرعة
اليه .. انه على حق . فهي قد خدعته ، لقد أوهمته انها ابنة تاجر
كبير وانها تعيش مع ابنة خالها إنعام عيشاً شريفاً . فاذا به
يكشف انها راقصة تعرض جسدها العاري كل ليلة على كل عين ..

ماذا كان عليه ان يفعل بعد ان وقف على حقيقتها ؟ هل كانت تنتظر منه ان يفتح لها ذراعيه ويضمها الى صدره بعد ان شاهد صورها العارية المتعددة الالوان ؟ لا . كل انسان يقف موقف حبيب مرزوق اذا اكتشف ما اكتشف حبيب ، واذا وقف على ما وقف ..

ومست محاسن نصار في سرها وهي تقود السيارة الفخمة الأنيقة : « ما العمل الآن يا محاسن ؟ » ولم تستطع محاسن ان تجيب على هذا السؤال . لم تستطع ان تصل الى حل للمعضلة الجديدة ، لم تستطع ان تجد وسيلة تتقي بها شر الكارثة الهادمة العاصفة الهوجاء : ..

وعادت الدموع لتتدحرج غزيرة على وجنتيها ، والسيارة تجتازها الطريق البعيد ، وكان طيف حبيب يلوح لعينيها من خلال دموعها عبر زجاج السيارة المنطلقة بها في طريق بيروت فشاهدت ذلك الطيف يتأيل في زجاج السيارة وهو يتسم لها ثم شاهدت ذلك الطيف ينطلق مع الهواء امامها والدموع تتوج في عينيه .. وأحست بألم شديد يعصف بروحها ويجسدها ، وشعرت بأنفاسها تضيق في صدرها .. وكانت يداها ترتجفان وهما تمسكان بالمقود فيرتجف المقود تحت قبضتها وتهادى السيارة بها الى اليمين والى اليسار .

ووصلت الى بيروت فسححت دموعها لتتمكن من تمييز الطريق المنبسط امامها وهو على ازدحام شديد ، والجهت بالسيارة الى شارع الحمراء لتقف بها امام بنائها ثم تفرجل وتسير الى مدخل البناية ،

وشعرت بالوهن ، شعرت بركبتيها تصطكان وهي تسير الخطوات القليلة من السيارة الى مصعد البناية . وخافت وهي تلمس الوهن والعمياء في جسدهما المرتعش المضطرب المرجف . وخشيت ان تقع على الارض فراحت تلمس الجدار .

ووصلت الى المصعد ، بعد جهد وعناء . ودخلت ، فارتفع المصعد بها الى دارها . وفتحت الباب ودخلت .. وكانت الساعة تشير الى الحادية عشرة من الصباح ، عندما وصلت محاسن الى دارها ، عائدة من تلك القرية الباسمة الخضراء . وكانت انعام قد استفاقت من نومها وجلست في البهو ترشف القهوة وتدخن . لم تكن انعام لتنهض من نومها قبل الساعة الحادية عشرة من الصباح وهي تسهر كل ليلة في الملهى حتى مطلع الفجر البعيد . وشاهدت انعام صديقتها محاسن تدخل عليها والدموع تترقق في عينيها والاصفرار يعلومعيهاها والذبول يغمر شفيتها ، وهي ترمش وتنتفض كأنها عصفور جريح يعذبه الألم وقوله الجراح . وذعرت انعام وهي تشاهد صديقتها الحبيبة محاسن على تلك الحال ، ووثبت اليها تمسك بيدها وتساعدتها على السير الى غرفتها وهي تتمتم : « محاسن ا.. حبيبتي محاسن ا.. ما بك يا اخوتي ؟ .. ما بك يا محاسن ، ماذا اصابك ؟ ماذا دهاك ؟ ماذا حل بك يا حبيبتي ؟ .. »

ولم تجب محاسن . لم تستطع ان تجيب ، لم تستطع ان تتطرق بحرف ... ودخلت بها انعام الى غرفتها .. وألقت محاسن يجسدها الواهي المضطرب النحيل على السرير وجلست انعام

قربها لتمسك بيدها هامة : ما بك يا محاسن ؟ لماذا تبكين ؟
لماذا ترجفين يا اختي ؟

وأجهشت محاسن بالبكاء دون أن تستطيع النطق بحرف ..
ونفضت انعام للسرع الى المطبخ فتهيء لصديقتها كأس مرطبات
ثم تحملها اليها وتقدمها لها هامة : خذي اشربي يا اختي . اشربي
هذه الكأس يا حبيبي .

وبيد مرتجفة واهية تناولت محاسن الكأس وراحت ترشفها
على مهل . وعادت انعام الى الكلام لتقول : « قولي لي الآن ما
بك يا محاسن ؟ »

ونظرت محاسن الى انعام بعينين تغمرها الدموع دون ان
تنبس بحرف ووقمت انعام : « هل تخاصمت وإياه ؟ » . فهمت
محاسن : « لقد انتهت كل شيء بيننا يا انعام . انا لن اراه بعد
اليوم » .

فوجت الراقصة انعام ، وهي تسمع كلام صديقتها الحبيبة
محاسن .. وهمت : « لماذا ؟ ماذا حدث بينكما يا محاسن ؟ » .
ومسحت دموعها لتقول : « لقد وقف على حقي يا انعام .
علم كل شيء » . فازدادت انعام وجوماً . وأمسكت بيد صديقتها
هامة : « كيف علم كل شيء ؟ من اطلمعه على السر ؟ » فتأوهت
محاسن ، وأنت وهمت : « ابو العز .. ابو العز اخبره كل
شيء . لقد خرب بيتي فليخرب الله بيته . قضى على مستقبلي ،
على عمري ، على حياتي ، فليقض الله على حياته ، وليقصف
عمره » . وهمت انعام : « هل علم حبيب انك راقصة ؟ »

فمسحت دموعها وتمتت : « قلت لك . علم كل شيء . كل شيء . ابو المز حمل اليه صوري وأنا في ثياب الرقص وأطلعه على كل شيء » . قالت انعام : « وماذا كان موقفه منك ؟ ماذا فعل ؟ » .

قالت : عندما وصلت الى داره كان ابو المز خارجاً من تلك الدار . وأدركت ان الكارثة قد وقعت وأنا اشاهد المجرم خارجاً من دار حبيب فوثبت اليه اقول له : « ماذا جئت تفعل هنا ؟ ماذا فعلت يا مجرم ؟ » وقهقه وقال : « جئت ازور نسيبي يا نسيبي العزيزة » وهرولت مسرعة . ودخلت .. لا تسليني ماذا رأيت في تلك الدار . لا تسليني ماذا شاهدت يا انعام كان حبيب واقفاً والدموع توج في عينيه . كان ينظر من النافذة الى بعيد وهي يبكي فكأنه كان في جنازة . كأنه كان يشيع قلبه الى المقر الاخير .. وكانت امه جالسة وهي واجهه سامية حيرى وكانت الدموع تترقرق في عينها ايضاً . فكأنها كانت تدرك اي مصير سيصيب قلب ابنها .. وكانت صوري وكانت المحلات والصحف التي تحمل صوري ورسومي ملقاة على الارض .. ولم يستطع احد منا ان ينطق بحرف ، لا انا ولا حبيب ولا امه . نحن الثلاثة كنا في حال مؤلمة مؤسفة دامعة .. واخيراً هم حبيب بالمسير ، فذعرت وقد ادركت انه يريد ان يهرب مني وانني لن اراه بعد الآن .. ورأيتني اجثو على قدميه باكية طالبة اليه ان يعفو ويصفح عني .

إلا انه لم يجب . لم يتكلم ، لم ينطق بكلمة ، لم يمس بحرف .

وسار ، سار وكأنه يسير على قلبه ، سار وهو يبكي ويذرف
الدموع الغزيرة الحمراء .. وشعرت بألم روحي عميق وأنا أشاهد
حبيباً على تلك الحال ، وادركت انني اصبته من قلبه في الصميم ،
ادركت اني مجرمة . انا السبب في كل ما حل بحبيب من الام
وعذاب ودموع . ليتني مت قبل أن اقدم على هذه الجريمة
المروعة النكراء .. وحاولت النهوض عن الارض فمجزت . لم
تسعفني قدماي في النهوض .. واخيراً ، تقدمت ام حبيب مني
ترفعني عن الارض لتقول : « ليس لك مكان في هذه الدار يا
محاسن » . وخرجت . خرجت من تلك الدار بلا قلب . لقد
دفنت قلبي في تلك الدار القروية الصغيرة الهائلة يا انعام خرجت
من تلك الدار وانا اجر وجلي جراً . ولا اعلم كيف قدر لي ان
اصل الى هنا سالمة ، وقد كنت اقود السيارة بلا وعي ولا نظير
ولا حذر .

وبكت محاسن بدموع غزيرة وهي تروي تفاصيل المساة
لصديقتها انعام . وألقت برأسها على صدر انعام وهمست :
« انعام ! .. صديقتك محاسن انتهت لن تستطيع الحياة . لم تعد
محاسن لتعرب في العيش على هذه الارض الفانية المأوى بالعذاب
والآلام والدموع . الموت اصبح لدي اشهر من الحياة . كنت
اعيش في امالي واحلامي واما اني العذاب ، فلماذا اعيش الآن
وقد خسرت الامال والاحلام والاماني ؟ .. كنت أحياء في حب
حبيب ، اما الآن وقد خسرت حبيباً فلماذا احياء ولن احياء .. ؟
كان حبيب مرزوق كل شيء لدي . وقد خسرت فخرته فخرت كل

شيء . ليتني لم اره يا انعام ، ليتني لم اتعرف اليه ، ليتني لم ادله
في حبه ، اذن لكنت الآن بألف ، ألف خير ... ،

واسترسلت محاسن نصار في البكاء ، وغرقت في دموعها
وأهاتها وانينها . ورثت انعام لحالها ، وضمتها الى صدرها برفق
وحنان لتقول : « محاسن !.. خففي عنك يا اختي . ليس لنا
ارن نستسلم لليأس كلما نزلت بنا كارثة او حل بنا مصاب
فالكوارث كثيرة في الحياة ، والمصائب عديدة يا محاسن ، وعلى
الانسان أن يستقبل الكوارث بصدر رحب وان يتقبل المصائب
بقلب وسيع كبير ، لقد كنت ارقب لحبك هذه النهاية يا اختي .
كنت اعلم يقيناً انه لا بد لحبيب من ان يطالع على حقيقتك . ما
هناك سر يظل دقناً طيلة العمر ، لا بد للسر من أن يفشى يوماً
يا محاسن . لقد قيل ، يمكننا أن نخدع كل الناس بعض الوقت ،
ويمكننا ان نخدع بعض الناس كل الوقت ، إلا اننا لا نستطيع
ان نخدع كل الناس كل الوقت . وانت يا محاسن لم يكن بوسعك
ان تخدعي حبيبك كل العمر ، كان لا بد له من الاطلاع على الحقيقة .
ان حبل الكذب قصير . والكذب عمره كعمر الزهور ، قصير
جداً . ما هناك سوى الصدق الذي يعمر ويشيخ ويخلد . كان
عليك ان تسلكي مع حبيب سبيل الصدق ، السبيل المستقيم .
كان عليك ان تطلعيه . بنفسك على حقيقتك منذ اليوم الاول .
لو فعلت ذلك لأمنت هول هذا المصاب الاليم . »

فسححت محاسن نصار دموعها المنسابة على وجنتيها وهمست :
« انا ، عندما تعرفت الى حبيب ، لم اكن انتظر ان أتوغل واياه

في طريق الحب والهوى والغرام . كنت اريد ان أهو معه ،
 كنت اريد ان اصادقه فقط لا اكثر ولا اقل . ولذلك فانا لم اشأ
 ان اطعمه على حقيقيتي . فأشعلت انعام لفافة نقتت دخانها في
 الفضاء . ومست : « الحب دائماً يبدأ باللهو ثم لا يلبث ان ينقلب
 الى الجدد . الحب كالنار ، وليس للانسان ان يلعب بالنار يا
 محاسن لئلا يحترق ويصبح زماداً . وصمتت محاسن . صديقتها
 انعام على حق . لقد لعبت بالنار فاحترقت واصبحت رماداً ..
 وحناناً انعام الكلام بعد صمت قصير لتقول : « تشجعي يا
 محاسن ، تشجعي يا اختي . يجب ان تنسي كل شيء . انسي
 الماضي يا محاسن ، انسي تلك الايام الآفلة الجميلة التي مرت بك ،
 او بالاحرى التي مررت بهما وانظري الى المستقبل الآتي بعين
 الآمال والاحلام . هذا الحدث الذي مر بك برهن لك على اننا
 نحن معشر الراقصات بنات الليل ، لم نخلق للحب والهوى
 وللزواج . عندما يخلق الله الانسان يرسم له حدود حياته ، وعلى
 الانسان الجاهل الاعمى الاصم الضعيف ان يلزم تلك الحدود .
 وعظمت محاسن بحنق وثورة وغضب : « لا يا انعام . لا يا
 اختي . الله تعالى لا يضع حدوداً بين البشر . البشر أنفسهم هم
 الذين وضعوا تلك الحدود وقدموها . الله تعالى خلق جميع
 الناس متساوين . « ليس هناك فضل للانسان على انسان عند الله
 الا بالتقوى » . قال المعلم الصالح : « أحبوا بعضهم بعضاً كما
 أحببتكم » . وهو قد أحب الجميع بالتساوي .. الله تعالى خلق
 جميع البشر من طينة واحدة ، من عنصر واحد . وأحب الناس

إلى قلبه أشدهم فضيلة . إلا ان البشر انصرفوا عن الفضيلة إلى المال فنصبوا منه تماثلاً عبوده وجعلوه مقياساً لمقامهم الرفيع ونفتت انعام دخان اللفافة في الفضاء . وهمت : « لا يا محاسن ، المال ليس كل شيء في الحياة كما يخيل اليك . هناك ما هو اثنان وأعلى من المال . قليلون من البشر هم الذين يدركون هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة ، هناك الشرف . كل ما في العالم من مال لا يستطيع ان يشتري ذرة صغيرة من الشرف . ان المجرم لا يستطيع ان يؤمن للانسان السعادة يا محاسن . وهناك أيضاً السمعة العطرة .. كل ما في الدنيا بأسرها من مال لا يستطيع ان يعيد للمرأة سمعتها الناصعة البياض .. » . خذي مثلاً يا اختي : « انت غنية ، تملكين هذه البناية ، ولديك في مصارف بيروت مبالغ كبيرة من المال ، هل تستطيعين ان تشتري بثروتك كلها السعادة ؟ .. هل يستطيع مالك ان يمحو عنك لقب « بنت الليل » ؟ .. فلنكن صريحتين يا محاسن . نحن لن نستطيع الزواج ، لن نستطيع ان نجد زوجاً نركن اليه . لن نستطيع ان نعيش في دار الزوجية ، ولن نعلم بالاستماع إلى كلمة « ماما » ، فلنقعن بواقعنا ، ولنكمل الطريق الذي بدأنا السير فيه يا اختي » ..

وأجهشت محاسن بالبكاء .. كل ما تقول انعام صحيح ، فلماذا تحاول التمويه والمغالطة ؟ هي لن تستطيع ان تشتري السعادة بكل ما لديها من مال . لا تستطيع ان تستعيد حبيباً . لا تستطيع ان تعاند الأقدار ولا ان تتعدى الايام . عليها اذن

ان تقنع بالحقيقة وأن تتذرع بالصبر والشجاعة .. وعادت انعام الى الكلام لتقول بعد صمت قصير : « محاسن ا يجب ان تعودى الى عملك ، المعجبون بك ويمالك وبشبابك كثيرون . وهم ما زالوا ينتظرون عودتك اليهم . انت فى شرح الشباب يا محاسن ، فلا تضىمي شبابك بالدمع والحزن وبالغذاب . ستجدىن فى عملك خير سوى ، وتستطعمىن ان قلنى حببياً يا اختى » .

وقتمت محاسن بألم وحزن وأسى : « أنسى حببياً ؟ .. هل استطىع ان انساء ؟ . لا يا انعام . لا يا اختى . انا لن استطىع ان انساء . ان حبه سىنزل معى الى القبر .. لن تستطىع قوة على هذه الارض ان تنزع من قلبى حبه . سأعشى العمر كله على ذكراه » . قالت انعام : « يجب ان تعودى الى عملك يا محاسن . ان المستقبل امامك مشرع الابواب ، والمال مازال وفيراً امامك ، ما لك الا ان تعرفى منه على قدر ما تشائىن . لا تكونى مجنونة يا محاسن . لا تقضى على مستقبلك وعلى شبابك وعلى سعادتك . العمل سىتكفل ببلسمة جراحك ، والايام ستنسىك كل ما مر بك من مصائب وكوارث وآلام . اسمعى منى وعودى الى عملك ولن تخسرى يا اختى » .

وصمت محاسن وراحت تفكر بحزن وصمت رأسى . وطال الصمت بينهما ، فلا محاسن تلفظت بحرف ، ولا انعام . وأخيراً وبعد صمت طويل التفتت انعام الى صديقتها محاسن لتقول : « على ماذا عولت يا محاسن ؟ ماذا ستفعلين يا اختى ؟

هل تريد ان تقضي حياتك كلها في الألم والدمع والمذاب ؟ ام توافقيني على العودة الى العمل في الملهى ؟

ومست محاسن : « سأجيبك غداً يا انعام . انا لا استطيع التفكير الآن ، لا استطيع ان اتخذ اي قرار . اني متعبة مرهقة واهية القوى ، خائفة المزائم . اتركي لي مجال التفكير يا اختي . اتركي لي مجال الراحة قليلا كي استطيع أن أفكر وأن أقرر ، . وضمنتها انعام الى صدرها برفق وحنان ومست : « ارجو ان تنزلي عند رأيي يا اختي ، وفي النزول عند هذا الرأي راحة لك واطمئنان لقلبك ، وشفاء للجراح ورحك الهائلة الوهى الحنون . وانصرفت انعام عنها لتدخل الى غرفتها فترتدي ثيابها وتعود اليها قائلة : « انا مدعوة لتناول طعام الغداء على مائدة احد المعجبين . هل توافقيني يا اختي ؟ »

ومست محاسن : « لا . لا يا انعام . اريد ان ارتاح . مع السلامة يا اختي » .

وذهبت انعام .. وجلست محاسن وحدها تفكر وقدخن وقبكي .. الكارثة النازلة بها عاصفة هادمة . لقد بنت قصور الاماني والأحلام ، واستفاقت فجأة لتجد تلك القصور الشاهقة قد هدمت فوق رأسها . ويلها ، ماذا عساها ان تفعل الآن ؟ صديقتها انعام تدعوها الى الصبر والسوان والنسيان ، وتدعوها ايضا للعودة الى العمل ، فهل تستطيع ان تنسى؟ وهل تستطيع ان تسلو؟ وهل تستطيع ان تعود الى عملها في الملهى ، فلتسهر وتسكر وترقص وتساير الزبائن كما كانت تفعل قبل ان تعرف

الى حبيب ؟ لا . لا . هي لن تستطيع ان تفعل ذلك . لن
تستطيع ان تعود الى الماضي الموبوء ، الى الماضي القاتم السواد ،
الى الماضي الذي تركته وتحلت عنه ودفنته في التراب .. الماضي
اصبح ميتاً ، اصبح جثة هامدة ، هل تنبش الجثة وتخرجها من
القبر ؟ لا . لا . وألف لا . هي لن تعود الى الرقص ، لن تعود
الى السهر والعريضة والمجون .. ستزوي في دارها وتعيش العمر
ككله على ذكرى حبيبها ، حبيب مرزوق ، يكفيها من حبيب
الذكريات ، يكفيها أنها ستعيش مخلصه له ، حتى بعد ان تمخلى
عنها ، ستعيش العمر كله تبكي تلك الايام الآفلة الجميلة التي قضتها
قرب حبيب في تلك القرية الباسمة الهانئة الخضراء . وستصلي ..
ان في الصلاة عزاء لها وبلسماً لقلبها الهائم الجريح .

وارتاح محاسن نصار بعض الارتياح وقد وصلت بتفكيرها
الى هذا الحد .. ونهضت ، ودخلت الى غرفتها لتتزع عنها ثيابها
وترقدي ثياب النوم وتستلقي في سريرها .. وعادت الى التدخين
والى التفكير وقد استقرت في السرير الوثير ، فراحت تستعيد في
خاطرها كل ما مر بها من احداث . فتذكرت ، تذكرت كيف
تعرفت الى حبيب على شاطئ المعاملتين الواسع الارجاء .
وكيف سافرت الى بغداد فكان طيفه مرافقها في ذهابها وايابها .
وكيف عادت الى المعاملتين وكيف كانت تجتمع بحبيب على
الشاطئ الحالم الفسيح .. وكيف صعدت الى القرية ، وكيف
كانت تجلس قرب سريره عندما كان مريضاً . وكيف تدهلت
في هواه وكيف كانت ترناد واياها الغسابات والكروم والاحراج

والبساتين . وكيف تعاهدا على الحب والوفاء والزواج . وأخيراً
تذكرت وقفتهما امامه بعد ان اطلعه ابو العز على حقيقتها ...
وكيف ادار لها ظهره وسار في سبيله ..

وعادت الدموع توج في عينيها وقد وصلت في ذكرياتها الى
هذا الحد . ونقمت على ابي العز نقمة شديدة .. ياله من مجرم
سافل لئيم . لو تستطيع ان تنتقم منه انتقاماً رهيباً ، انتقاماً
يوازي اساءته اليها . لو تستطيع ؟ ولماذا لا تستطيع ؟ يجب ان
تنتقم منه ، يجب ان تتأثر لقلبها ، يجب ان ترد له « الجميل » .
واستوت في السرير وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد .
وأشعلت لفافة راحة تدخنها على مهل . وأخذت تفكر :
يجب ان تنتقم من أبي العز . ولكن كيف ؟ صحيح ، كيف ؟
وانغمست بحاسن نصار في تفكيرها البارد الموحش الحزين .
كانت تفكر بوسيلة فصل بها الى الانتقام .. واهتدت الى الوسيلة
بعد تفكير طويل .. ستعود الى العمل في ملهه . ستنزل عند
رأي انعام وتعود الى الرقص .. اجل ، هي ستعود الى ملهى
ابي العز ، لا حباً بأبي العز ، ولا رغبة منها في العودة الى العمل ،
بل هي ستعود لتنتقم من ذلك الرجل الذي هدم حياتها وقضى
على مستقبلها وأثخن قلبها وروحها بالجراح .

وعندما تعود الى العمل ، عندما تصبح داخل الملهى سيبقى
لكل حدث حديث ، وستعرف كيف تنتقم من ابي العز ،
وكيف ستخرب بيته ، كما خرب بيتها .. وشعرت بحاسن ببعض
الارتياح وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد .. واستلقت في

سريرها لتعود الى التدخين والى التفكير ..

وظلت محاسن في سريرها تدخن وتفكر حتى المساء دون ان تتناول طعاماً او شراباً . فالحزن العميق ابعدها عنها كل شبيهة للطعام . وكانت محاسن في حال مؤلمة مؤسفة دامية دامعة رهيبة . كانت تفكر بالانتقام من ابي العز والدموع تترقرق في عينها ..

وفي المساء عادت صديقتها انعام .. ووثبت انعام اليها لتقول : « كيف حالك يا اختي » ؟ فارتسمت ابتسامة واهية صفراء على شفقي محاسن وهمست : « الحمد لله » .. وألقت انعام نظرة الى « منفضة » اللفائف فشاهدتها ملأى بالاعقاب . كانت محاسن قد دخنت زهاء مئة لفافة .. وذعرت انعام وتمتمت : « هل دخنت كل هذه اللفائف يا محاسن ؟ » . وابتسمت محاسن الابتسامة الواهية الصفراء دون ان تجيب بحرف واحد ..

وجلست انعام قريبها على السرير وتمتمت : « ألم تتناول طعاماً ؟ » . قالت : « لا . انا لا اريد ان اتناول ابي طعام يا اختي » . فهمست : « مجنونة . اتريدين ان تموتي من الجوع ؟ يجب ان تتناولي الطعام كي تستطيعي الصمود في وجه الكارثة يا محاسن .

فعدت محاسن الى الهمس : « لا . لا . لا اريد أن أتناول شيئاً » . ونهضت أنعام لتدخل الى المطبخ وتهيء الطعام لصديقتها .. وحملت لها الطعام الى غرفتها . وجلست قريبها على السرير وراحت تقدم لها الطعام بيدها وترغها على تناوله ..

وعندما انتهت انعام من مهمتها نهضت لتدخل الى غرفتها لترتدي ثياب السهرة . ثم عادت الى غرفة محاسن لتقول : « انا شاخصة الى الملهى يا محاسن . ارجو ان ترافقيني ليلة غد .. أليس كذلك يا اخي ؟ انت ستعودين الى عملك يا محاسن ، يجب ان تعودى الى العمل .. ولا يجوز ان تظلي هنا في هذه الغرفة مستسلمة للألم وللدموع ولذكريات المؤلة الرهيبة .

ولم تجب محاسن بجرف ، فوثبت انعام اليها تمانقها وتخرج من الدار لتشخص الى الملهى العسامر الرحيب .. واستقبلها صاحب الملهى الكريم صالح ابو العز بإبتسامة لها ألف معنى ومعنى وألف لون ولون .. ولم تأبه له ، ولم تلتفت اليه ، فسارت الى غرفتها من الملهى لتجلس أمام المرأة تسرح شعرها وتصلح زينتها .. ولم تلبث ان خرجت الى القاعة الفسيحة الرحبة لتجلس وراء مائدة صغيرة تدخن وتفكر .

وكان الزبائن قد بدأوا يقدون الى الملهى . وكانت برامج السهرة قد اشرفت على البداية .. واذا بأبي العز يقرب منها وقد ألقى لفافة فاخرة بين شفتيه .. وتظاهرت بأنها لا تراه فما كان منه الا انه تقدم منها ليجلس قربها ويتمتم : « مساء الخير يا انعام » . وأجابت انعام بفتور ولا مبالة : « مساء الخير » . ونفت ابو العز دخان اللفافة في الفضاء وهمس : « كيف حال صديقتك محاسن يا انعام ؟ » ..

وهست ستكون بخير ما دمت بعيداً عنها يا ابا العز .
وهمس ابو العز بهزه وسخرية : « هل شفيت من داء الحب

الوبيل الذي كاد يفتك بها ؟ » والتفتت انعام اليه لتقول :
« ماذا تريد مني يا ابا العز ؟ ألا يكفيك ما فعلت بها ؟ ألا
يكفيك انت قضيت على مستقبلها وعلى آملها وعلى قلبها ؟ » .
فضحك ابو العز وممس : « كيف حالها الآن ؟ » .

قالت : « ان حالها تفتت الأكباد . لقد طعنتمنا من قلبها
في الصميم . لقد قتلتمها يا ابا العز » .

فاتخذ ابو العز طابع الجد وتمم : « يا انعام ، انا لم اقدم على
ما اقدمت عليه الا من اجلها هي . محاسن كانت تسير في طريق
الضلال وكان عليّ ان اعيدنها الى الطريق المستقيم . كان مستقبلها
مهتداً بخطر . داهم كبير فرأيت أن اعمل على تأمين مستقبلها
وعلى انقاذ هذا المستقبل من الخطر المحدق به . لو تزوجت من
هذا الشاب القروي الفقير لغضت حياتها في البؤس والعنذاب
والشقاء . مكان محاسن هنا يا انعام لا هناك في تلك الدار القروية
الصغيرة الجمثة في تلك القرية النائية على ذل وانكسار . يجب ان
تساعدني عليها وأنت نعمل معاً على اعادتها الى صوابها والى
عملها » .

قالت انعام : يا ابا العز . انا من رأيك . ان مكان محاسن
هنا لا هناك . ولكن هل يجوز لنا ان نعترض سبيلها وأن نطعنها
في صدرها وأن نغمر عينيها بالدموع ونشخن قلبها بالجراح ؟
قال ابو العز : خير لها ان تبكي الآن ساعة من ان تبكي غداً
اياماً وشينياً . محاسن يجب ان تعود الى عملها في هذا الملهى .
ان المعجبين بها كثيرون . والذين ينتظرون عودتها عديدون .

فأدرت انعام مأرب ابي العز .. ابو العز يريد ان يحني
الاموال الطائلة من وراء محاسن . لقد خسر مبالغ طائلة من
المال بابتعاد محاسن عن ملهه، وهو بالتالي يريد ان ينعم بهواها
ويجسدها . من اجل هذا يريد ابو العز عودة محاسن الى ملهه
ولكن .. ولكن عودة محاسن الى العمل ضرورية . فهي
ستنسى آلامها وعذابها اذا عادت الى العمل . محاسن يجب ان
تعود الى العمل وهي ستعود، الا انها لن تعود الى ملهه ابي العز .
انعام ستبحث لنفسها ولحاسن عن عمل في ملهه آخر ، ومن
الافضل ان يكون هذا الملهه خارج لبنان .. وصمت انعام ..
وانصرفت الى التفكير العميق في حين راح ابو العز يدخن
ويفكر ايضا ..

وطال تفكيرهما دون ان ينبس احدهما بحرف . كانا يفكران
ويدخان .. وأخيراً وبعد تفكير طويل عاد ابو العز الى الكلام
ليقول : « انعام! يجب ان تساعدني عليها وأن تقنعها بالعودة
الى عملها في هذا الملهه » .
ونفتت انعام دخان لفافتها في الفضاء وهمست : « ان شاء
الله . ان شاء الله » .

وانصرف ابو العز .. وأقبل الزبائن الكرام يميون الراقصة
انعام، وجلس المعجبون قريبا يسايرونها ويسامرونها ويتوددون
اليها ، الا ان انعام كانت منصرفة عنهم الى التفكير ، كانت
تفكر بوسيلة تنقذها صديقتها المخلصة الوفيّة محاسن نصار من
آلامها ودموعها وتذابها المؤلم الرهيب .

وكالعادة طالت السهرة حتى ساعة متأخرة من الليل. ولم تعد
الراقصة انعام الى الدار الا والفجر البعيد يبدأ يغمر بيروت
بوشاحه الوردى الجميل . ودخلت انعام الى الدار فاذا بالنور
ينبعث من غرفة محاسن . ودهشت انعام . لماذا لم تطفئ محاسن
النور ، وقد كان من عادتها ان تطفئه كل ليلة قبل ان تنام ؟ ..
لم تكن محاسن تستطيع النوم إلا والظلام يحيط بها من كل جانب
وصوب .. وقلقت انعام كل القلق . أتكون محاسن في خطر؟ ..
أتراها لا تزال ساهرة ؟ .. هل هي مصابة بالاعضاء اهل ؟ هل ؟
هل ؟ .. عشرات « هل » طافت في رأس انعام وهي تسرع
الخطى نحو غرفة صديقتها الحبيبة محاسن ..

وفتحت انعام الباب ودخلت .. دخلت لتفاجأ بمحاسن
لا تزال جالسة في السرير واللقافة ملقاة بين شفتيها والدموع
تتوج في عينيها . كانت محاسن لا تزال ساهرة تفكر وتبكي
وتدخن ..

ورببت انعام اليها تعانقها وتضمها الى صدرها هامة :
« محاسن ! .. ألا تزالين ساهرة يا اختي ؟ .. ألم تنامي ؟ .. ألم
ترتاحي ؟ هدئي من روعك يا اختي . احبسي دمعي يا حبيبتي .
على الانسان ان يكون دائماً وأبداً اكبر من المصيبة النازلة به . »
ومسحت محاسن دموعها ونفثت دخان اللقافة في الفضاء
دون ان تنطق بحرف . وتمتمت انعام : « محاسن يجب ان تنسي
الماضي يا اختي . ليس للانسان ان يفكر بالماضي ، وقد ولى
الماضي وراح . علينا ان ننظر دائماً الى المستقبل بعين التي

والآمال، والأحلام . انسي الماضي يا محاسن . وانسي معه حبيباً .

وعادت الدموع تموج في عيني محاسن وهمست : « كيف تريدني ان انساه وطيغه يحثم هنا قربي ، على هذه الوسادة البيضاء . انه هنا . حبيب هنا قربي يا انعام . لقد سهرت معه طيلة الليل . »

فأمسكت انعام بيد صديقتها محاسن لتقول : « لا تكوني مجنونة يا محاسن . ابعدني عنك هذه الهواجس والاهام . لقد بت اخاف عليك يا اختي من هواجسك هذه . بت اخاف على عقلك . انني لأخشى ان تصابي بعقلك بعد ان اصبت بعقلك . أخشى عليك من الجنون يا محاسن . »

فارتسمت على شفقي محاسن ابتسامة وإهية هزيلة صفراء ، وتمتمت : « ليت للجنون طريقاً الى رأسي . صدقيني يا انعام اذا قلت لك انني اتنى ان اصبح مجنونة ، لعسل الجنون ينسيني هذا المصاب الأليم ويبعد عني هذه الذكريات المؤلمة الرهيبه التي تؤلم روحي وتعذب قلبي وتغمر عيني بالدموع . وتمتمت انعام : « لا تكفري بنعمة الله يا محاسن . ان العقل نعمة من الله ، فلا تكفري بهذه النعمة . ان الجنون اروع كوارث الحياة وأرهبها وأشدها . كل الكوارث تهون عند كارثة الجنون . اخرجني من هذه العزلة التي تعيشين فيها يا محاسن ، وادفني الماضي وعودي الى حياتك الهانئة الباسمة السعيدة التي كنت تعيشينها قبل ان تتعرفي الى حبيب مرزوق .. »

فتأوهت محاسن نصار. وهمست : « لا يا انعام . لا يا اختي .
صديقتك يا انعام لن تستطيع ان تباعد عن عذابي وآلامها
ودموعها . لن تستطيع ان تتخلص من ذكرياتها . لقد قضي
على محاسن يا انعام » .

فعدت انعام تمسك بيد محاسن لتقول : « الايام ستكفل
بإبعاد شبح هذه الكارثة عنك يا محاسن . هناك قوة تستطيع
ان تمحو الذكريات وأن تكفكف الدموع ، وأن تبلم الجراح
وتشفيها . اطمئي . لن تمر عليك ايام قليلة إلا وتسيرين في طريق
النسيان يا اختي » . فهزت محاسن رأسها وكأنها لا تؤمن بكلام
صديقتها انعام .. وعادت انعام الى الكلام لتقول : « محاسن !
قلت لك ، وأعيد القول الآن ، يجب ان تخرجي من عزلتك
وأن تعودي الى عملك . العمل سينسيك همومك وآلامك
وعذابك . اسمعي مني يا محاسن ، ولن تخسري يا اختي » .

فصمت محاسن ، وراحت تدخن بنهم وجشع واندفاع ..
وساد الصمت أرجاء القاعة . وعادت انعام تمسك بيد محاسن
المرتبجة الباردة لتقول : « على ماذا عولت يا محاسن ؟ ألا تريد
ان تعودي الى العمل .. ؟ » . وهمست محاسن بعد صمت قصير
« سأعود الى العمل .. سأعود يا انعام » . ولعلت ابتسامة
الرضى والارتياح على شفقي الراقصة انعام وهمست : « الحمد لله ،
لقد اقتنمت بصواب رأيي وأرحت قلبي يا محاسن . الآن
تأكدت انك اقوي من الكارثة ، وأنت فتاة شجاعة تستطيع
ان تجابه المصائب والكوارث والهموم بقلب صامد وبأعصاب

متينة وبشجاعة فائقة . غداً منذ الصباح سأتصل بكتب اعمال
الفنانات وأطلب الى مديره ان يجد لنا ، لي ولك عملاً في ملهى
خارج لبنان . يجب ان تبتمدي عن لبنان . يا محاسن ،
وبابتعادك عن لبنان راحة وشفاء لك ولقلبك . عندما تبتمدين
عن لبنان ستركين بين ربوعه ذكرياتك المؤلمة الخيفة . اذا سافرت
الى دمشق ، او الى بغداد او الى الكويت استطعت ان تنسي كل
ما حدث لك . لقد قيل : « اذا أردت ان تخاهي من ذكرياتك
فتخلص من المكان الذي يضم تلك الذكريات » . سنسافر خلال
هذا الاسبوع يا محاسن ، وستسين كل شيء .

فنفقت محاسن نصار دخان اللفافة في الفضاء وهمست :
« لا يا انعام . لا . انا لن اسافر . لن ابتمد عن لبنان . هنا
سأظل . سأعمل هنا في لبنان . انا لن ارقص سوى في ملهى
صالح ابو العز .. سأعود الى العمل في هذا الملهى يا انعام » .
فدهشت الراقصة انعام توفيق .. ماذا تقول صديقتها
محاسن . أتكون جادة في ما تقول؟ والتفتت انعام الى صديقتها
لتقول باستفهام ملعاح : « ماذا تقولين يا محاسن ؟ .. هل
تريدن العودة الى ملهى ابي العز بعد كل ما ألحق بك صاحب
هذا الملهى من أذى ؟ » . قالت محاسن : « اجل . اجل يا
انعام . انا سأعود الى ملهى ابي العز سأبدأ العمل في هذا الملهى
ليلة غد » .

فانسمت الدهشة في عيني انعام وهمست : « هل جننت يا
محاسن ؟ » . قالت : « لا انا ما جننت يا انعام . لقد رسمت

خطة اريد تنفيذها . انا سأعود الى ملهى ابي العز .. سأعود الى ابي العز ، والى المعجبين ، والى العشاق ، والى الزبائن الكرام ..»

فوثبت انعام الى صديقتها محاسن تعانقها هامسة : « المهم لديّ هو ان تخرجي من عزلتك وان تبتعدي عن همومك وان تمودي الى عملك . كنت افضل ان تبتعدي ليس عن ملهى ابي العز فحسب ، بل عن لبنان بأسره . اما وانت تريدين العودة الى ملهى ابي العز فلك الخيار يا اخي . ولكن .. ولكن ما هي هذه الخطة التي رسمتها يا محاسن والتي تريدين تنفيذها ؟ » فتتمت الراقصة محاسن : « ستعرفين في المستقبل الآتي القريب ، كل شيء ، كل شيء .. »

وكانت انوار الصباح قد بدأت تصبغ الفجر الوردي بلونها الناصع البياض وكان نور الصباح قد بدأ يتسرب عبر زجاج النافذة ليغمر غرفة محاسن بوشاحة الجميل .. فنهضت انعام لتدخل الى غرفتها فتززع عنها ثيابها وتستلم للرقاد . وانغمست محاسن نصار في سريرها الوثير ، ولكن لا لتنام بل لتمضي في تفكيرها السحيق البعيد العميق القرار .

عادت الراقصة محاسن نصار الى ملهى صالح ابي العز
بالسلامة ...

واسرع صاحب الملهى الكريم الى المجلات والى الصحف
يعلم فيها عن عودة الكوكب اللامع محاسن نصار الى ملهه
الفيح ، وهو على فرحة طلقة وهناة شاسعة رحبة الارجاء .
كانت عودة محاسن نصار الى ملهى ابي العز حدثاً كبيراً عند
صاحب الملهى العامر وعند زبائنه الكرام .. وقدفق الزبائن
المحترمون على ملهى صالح ابي العز ، وقد وصلت اليهم البشرى
المفرحة السارة بعودة محاسن ، وغص الملهى الرحيب بالرواد
الطامعين بالوصول الى الحسن والجمال ..

وغمرت ضمات الورد والزهور والرياحين المسرح الذي
ستشرفه محاسن بالاعتلاء وبالرقص فوقه . فالمعجبون كثيرون
والحمد لله ، وكل منهم يريد اظهار عاطفته الطيبة للراقصة
الحسنة بتقديم الزهور والورود اليها . وما ان اطلت محاسن
على الملهى حتى وجدت المعجبين الكرام بانتظارها على نار وحمم-

ووثبوا اليها يرحبون بها شديد الترحيب ويصافحونها بجرارة
وشوق وحنين . وانهالت عليها كلمات العتاب من كل صوب :
« اهكذا تبتمدين عنا يا قاسية القلب ؟ » : « لماذا انقطعت عنا
طيلة هذه المدة يا محاسن وانت تعلمين اننا لا نطبق عنك
بعاداً ؟ » .

« ما هذا الجفاء يا خائنة ؟ » .

وتبتسم محاسن لهم جميعاً ابتسامة هادئة صافية بيضاء ،
وتصافحهم . وتشد اصابعها اصابعهم وتوزع عليهم الكلمات
الشجية والابتسامات المنورة بالعدل والقسطاس . إلا ان محاسن
نصار كانت بالجسد فقط في ذلك الملهى الصاحب المزدحم
بالزبائن ، اما روحها فكانت هناك ، هناك في تلك القرية
الخضراء ، عند حبيب مرزوق ..

ووقف ابو العز بعيداً يراقب الراقصة محاسن والفرحة تغمر
قلبه . الحمد لله ، ثم الحمد لله ، لقد عادت محاسن بالسلامة الى
ملهاه وعاد ، بعودتها ، الى الملهى جميع الزبائن الكرام الذين
كانوا قد نزحوا عنه الى ملاهي اخرى عندما نأت محاسن عن
ذلك الملهى ، وعادت الاموال تتدفق على صندوقه العامر
الكبير .. واطمان ابو العز كل الاطمئنان ، وارتاح كل الارتياح .
وجرع الخمر ودخن اللفائف الفاخرة وطففت الابتسامة العريضة
على شفثيه ..

وحان موعد الرقص : فنهضت محاسن لتدخل الى غرفتها
من الملهى وترتدي ثياب الرقص .. ووثب اليها ابو العز والفرحة

تغمر فؤاده ليقول : « اني لأهنتك يا محاسن بسلامة العودة .. »
ولم تجب محاسن بحرف ، بل هي خرجت من الغرفة ، وقد
ارقدت ثياب الرقص متجهة الى المسرح .. واعترض ابو العز
سبيلها قائلاً : « رأيت كيف استقبلك المعجبون بالحفاوة
والاكرام والترحيب ؟ يا مجنونة ، كيف كنت تريدين التضحية
بشهرتك وبجهدك وبهذا الجمهور الفقير من المعجبين والعشاق
اكراماً لعيني فتى قروي حقير ؟ » .

ولم ترد محاسن على ابي العز بحرف ، بل هي دفعت من طريقها
وسارت الى المسرح ..

وكان الموسيقيون قد بدأوا بالعزف فاعتلت الراقصة محاسن
المسرح وبدأت بالرقص .. ورقصت محاسن ، رقصت رقصة
رائعة . هي لم ترقص في حياتها كما رقصت تلك الليلة ، كانت
محاسن نصار ترقص وتبكي . كانت وهي ترقص تتذكر حبيباً
وترى طيفه ، من خلال دموعها المنهمرة على وجنتيها وهو يبتسم
لها .. وكانت همساته تختلط مع الموسيقى لتنبعث لحناً محزوناً
رهيباً شجياً .. واسترسلت محاسن نصار بالبكاء وهي ترقص
رقصات رائعة تعبر عما يختلج في قلبها من ألم وحزن وشجن
وعذاب . وأبدعت في الرقص فعلا التصفيق في القاعة عالياً
مدوياً .. وعندما انتهت محاسن رقصها كانت قد أصبحت في
حال عياء وعناء شديداً فأسرعت الى غرفتها من الملهى لترتمي على
المقعد الزجاج الوثير وهي في حالة تفتت الالكباد ...

ووثبت اليها صديقتها المخلصة الوفية انعام تمنقها مهنته

هامسة : « لقد ابدعت يا محاسن ابداعاً رائعاً . انالم أراك
ترقصين في حياتي مثلك الليلة » .

ولم تجب محاسن . لم تستطع ان تجيب بحرف . كانت الدموع
تقطع على شفيتها سبيل النطق والكلام . وشاهدت انعام الدموع
تنحدر بغزارة على وجنتي صديقتها محاسن فذهرت . وأمسكت
بيدها لتقول : « هل عدنا الى البكاء يا محاسن ؟ هل عدنا الى
الذكريات المؤلمة الدامعة يا حبيبيتي ؟ ألم تتفق على النسيان ؟ يجب
أن تنسي يا محاسن ، يجب أن تبعدني عن ذكرياتك الرهيبة
يا حبيبيتي ، يجب أن تبعدني طيف حبيب مرزوق عنك يا اختي »
فهمست محاسن من خلال دموعها : « لا أستطيع ،
لا أستطيع ذلك يا انعام . ليتني أستطيع النسيان ، ليتني
أستطيع أن أخلص من هذه الذكريات العاصفة الهادمة . ليتني
أستطيع أن أبعد طيف حبيب عني ، اذن لكنت بألف ألف
خير ، .. »

وعادت الى الدموع تنغمس فيها ، فتمتمت الراقصة انعام :
« محاسن ! .. كوني عاقلة يا اختي . ان المستقبل أمامك مشرع
الأبواب . ما لك إلا أن تدخل اليه وأنت مرفوعة الجبين مطمئنة
الفؤاد ، الشهرة والمجد ينقادان اليك ، والمال منشور تحت
قدميك . انت فنانة عظيمة يا محاسن . الليلة ، وقد شاهدتك
في رقصك الرائع أدركت أنك تربعين من الفن في القمة العالية
السماء . كلنا معشر الراقصات هنا دونك فناً وحسناً وإبداعاً » .
فسمعت محاسن دموعها وهمست : « أنت على خطأ يا انعام .

أنا لم ابدع في رقصي . الذي أبدع هو الأمل الكامن في قلبي .
لقد قيل : ان الفنان لا يبدع إلا إذا تألم ، إلا اذا بكى وتأوه
وأفأ وأثخنه الجراح .. وأنا أتألم الآن وأبكي ويكوي الأذن
شفتي وتحرق الجراح قلبي ، .

فمادت الراقصة انعام تمسك بيد صديقتها معاسن لتقول :
« معاسن .. يجب أن تكوني شجاعة في مجابهة الاحداث .
يجب أن تقتصري على الأمل بالأمل . الأمل وحده يساعد الانسان
على الانتصار في جميع ميادين الحياة . تذرعي بالأمل يا معاسن
وأنا كفيلة لك بأنك ستخلصين من دموعك ومن آلامك ومن
عذابك ومن أذيتك .

وصمت معاسن . قد تكون انعام على حق ، إن الأمل
سلاح مرهف شديد ضد الآلام والدموع ، ولكن .. ولكن هل
بقي لها أمل تتذرع به .. هل ثمة ذرة صغيرة من أمل وام
ضئيل في فؤادها ؟ لا . لا آملها كلها اندثرت في مهب الهواء .
اي أمل تستطيع أن تعيش به وقد توارى عنها حبيب القلب
والروح ؟ .. اي أمل تستطيع أن تحتمي في ظلاله ، وقد هدم
أبو العز جميع تلك القصور ، قصور الآمال والأمان التي بنتها
مع حبيب مرزوق ؟ .. لقد فقدت معاسن آملها ، وهي تعيش
الآن في آلامها فقط ..

وبسدت الدموع تتأهب للانحدار مجدداً على وجنتي
معاسن . واذا بأبي العز يطل عليها ، ويرمق انعام بنظرة رضى
وارتياح وكأنه يقول لها : « ساعديني عليها .. » وتقدم ابو العز

من محاسن والابتسامه الماكرة تشع على شفتيه ، ليقول : « تهاني الحارة يا محاسن على هذا النجاح الباهر والتفوق البعيد . ان الجمهور في القاعة يضج مطالباً بعودتك الى المسرح ، اسمي ، اسمي التصفيق يتجاوب صدها في انحاء القاعة يا محاسن . اسمي يا حبيبي . تعالي . تعالي الى المسرح . تعالي .. »

ونظرت محاسن الى ابي العز نظرة حقد واحتقار وتمتت : « لا .. انا لن اعود الى المسرح . لن ارقص سوى مرة واحدة كل ليلة » قال : « ولكن الجمهور يطالب بعودتك الى المسرح يا محاسن » قالت بغضب . « لا . لن اعود » .

قال : « لا اخالك تجهلين اصول العمل في هذا المهني وقد عملت فيه السنين الطوال . يجب أن ترقصي ثلاث مرات كل ليلة . واذا طالب الجمهور بعودتك مرة رابعة او خامسة او سادسة . وجب عليك أن تنزلي عند طلبه » فهدرت محاسن : « انا لن ارقص سوى مرة واحدة . مرة واحدة فقط . هل يعجبك هذا ؟ » وكانت على غضب شديد ، فأخافه غضبها . وهمس بكل رقة واتضاع : « ولكن .. انت تعلمين يا محاسن ان الجمهور عنيد ويجب مراعاة عناده . هو سيحطم كل ما في المهني من موائد وزجاج اذا تحدينا شعوره » . فادارت له ظهرها بخفة ودلال وتمتت : « فليقل ما يطيب له . انا حرة . لن اعود ثانية الى الرقص » .. وغمز ابو العز الراقصة انعام غمزة لها ألف معنى ومعنى وألف لون ولون وهمس في اذنها : « انعام .. ارجوك ان

تساعدني عليها ، .. ونزلت انعام عند غمزة ابي العز ورجائه .
وتقدمت من محاسن تمسك بيدها لتقول : « محاسن . يجب ان
تقومي بعملك على اكمل وجه يا اختي . الاخلاص في العمل من
اول الواجبات . اخلاصك لعملك يحتم عليك العودة الى المسرح
اكراماً لجمهورك الذي يحبك ويقدرك ويمطف عليك » .
وزجرت محاسن : « انا حرة . لا اريد أن اعود الى الرقص .
لا اريد .. لا اريد . اليكم عني . ماذا تريدون مني ؟ انا حرة .
افعل ما اريد ساعة اريد . هل فهمتم ؟ » ، ودهشت انعام .
ووجم ابو العز . فهما لم يشاهدا محاسن يوماً في مثل هذه الثورة
الجماعة الهوجاء .. وازداد ابو العز وجوماً وهو يشاهد الراقصة
تقترب منه صارخة في وجهه : « اخرج من غرفتي . اخرج .
اخرج . انا لن ارقص إلا مرة واحدة في ملهالك كل ليلة . هل
يمجبك هذا الشرط ؟ اذا لم ينل شرطي هذا اعجابك فلك ان
تفعل ما يطيب لك » وكانت خفيفة وقد بلغت من الغضب
الذروة فراح صالح ابو العز ، يطيب خاطرهما محاولاً تهدئة
غضبها . وهمس : « محاسن .. انا لا اريد اغضابك يا حبيبي .
ليكن ما تريدن يا محاسن . ليكن ما تريدن يا حبيبي . انا لن
اخالف لك امرأ . لك ان تأمري ، وعلى ابي العز أن يطيع
الاوامر السامية العشاء » . وجلست على المقعد الوثير لتتمتم :
« تفضل اخرج من الغرفة . اريد أن اتزع ثيابي ، وهمس :
« امرك يا ستي . انا تحت امرك . حاضر .. حاضر ..
وخرج ابو العز . ولم ينس ان يرمق انعام بنظرة سريعة قبل

أن يفادر الغرفة وكأنه يقول لها: « اعملي على تهدئة خاطرها ».

وتقدمت انعام من صديقتها الحبيبة محاسن ، وقد خلت لها
 الغرفة لتقول : « محاسن . لا تثوري ، ولا تقضي . مهلاً يا
 محاسن ، مهلاً يا اختي . الثورة الجائعة تهرق اعصابك وتزيد من
 وهنك وهياتك . تعالي . تعالي معي يا محاسن . تعالي يا اختي
 لنخرج من هذه الغرفة الضيقة الى القاعة ، تعالي . تعالي » .

ونهضت محاسن لتتزع عنها ثياب الرقص وترتدي ثيابها على
 مهل .. ووقفت انعام قريبا تمازحها وتسايرها وتسامرها محاولة
 تهدئة ثورتها الجارفة الموحاه .. وامسكت انعام بيد صديقتها ،
 وقد انتهت الصديقة من ارتداء ثيابها ، لتقول : « تعالي . تعالي
 معي الى القاعة . المعجبون بك كثيرون وهم ينتظرونك بفارغ
 صبر تعالي يا حبيبتي تعالي » . وسارت محاسن برفقة الصديقة
 المخلصة الوفية ، وخرجتا معاً الى القاعة الفسيحة الارضاء .

وكانت القاعة مزدحم بالزبائن الكرام ، فما ان شاهدوا محاسن
 قد دخل عليهم حق راحوا يصفقون لها بحماسة واشتياق ..

ورفعت محاسن يدها تحييمهم والابتسامة الصفراء قلوح على
 شفيتها الذابلتين .. ودهاها البعض منهم الى مجالسته إلا انها
 اعتذرت ، وسارت مع انعام الى آخر القاعة لتجلس وراء
 طاولة صغيرة .. واذا بالخدّام يقبل نحوهما ليهمس في اذن
 محاسن: « سليمان بك يدعوك اليه » ومست محاسن بلا مبالاة :
 « لن اذهب اليه . سلم لي عليه » .. ودهش الخدّام ، ودهشت
 ايضاً انعام ، ومحاسن تعلن انها لن تلي دعوة سليمان بك ..

سليان بك يدعوها لمجالسته ، وترفض الدعوة ؟
يا لها من مجنونة بلهاء . اي راقصة ، اي فنانة ، اي مطربة
في ملهى ابي العز تمنى ان تجالس سليان بك وان تحسو معه
الخمر ، وأن تنعم بهداياه الثمينة الغالية ..

وسليان بك رجل في زهاء الستين من العمر . الا انه أتيق
الى ابعاد حدود الاناقة ، وسخي الى ابعاد حدود السخاء . وهو
غني ، غني جداً ، كلما شرف ملهى ابي العز بزيارة نثر الأوراق
النقدية على الحسان وعلى الخدم . وهو لطيف المعشر ، حاضر
النكتة ، حلو الحديث ، ما زال قلبه الاخضر الريان ينبض
بالحب وبالهورى ، وبالشباب . ولذلك فما ان يصل الى ملهى
ابي العز حتى تشب بنات الملهى وخدمه اليه يرحبون به شديد
الترحيب ويسمعونه كلام الاكرام والتقدير . وقسم كل « بنت »
من بنات الملهى على انتظار بمض مقلق حائر ، فهي تنتظر ان
يدعوها سليان بك الى مجالسته والى حسو الخمر معه . و« البنت »
السعيدة هي التي يختارها سليان بك لمجالسته . فهو ينفحها
بالخمر بلا حساب ، لها ان تشرب على قدر ما تستطيع ، زجاجة
ويسكي ، زجاجتان ، ثلاثاً ، أربعاً ، خمساً ، عشرأ .. وأبو العز
يدفع الثمن بكل طيبة خاطر . ثمن كل زجاجة مئة وعشر
ليرات لبنانية . و« البنت » الشاربة في كل زجاجة زهاء
عشرين ليرة لبنانية .

كل سهرة مع ابي العز تجني ابنة الملهى منها مئات الليرات ،
هذا اذا لم يجد عليها سليان بك بخاتم او بسوار ، او بعقد ثمين ..

هواية سليمان بك كانت الاتفاق بسخاء على بنات الليل .. وكان سليمان بك يقول لاصدقائه الذين ينصحونه بالاقتصاد والتقتير ، كان يقول لهم : « بنات الليل بائسات فلينممن بأموالي .. خير لي ان انفق هذه الاموال في حياتي على هؤلاء البائسات من ان انفقه على موائد القمار ، او في ميدان السباق ، او ان اتركه بعد موتي للورثاء ، ينفقونه على المعاصي والشرور ، ويلعنون التراب الذي دفنت فيه .. هذه كانت فلسفة سليمان بك . هو يريد ان ينفق ماله على البائسات من بنات الليل اللواتي يشترين خبزهن بدموع عيونهن .. »

ومست انعام في اذن محاسن ، وهي تسمعها ترفض دعوة سليمان بك : « يا مجنونة ، أيدعوك سليمان بك اليه وعرضين الدعوة السمحاء ..؟ . أنسيت من هو سليمان بك ..؟ »

ولم تجب محاسن ، لم ترد على صديقتها انعام بحرف ، بل هي اكتفت بأن تنفث دخان اللفافة في الفضاء ، وتنظر من خلال زجاج النافذة الى النجوم التي ترصع كبد الفضاء وكأنها لم تسمع ما تقول انعام ..

وكان الخادم لا يزال واقفاً قريبها على حيرة ودهشة ووجوم فتمت : « ماذا تريدان ان اقول له يا ست محاسن ؟ » وزعقت محاسن بغضب : « ألم تسمع ما قلت لك ؟ سلم لي عليه ، قال الخادم محاولاً اقناعها بتلبية الدعوة ، وهو لا يجمل ان تلبية تلك الدعوة ستعود عليه بالربح الوافر . سليمان بك لن يضع له أتعابه بل هو سينفحه في آخر السهرة ، كعادته ، بورقة نقدية

محترمة .. قال : « يا ست محاسن ان سليمان بك زبون سخى الكف . جميع فنانات الملهى بتمنين ان يحالسنه وأن يحتمسون الخمر معه » . قالت ، وقد اشتد بها الغضب : « انا لا اطلب نصيحتك الغالية » . قلت لك بلغه سلامي .. انا لن أليي دعوته ، فليبحث عن فتاة غيري في هذا الملهى » ..

وانصرف الخادم وهو يتمتم : « مجنونة .. مجنونة .. » وعاد الى سليمان بك ليقول بأسف وحبيرة واضطراب : « الست محاسن تعتذر عن تلبية دعوتك الليلة يا سليمان بك » . وفتح البيك فبه دهشة وهمس وكأنه لا يصدق ما يسمع : « تعتذر عن تلبية دعوتي ؟ .. ماذا تقول ؟ »

قال الخادم : « لقد قالت لي ، سلم لي عليهم قال سليمان بك : « أتكون على ارتباط بموعد مع احد الزبائن ؟ » . قال الخادم : « لا اعلم يا سيدي . ولكن يخيل الي انها على قلق وحزن واضطراب . لا أعلم ما بها يا سليمان بك . انها لتجلس هناك في الزاوية البعيدة قرب صديقتها انعام » . وهمس سليمان بك : « طيب طيب .. شكراً » .

وذهب الخادم ، وهو يلعن في نفسه هذه الراقصة المتمردة الحرون .. والتفت سليمان بك الى مرافقيه يعتذر منهم قائلاً : « ارجو المعذرة . سأعود اليكم .. يمكنكم ان تتناولوا ما تريدون من الشراب ومن الطعام . سأعود اليكم بعد قليل » ..

ونفض ، وانجبه الى الزاوية البعيدة ، الى حيث تجلس الراقصتان الحسنوان محاسن وانعام . وتقدم منها ، والابتسام

تشع على شفتيه .. واقترب من محاسن قائلاً : « مساء الخير
يا ست محاسن » .

ووقفت انعام تقول ، والدهشة تعقد لسانها : سليمان بك؟
أهلاً وسهلاً .. أهلاً وسهلاً ، أتلنازل وتحضر بنفسك الينا
أهلاً وسهلاً .

وهمست محاسن وهي لا تزال في جلستها في شرود ذهنها :
« أهلاً وسهلاً يا سليمان بك » . وتمتم البيك : « هل تسمحين لي
يا محاسن بالجلوس قربك ؟ » ولم تجب محاسن لا بأجل ولا بلا
وتولت انعام الجواب ، قالت : (انه لشرف كبير تحيطنا به
يا سليمان بك . تفضل تفضل » . وقدمت له المقعد ، فجلس
سليمان بك قرب محاسن ليقول مازحاً : دعوتك اليّ فأرسلت
لي سلامك اليمين ، أكثر الله خيرك .

وضحكت انعام ، وابتسمت محاسن .. وأكمل البيك
كلامه قال : « أنا لم أكتفِ بالسلام ولذلك فقد جئت اليك
بنفسي يا محاسن .. هل يضايقك جلوسي قربك ؟ » .
وارتسمت على شفتي محاسن ابتسامة هادئة . وهمست :
« أهلاً وسهلاً يا سليمان بك » . فصفق سليمان بك طالباً حضور
الخادم ..

وأصرع الخادم الكريم لينحني أمام البيك هامساً : « أمر
يا سليمان بك ؟ » . والتفت البيك الى محاسن ليقول : « ماذا
تشرين يا محاسن ..؟ ويسكي ..؟ أليس كذلك ؟ أنا اعرفك
من نصيرات الويسكي » . وهمست محاسن : « لا يا سليمان بك .

لا .. لا أريد شيئاً .

وأطلت الدهشة واضحة جلية من عيني البيك . هذه هي المرة الأولى في حياته التي يسمع فيها مثل هذا الكلام من إحدى بنات الملاهي .. وممس : « ألا تريدان ان تشرربي الويسكي ؟ .. ماذا تشربين اذن ؟ .. شيبانيا ؟ » . واتسعت الابتسامة الهادئة على شفتي محاسن نصار . وممس : « لا .. ولا شيبانيا يا سليمان بك » .

وازداد سليمان بك دهشة ووجوماً .. وتتم : « لماذا يا محاسن ؟ لماذا يا ابنتي ؟ قالت : « شكراً يا سليمان بك . يكفيني لطفك وحنانك وعطفك علي » .

وعضت انعام على شفها السفلى حتى كادت تدميها . والتفتت الى محاسن لتقول : « لا يجوز ان ترفضى طلب سليمان بك يا محاسن . هذه اهانة . يجب ان تتناولي شيئاً معه » .

قال البيك مازحاً : « ان انعام تحبني اكثر مما تحبينني انت يا محاسن أهكذا تخجلين تواضعي ، وترفضين ضيافتي ؟ قولي يا محاسن . ماذا تشربين ؟ » . والتفتت محاسن الى الخادم الذي كان يقف أمامهم والحنق يستبد به ، لتقول : « هات فنجان قهوة يا عبده » ..

وعقدت الدهشة لسان البيك . هل هناك راقصة في ملهى تحسو القهوة مع الزبائن الكرام ؟ وحنقت انعام حنقاً شديداً وهي تسمع محاسن تطلب فنجان قهوة . وذعر الخادم . ماذا تقول الراقصة محاسن ؟ .. أيكون في حلم ؟ .. أنجالس سليمان

بك ، وتطلب فنجان قهوة ؟ .. أتكون مجنوننة ؟ .. وقال
سليمان بك مازحاً : « هل تبت الى الله عن تناول الخمر ؟ » .
قالت : « الخمر يضر بصحتي يا سليمان بك ، وقد نهاني الطبيب
عن حسوه » .

قال : « كما تريدن يا ابنتي » . قال البيك هذا ، والتفت الى
انعام ليقول : « وأنت يا انعام .. ماذا تشربين ؟ » . وقبل
أن تجيب انعام التفتت محاسن الى سليمان بك لتقول : « وإنعام
ايضاً تتناول معنا فنجان قهوة » .

وغضبت الراقصة انعام . ورفست صديقتها انعام برجلها
تحت الطاولة الصغيرة . وكادت تقول : لا .. أنا سأشرب
الويسكي . إلا انها خشيت غضب محاسن فاكتفت بأن تطلق
ابلسامة واهية صفراء وتلوذ بالصمت .. وتمم البيك : « وإنعام
ايضاً أصبحت من نصيرات القهوة ؟ .. طيب ، هات فنجانين
قهوة يا عبده لست محاسن ولست انعام . وكأس ويسكي لي
أنا » . واعترضت محاسن قائلة : « لا يا سليمان بك . انت
ستشرب ايضاً القهوة معنا . لا يجوز ان نشرب نحن القهوة
وتشرب انت الويسكي . ستشرب ما نشرب قهوة » . قالت
محاسن هذا والتفتت الى الخادم لتقول : « ثلاثة فناجين قهوة
يا عبده » .

وكاد الخادم يختنق في غيظة . ثلاثة فناجين قهوة بثلاث
ليرات .. لقد كان باستطاعة الراقصة محاسن أن تحسومع
زميلتها وسليمان بك عشر زجاجات ويسكي .. عشر زجاجات

ويسكي بألف ومئة ليرة لبنانية .. لقد خسر الملهي وخسرت
الراقصتان وخسر هو ايضاً . يا لها من فتاة بلهاء .. وسار الخادم
يحر اذبال الحبية والفشل . سار الى صاحب الملهي ، الى ابي العز .
هو سيشكو الراقصة محاسن الى ابي العز ، وستكون وقعتها
سوداء . ان خسارة ابي العز ستكون كبيرة . عشر زجاجات
ويسكي ربحها معروف . هو زهاء ثمانئة ليرة لبنانية ، والويسكي
التي تحسوها البنات في الملهي ممزوجة بالشاي . كان باستطاعة
ابي العز ان يربح ثمانئة ليرة لبنانية في مجالسة انعام ومحاسن
سليان بك . مسكينة محاسن . ابو العز سيخرب بيتها ، اذا
وقف على الخبر المؤلم الرهيب ...

وكان ابو العز جالساً وراء « البار » عندما وصل اليه الخادم
وهو يتمم كلمات تم عما في صدره من غضب وحنق .. وسأله
ابو العز : « ما بك يا عبود ؟ » . وتم عبود : « الست محاسن
ستقضي على هذا الملهي بالخراب وتقضي عليك بالافلاس يا ابا العز » .
وتم ابو العز : « لماذا يا عبده ؟ » ..

قال : « انها لتجلس الآن مع سليمان بك » . قال : « عال .. »
قال عبده : « اي عال » . هو هذا ؟ .. هل تعلم ماذا طلبت
الست محاسن ؟ » . فسأل ابو العز : « ماذا ؟ » . قال الخادم :
« فنجان قهوة » .

فدهش ابو العز وتمم : « ماذا تقول ؟ طلبت فنجان قهوة ؟
هل يخيل اليها في نادي للعائلات المحترمة ؟ » . قال الخادم :
« ليت المصيبة توقفت عند هذا الحد ، اذن لمان الامر » . قال

ابو العز : « أكل .. اكل ، ماذا بعد ؟ » .

قال عبده : « لقد ارغمت انعام وأرغمت سليمان بك على تناول القهوة معها » . فضرب ابو العز كفاً بكف وزعق :
« يا خراب بيتي انا سأعرف كيف اتدبر امرها . سأقصف عمرها وأخذ انفاسها وأقضي عليها » ..

وانصرف الخادم وهو يشتم معاسن ويمطرها بوابل من اللعنات .. وحمل القهوة الى الثلاثة ، الى سليمان بك والى معاسن والى انعام والحنق يعصف به والحقد يكاد يخنقه .. وراحت معاسن ترشف القهوة وتدخن وتساير البيك وتمارحه ، في حين أقامت انعام على صمت وغضب واضطراب .. وجلس ابو العز وراء « البار » يراقبهم والغضب الشديد يعصف به .. وخيل لأبي العز ان معاسن ستعود الى رشدها وتطلب زجاجة ويسكي إلا ان معاسن خيبت الامل . فهي لم تتنازل وتطلب شيئاً .. لا ويسكي ولا شبنانيا ولا حتى كأس عرق او زجاجة جمعة صغيرة .. وانتصف الليل والثلاثة ما زالوا في جلستهم الهائلة .. وقبرم ابو العز وتأفف . ونادى الخادم اليه ليقول له : « قل للست انعام انني بحاجة اليها . فلتحضر الي الآن فوراً » وسار الخادم الى « الست » انعام ليهمس في اذنها : « ابو العز يدعوك اليه » .

ومست انعام : « انني قادمة » . وعاد الخادم ادراجه ، ونهضت انعام لتقول : « ارجو المذرة يا سليمان بك . انني مزمطة للانصراف » وهمس البيك : « مع السلامة يا ست انعام »

وسارت انعام .. سارت الى ابي العز .. واستقبلها ابو العز
بالغضب الشديد . وصرخ بها : « انجيل اليك والى صديقتك
محسن انكا في ضيافة احدى الصديقات العزيزات . تطلبان
القهوة لترشفاها على مهل ، بكل وقار وتهذيب واحترام ؟ » ،
وتمت انعام : « ما هو ذنبي انا ؟ .. محسن ارادت أن تشرب
القهوة . لقد حاولت أن اطلب زجاجة ويسكي إلا أنها حالت
بيني وبين ما اردت ، فهدد ابو العز : « والله لأقتفن عمرها .
اذهي انت الآن وابحشي بين الزبائن الكرام عن « الرزقة » ..
لقد انتصف الليل وانا لم اجن ليرة واحدة .. لا منك ولا من
محسن النعس » ..

وسارت انعام باحثة بين الزبائن عن صديق يجود عليها
بكأس ويسكي .. ولم يطل بها البحث فالمعجبون كثيرون
والاسخياء عديدون ... ومرت انعام بأحد الشبان الاقرباء
مبتسمة له وابتسم الشاب لها ووقف ليقول : « تفضلي يا ست
انعام تفضلي وخذي معي كأس ويسكي » . ألفت غرض مثل هذا
الغرض . وجلست انعام قرب الشاب وراحت تحسوا الخمر
وتسايره وتسامره وتتودد اليه ، في حين مضت محاسن في جلستها
قرب سليمان بك وهي تدخن وتستمع الى حديث البك ،
وافكارها ، هناك في القرية الباسمة الخضراء ، هند حبيب القلب
والروح ..

واشرفت الساعة على الثانية بعد منتصف الليل فبدأ رواد
المقهى العامر ينصرفون وقد افرغوا كل ما في جيوبهم من مال .

والتفت سليمان بك الى محاسن ليقول : « محاسن .. انت يا ابنتي وفرت على الليلة زهاء الف ليرة كنت اريد ان انقدها للخادم ثمن خمر .. هذه الليرات الالف هي من حقك يا محاسن . خذي ، هذه عشر ورقات نقدية كل ورقة من فئة صئة ليرة لبنانية » .

ونثر سليمان بك امام محاسن الورقات العشر ، إلا أن محاسن لم تمد اليها يداً . بل هي نفتت دخان اللقافة في الفضاء والتفت الى سليمان بك لتقول : انني لاشكر لك سخاءك وكرم خلقك يا سليمان بك واعتذر عن قبول هبتك هذه .

وارتسمت الدهشة جلية في عيني البيك . هل هناك راقصة في العالم ترفض مثل هذا المبلغ الرجيح ؟ .. وعادت محاسن الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : « الفقراء احوج مني الى هذا المبلغ يا سليمان بك . هناك كثيرون ناموا هذه الليلة بدون عشاء . وهناك كثيرون لا يستطيعون أن يناموا لأن الاوبئة والامراض والآلام تعذبهم وهم لا يملكون ثمن دواء .. هناك يتامى ليس لهم في هذه الحياة إلا رحمة ابناء الخير . فلماذا لا نكون نحن من ابناء الخير ؟ .. انني لارجوك يا سليمان بك ان توزع هذا المبلغ باسمي على الفقراء المحتاجين » .

وتحولت الدهشة في عيني سليمان بك الى وجوم . ماذا تقول هذه الراقصة الحسناء .

من هي هذه الفتاة الجالسة قربه ؟ .. اترها راقصة في ملهى ، ام انها راهبة في دير ؟ .. وساد الصمت بينها . وراح سليمان بك يفكر بما تقول هذه الراقصة الحسناء : « هناك فقراء ناموا هذه

الليلة بدون عشاء. وهناك مرضى لا يملكون ثمن الدواء الشافي. .
هذا صحيح . وهؤلاء الفقراء والمرضى البؤساء احوج من بنات
الليل ومن اصحاب الملاهي ومن تجار الخمر الى المال .. وماذا
قالت محاسن ايضا ؟.. قالت : لماذا لا نكون نحن من ابناء الخير ؟
صحيح ، لماذا ؟

وامتدت يد سليمان بك الى الاوراق النقدية تجمعها عن
الطاولة ؟.. ومس : « محاسن .. انت قديسة يا ابنتي . مكانك
ليس هنا في هذا الملهى الماجن الصاخب المجنون ، مكانك هناك
في دار الزوجية ، لو لم اكن في عمر والدك لامسكت بيدك الآن
وسرت بك الى داري زوجة مكرمة مصوناً . انت على حق يا
محاسن . يجب أن تكوني من ابناء الخير . كلامك هذا نزل من
قلبي في الصميم . وهذا المبلغ سأوزعه باسماك على الفقراء .
وسأرصد مبلغاً مثله ، الف ليرة كل شهر اوزعها على اليتامى
الفقراء المعوزين . لقد اثار كلامك امامي السبيل الى الخير ، فليزر
الله سبيلك يا ابنتي الى السعادة والهناء .

ونهض سليمان بك يودع الراقصة محاسن ويسير من ذلك
الملهى العاثر الفسيح .. وظلت محاسن في جلستها تدخن
وتنظر عبر النافذة الى النجوم المتبخثرة على مسرح القضاء على
تبه وغنج ودلال .. وهادت الذكريات تداعب فؤادها وتغمر
روحها الهائمة الولوج وهي تستعرض نجوم السماء . هذه النجوم
الساطعة الزاهية المتلألئة كانت تلوح لعينيها ولعيني حبيبها حبيب
مرزوق عندما يجلسان معاً على « سطيحة » داره كل ليلة ..

ترى هل يشاهدها الآن حبيب كما تشاهدها هي ؟ .. وهل ينظر اليها كما تنظر اليها هي ؟ . لقد تغيرت حالها هي . وتغيرت الايام ، وانقلبت سعادتها الى حزن وألم ودموع وشقاء ، وظلت النجوم في السماء كما هي ، لا تتغير ولا تتبدل ولا تغيب إلا لتعود الى الظهور .. وهمست محاسن وهي تستعرض : « ايها النجوم . يا سميرة العشاق ورفيقة الليل الطويل سلمي على حبيب » .. وبدأت الدموع تتدحرج على وجنتيها النديتين الجميلتين ..

وضاعت محاسن نصار عن حقيقتهما وهي تستعرض النجوم وتبكي وتفكر بحبيبها .. ولم تستفق من شرود ذهنها إلا على صوت انعام يناديها : « محاسن ! . هل ذهب سليمان بك ؟ » .. وانتفضت محاسن ، والتفتت الى صديقتها انعام لتمسح دموعها وتهمس : « سليمان بك ؟ هذا هو اول زبون يطير من ملهى صالح ابو العز .. العقبى للزبون الثاني » ..

وجلست انعام قريبا لتمسك بيدها هامسة : « محاسن ! .. لماذا فعلت هكذا ؟ لماذا لم تتناولني الخمر مع سليمان بك ؟ . مهمتنا يا اختي تنحصر في حمل الزبائن على الانفاق . نحن نأكل خبزنا من هذا الملهى وعلينا أن نحرص على مصلحته » وهمست محاسن : « نأكل خبزنا من هذا الملهى ونبذل دموعنا . في هذا الملهى خبز ودمع ليعتدوا يا انعام لا نأكل الخبز ولا نسكب الدمع . ترى هل يوازي الخبز الذي نأكله كل هذه الدموع التي نسكبها يا اختي ؟ » . وتمتمت انعام : « انهضي يا محاسن ، انهضي يا اختي الملهى يكاد يقفر من الزبائن ، والليل سار شوطاً بعيداً في الطريق ،

والفجر أشرف على البزوغ . يجب ان نعود الى دارنا . تعالي ..
تعالي يا محاسن .. ونهضت محاسن .. ودخلت الراقصتان الى
غرفتها لتحمل كل منها حقيبتها وتخرجان . وسارتا نحو باب
المهوى .. واذا بأبي العز يعترض سبيلها ، والغضب الشديد يطل
من عينيه .. ووثب ابو العز الى محاسن ليقول : « ماذا فعلت
ياست محاسن الليلة ؟ .. لماذا لم تطلي الويسكي عندما كنت
تجالسين سليمان بك ؟ » ..

ورفعت محاسن ابا العز بنظرة هزة وسخرية دون ان
تجيب بحرف .. وأمسك ابو العز بكتفها يهزها ويقول :
« ما دمت مغرمة بالقهوة الى هذا الحد ، فلماذا لا تعملين خادمة
وتقدمين القهوة للزبائن وتشربين فضلاتهم » . ورفعت محاسن
يد ابي العز عن كتفها وهمت بالمسير ، الا ان ابا العز عاد يعترض
سبيلها ليصرخ بها : « لماذا لم تشربي الخمر مع سليمان بك ؟ اريد
ان اعلم لماذا ؟ » . قالت : « انا خرة ، أشرب ما اريد ساعة
اريد » .. قال ، وقد اشتد به الغضب : « لا .. انت لست خرة .
ما دمت تعملين في هذا المهوى يجب عليك ان تقومي بواجبك على
اكمل وجه . كيف تريدني ان أنقذك مرتبك آخر الشهر وأنا
لا أجنبي من وراءك ليرة واحدة ؟ » . وبلا مبالاة . أجابت ايضا :
« وأنت ايضا حر . اذا كان عملي لا يرضيك ما عليك الا ان
تطردني من ملهاك الكبير » .

وكان الغضب قد بلغ حده الاقصى في صدر ابي العز فصرخ
بها : « مجنونة .. هل يخيل اليك ان ابا العز لعبة بيدك ؟ لا والله



لا يفرنك من ابي العز لطفه ولينه وحلاوة لسانه . اتا لن
اطردك من هذا الملهى ، ولن اتخلى عنك . انت ستمعلمين في هذا
الملهى طيلة ايام حياتك . وستقيدن بقوانين العمل وبشروطه
والويل ثم الويل لك اذا حاولت التمرد والعصيان .. والله
لاسحقن رأسك سحقاً اذا أعدتها مرة ثانية . اكثر من ألفيرة
لبنانية ضاع علي اللبلة بسببك يا فاجرة ، ..

وتحول الهدوء في صدر محاسن الى غضب ، فتقدمت من ابي العز لتقول بغضب شديد : « اسمع يا ابا العز . لا تحاول ان قلبب بالنار ، انت لن تستطيع ان تمد سلطانك علي بعد الآن . الايام الآفلة مضت ولن تعود . انا حرة الآن . اعمل ما اريد . اشرب الخمر ، اشرب القهوة ، لا اشرب شيئاً ، حرة .. وليس لك ان تعترضني ولا ان تصدر اوامرك . هل يعجبك هذا ؟ .. اذا كان ذلك لا يعجبك فقل لي الآن .. اول الطريق ولا كله» .

فزعل ابو العز : « لا ، هذا لا يعجبني ولا يرضيني ، والويل ثم الويل لك اذا لم تنزلي عند اوامري » . وقابلت محاسن ثورة ابي العز بالمثل ، فوثبت اليه تقول : « لن انزل عند اوامرك تستطيع ان تفعل ما يطيب لك » ..

وأمسك ابو العز بيدها على غضب . وكاد ينهال عليها بالضرب ، الا ان انعام وقفت بينها ، وراحت تلاطف صاحب الملهى وتعمل على التخفيف من حدة غضبه . وأمسكت بيده ، تبعده عن محاسن لتهمس في اذنه : « خفف عنك يا ابا العز والطف بها . هي نائرة الآن . غاضبة .. الكارثة النازلة بها أضاعت صوايها وأثارت اعضائها . اني لأخشى ان تهرب منك اذا قسوت عليها » . وهمس ابو العز : « لا تخافي . هي لن تهرب . انا الآن لا . اخشى ان تفلت من يدي بعد ان تخلى عنها حبيبها . كنت اخشى ان اضيعها وأفقدتها يوم كانت قرب حبيب مرزوق ، اما الآن فهي في قبضة يدي ، ولن تستطيع الافلات » .

قالت انعام : « ان اللين معها اجدى وأنفع يا ابا العز ، هي ستأتمر بأوامرك . واذا كانت قد ارتكبت هذه الهفوة الليلة ، فهي لن تعيدها... هذه الهفوة ولن تتكرر مرة ثانية ، انا أعدك بذلك » .

وصمت ابو العز .. وهمست انعام : « تصبح علي خير » .. وتمت : « تصبحين علي خير » .. وسارت انعام .. وكانت محاسن قد سبقتها الى السيارة ، فوثبت انعام الى السيارة الأنيقة لتجلس قرب محاسن ، وتهمس : « لم يكن لك ان تفضي ابا العز يا محاسن . انه رجل طيب القلب » . وابتسمت محاسن ابتسامة هازئة ، وتمتت : « مسكين .. مسكين .. » قالت انعام : « لقد وعدته بأنك لن تعيدها مرة ثانية . في الليلة المقبلة ستشربين الخمر مع الزبائن الكرام وتعوضين عليه خسارته الليلة » . وتمتت محاسن ، وهي تدير محرك السيارة : « طولي بالك يا انعام علي .. انا سأخرب بيته . انني ما زلت في اول الطريق معه . اذا أبقيت على هذا الملهي فليأخذ الله عمري . ان انتقامي سيكون رهيباً يا انعام . ابو العز هذا سيصبح ، بفضل اختك محاسن متسولاً معدماً فقيراً ، لا يملك شيئاً من حطام هذه الدنيا » . وانطلقت السيارة بهما ، تشق شوارع بيروت المقفرة ، وقد قارب الفجر البزوغ الى الدار والدار القائمة من شارع الحمراء في الصميم .

حبيب مرزوق جالس على - سطيحة - داره المتواضعة
يدخن ويفكر .

فهو قد اتجه الى داره فوراً ، بعد ان خرج من دار الخوري
الياس ، ذلك المساء ، وجلس على المقعد الخشبي على السطيحة
يفكر بكلام الأب الياس . ماذا قال الأب الياس ؟ لقد قال له :
« تستطيع يا ابني ان تتزوج من الراقصة معاسن دون ان ترتكب
خطيئة مميتة » .. وقال له ايضاً وهو يسأله النصيحة : « من كان
منكم بلا خطيئة فليرجعها بحجر » .. وماذا قال ايضاً الخوري
الياس ؟ . قال : « المهم هو ان تكون الراقصة التي تريد الزواج
منها مهيبة . في قلبها روح الله وفي نفسها خوفه تعالى . وقد
تكون هذه الفتاة مضطرة للعمل لتعيش او لتعيل اسرتها . قد
تكون هذه الراقصة بحاجة الى ثراء خبزها بدموع عينيها .
الحياة خبز ودمع ، يا بني . ومن يريد ان يأكل الخبز عليه
ان يسكب الدمع . ما أمر الحياة وما اصعبها على مثل هذه
الفتاة يا حبيب . »

هذا هو رأي الأب الياس .. والأب الياس على حق .. ان
محاسن فتاة مهيبة . في قلبها روح الله . فهو يستطيع ان
يتزوج منها اذن وهو مطمئن البال مرتاح الضمير .. وماذا قال
ايضاً الأب الياس ؟ قال : « قد تربح اجراً بانتشالك هذه
الفتاة من بؤرة الفساد التي تعيش فيها » ..

هذا ما قاله الخوري الياس ، والخوري الياس مطلع على
اسرار الحياة وخفاياها وهو خبير في مثل هذه الامور ويستطيع
ان ينير امامه السبيل الى الحق والصلاح .. ماذا عليه ان يفعل
الآن ؟ هل يتزوج من محاسن ، ام يمضي في عناده ؟ هل يعتمد
عنها ؟ هل يسرع اليها ؟ ليس يدري ، ليس يدري ...

وطال جلوس حبيب مرزوق على - السطيحة - المنبسطة
امام الدار القروية تحت اغصان الاشجار الوارفة الظلال ..
وكانت الشمس قد توارت وراء الافق البعيد ، وبدأت النجوم
ترصع كبد السماء ، وبزغ القمر من وراء القمم العالية السماء ساكباً
نوره الفضي الجميل على تلك الوهاد والتلال والوديان . ونسم
الليل العليل يهب بارداً من وراء التلال . وتلوح في الفضاء قطع
من الغمام الدكناء من حين الى آخر لتحجب القمر والنجوم عن
الارض ، ثم تنقش بعد قليل لتندفع مع الهواء في طريقها الى
الافق البعيد ، وراح حبيب يستعرض القمر والنجوم والغمام ،
وهو يفكر . انه ليفكر بمحاسن . اين هي محاسن الآن ؟ ماذا
تفعل ؟ بماذا تفكر ؟ أتراها تفكر به كما يفكر هو بها ؟ هل هي
حائقة عليه ؟ هل هي غضبي ؟

وطافت الافكار في رأس حبيب مرزوق على سرعة وأندفاع .
وكانت تلك الافكار شبيهة بمواكب الغمام المندفعة في الفضاء على
سرعة وانطلاق .. ولم يستطع حبيب مرزوق ان يتخذ قراراً
حاسماً . لم يستطع أن يقرر العودة الى معاسن ولم يستطع أن
يقرر المضي في الابتعاد عنها ... لم يستطع أن يقرر شيئاً ...
الخوري الياس يدهوه الى الزواج من معاسن وانتشالها من
بؤرة الفساد ومن غياهب الظلام ، ولكن . ولكن بشرط ان
تكون معاسن مهبدة تخاف الله ، وتكون مستعدة لسيان
الماضي والسير في طريق جديد ، طريق الخير والبر والتقوى
والصلاح .. فهل تستطيع معاسن ان تنسى الماضي ، وأن تعيش
معه حياة جديدة ؟ هل تستطيع معاسن ان تسير في طريق البر
والتقوى والصلاح !

اجل . اجل معاسن تحبه ، هو متيقن من حبها . والحب
كفيل بتذليل العقبات والصعاب ... اذن .. اذن ماذا ؟ . ليس
يدري ، ليس يدري ..

وإذا برالدته تطل ... وتقدمت الوالدة منه بخطوات متتدة ،
والحنان يسبقها من عينيها اليه ، والقلق يستبد بها . فهي قد
تعودت رؤية وحيدها في مثل هذه الجلسة الساهرة القلقة الحزين .
كان حبيب يجلس دائماً مثل هذه الجلسة ليفكر ويدخن ويذرف
الدموع ، وكانت امه تتمذّب لعذابه وتألم لآلمه وتبكي لبكائه .
وتقدمت ام حبيب من اينها لتقول : « حبيب ! .. قم
يا ابني ، قم يا حبيبي . العشاء جاهز يا حبيب » .

وهمس حبيب : « لا اريد أن أتناول الطعام يا أمي . ليس لي شهية للطعام » . فجلست الأم البائسة قرب ابنها لتقول : « يا ابني يا حبيب يجب أن تضع حداً لهذه الحال يا ابني انت تسيء الى نفسك والى صحتك والى ايضا . كفى يا ابني ، كفى تعذبني وتعذب نفسك يا حبيب » .

ولم يفه حبيب مرزوق بحرف ، بل هو مضى في صمته وفي وجومه ، وفي تحديقته بالأفق البعيد ...

وعادت الأم الى الكلام لتقول : يجب ان تبحث عن محاسن يا ابني وأن تتزوج منها . لقد أدركت تلك الأم ان ليس الا محاسن من يستطيع ان يعيد لابنها الهناء والسعادة والصفاء . وأم حبيب لا يهمها إلا راحة ابنها وسعادته وصحته . لا فرق لديها أتزوج حبيب من الراقصة محاسن ام من احدى بنات القرية ، كل ما يهمها هو أن تريح ابنها وأن تبعد عنه الغناء والعياء والهلم والحزن والدمع ..

ووجم حبيب مرزوق وهو يسمع كلام امه . امه ايضا تدعوه للزواج من محاسن .. ليس الأب الياس وحده من هذا الرأي .. رأي امه ايضا ينطبق على رأي الأب الياس . اذن .. اذن ماذا ؟ اذن عليه ان يتزوج من محاسن ..

والتفت حبيب الى امه ليسألها : « أتوافقين على زواجي من محاسن يا أمي ؟ » . قالت : « كل ما يريحك يريحني يا ابني . وكل ما يسعدك يسعدني » .

قال : « اذن انت لا تمانعين في زواجي من محاسن ؟ » .

قالت : « لا ابدأ يا ابني . محاسن فتاة فاضلة . وهي تستعذك
وتعيد اليك الصحة والعافية والسعادة والهناء » .

قال حبيب : « هذا هو رأي الخوري الياس ايضاً » .

قالت : « وماذا تنتظر اذن » . قال حبيب والفرحة تغمر
روحه : « انا سأشخص الآن . الآن في هذه الساعة الى بيروت ،

وأعود بمحاسن اليك وستكون حفلة الزفاف غداً . غداً يا امي » .
فارتسمت على شفتي ام حبيب ابتسامة هادئة صافية بيضاء .

المحمد لله ، لقد عرفت شفتا حبيب الابتسام ، وعرفت روحه
السعادة ، وهرف قلبه الطمانينة والهناء . هي لم تشهد ابنها في

مثل هذه السعادة منذ ايام بعيدة . منذ ان وقعت الكارثة .
منذ ان علم حقيقة محاسن وتوارت الراقصة الحسناء عنه . منذ

ذلك اليوم وحبيب يمشي في هم ودمع وألم وشجن ..

اما الآن ، وقد علم ان محاسن ستعود اليه ، فقد استطاع
ان يبتسم وأن يتخلص من همومه وآلامه ودموعه وأحزانه .

ما دامت محاسن تستطيع ان تعيد لحبيب سعادته وهنائه .
فمرحباً وأهلاً وسهلاً بها ..

والتفتت ام حبيب الى ابنها لتقول : « لا بأس يا ابني . سر
الآن الى بيروت ، الآن في هذه الساعة من الليل ، وعدنيها

الي » . سأنتظر عودتكما . ولو ظالت هذه العودة حتى مطلع
الفجر .. ورمى حبيب الساعة المشدودة الى معصنه فاذا بها

تشير الى التاسعة من الليل ، والتفت الى امه ليقول : « سنكون
هنا قبل منتصف الليل يا امي » .

فاغرورت عينا الأم المعجوز بدموع الفرح ، وهي تشاهد
ابنها في فرحته وفي سعادته الهائلة . ووثبت اليه تفضمه الى
صدرها وتهمس في اذنه : « فليوفقك الله ، ويجرسك يا ابني ،
وليفرش طريقك بالزهور والعمور والرياحين » .. وقبل حبيب
يد امه .. ودخل الى الدار ليرتدي ثيابه الانيقة ويهم بالخروج
من الدار ..

واعترضت امه سبيله هامة : « لن تخرج قبل ان تتناول
عشاءك يا ابني » . قال : « سأتناول العشاء مع معاسن ، بعد
ان اعود بها الى هنا » . فأبت الأم ان تسمح لابنها بمفادرة الدار
قبل ان يتناول الطعام .. وأمسكت بيده تجره الى المائدة ...
وجلست قربه تقدم له الطعام بيدها المرعجة الذابلة .. وتناول
حبيب القليل من الطعام . وعاد الى تقبيل امه طالباً منها البركة
والرضا ، وأسرع بالخروج من الدار .. ووقفت الأم تشيعه
بنظرات العطف والحنان ودموع الفرح تترقرق في عينيها ...
وشاهدته يسير بين الاشجار الوارفة الظلال يغمره نور القمر
الفضي الجميل فهمست ، وهي تمسح دموعها : « احرسه يا رب
وأعده اليّ سالماً معافى » . وسار حبيب .. سار الى سيارته
الصغيرة السوداء يستقلها ويطلق لها العنان في طريق بيروت
والسعادة تغمر روجه وتخلع على قلبه وشاحها الناصع البياض .
انه ليشتخص الى بيروت ، الى شارع الحمراء ، الى دار معاسن ..
سيمسك بيدها ، ويعود بها الى القرية الهاجمة . يا لفرحته الباسمة
الهائلة البيضاء .

شارع الحمراء في بيروت يفرق في ساطع الانوار ، وينعم بالزهو واللهو والاعتداد . وشارع الحمراء بين شوارع بيروت الارستقراطية في المقدمة . فهو مقر الرجال الدبلوماسيين ، وكبار الموظفين ، وكبار الفنانين وكبار رجال المال والاعمال . وليس للفقراء البؤساء المعوزين مكان في شارع الحمراء الطويل الفسيح الارعاء . ما هناك سوى الاغنياء الاثرياء الموسرين . والبنائيات الشاهقة الشامخات تنصب في شارع الحمراء على مجد وفن وجمال ، والمحال التجارية الواسعة ، ودور السينما ، والنوادي تجتم في ذلك الشارع الفسيح على راحة وهناء واطمئنان .

وكانت الساعة تشير الى العاشرة من الليل عندما وصل حبيب مرزوق الى شارع الحمراء في سيارته الصغيرة المتواضعة السوداء . وكانت الانوار الزاهية المتعددة الالوان تغمر ذلك الشارع الجميل . وكانت الموسيقى تتعالى من تلك الدور الانيقة الفخمة ، من مندياع او من جهاز تلفزيوني ، فتنساب في الاذان على رقعة وعذوبة وشجوة لتبعث الشوق والحنين والحمان في

القلوب والارواح ..

وأوقف حبيب مرزوق السيارة الصغيرة امام بناية الراقصة
معاسن ، وترجل من السيارة ، ودخل الى البناية الساطعة
الانوار .. واستقل المصعد الى دار معاسن ووقف امام الباب
باحثاً عن الاسم .. فهو يريد أن يتأكد من ان تلك الدار هي
دار معاسن .. وقرأ الاسم المثبت على قطعة من نحاس لامع
قرب الجرس : « معاسن نصار » وامتدت اصابعه الى الجرس
تقرعه .. ووقف ينتظر .. إلا أن انتظاره طال والباب ما زال
موصداً . فها هناك همسة في الدار ولاحركة ولا صوت .. وعاد
حبيب يقرع الجرس ، وعاد الى الانتظار مجدداً . إلا أن
الباب لم يفتح .. وطال الانتظار دون جدوى ، وتكرر القرع
دون جدوى ايضاً .. واذا بباب الدار القائمة قرب دار معاسن
يفتح ويخرج منه شابان .. انها جارا معاسن .. وشاهد الشابان
حبيباً يقف بباب دار معاسن فتبادلا النظرات والابتسامات ..
وتقدم حبيب منها يسألها : « أليست هذه الدار دار معاسن يا
سيدي ؟ » وقال احد الشابين : « الراقصة معاسن ؟ » قال
حبيب : « اجل الراقصة معاسن » وارتسمت على شفهي الشاب
ابتسامة هزه وسخرية . وعاد يتبادل النظرات الهازئة مع رفيقه
ليقول لحبيب : « لقد تأخرت في الحضور اليها . معاسن ذهبت
الى عملها . يمكنك أن تعود اليها عند الفجر » .
وشعر حبيب مرزوق بقلبه يتمزق وپروحه تذبذب ، كما
تذبذب الشمعة المضاءة تحت حرارة النور ، وهو يسمع جواب

الشاب ويشاهد ابتسامته وابتسامه رفيقه الهازتتين . وهمس
بدهشة واستغراب : « ذهبت الى عملها ؟ .. واين تعمل الان ؟ »
وهمس الشاب وهو يهم بالمسير مع رفيقه .
« اذا كنت مستعجلاً تستطيع أن توافيها الى الملهى . انها
تعمل في ملهى ابي العز في ساحة الشهداء . ستجدها بانتظارك
هناك » . وهمس رفيقه : « نتمنى لك ليلة طيبة يا صاحب الحظ
السميد » .

وسار الشابان الى المصعد بهبطان به الى الشارع وهما يقهقهان .
وكانت قهقهاتها تنزل في اذني حبيب مرزوق كقصف الرعد .
وكدوي المدافع .. وشعر بدوار شديد ، شعر بالمياء ، بالوهن .
واحس بأعصابه كلها ترتجف ، وبركبتيه تصطكان ، وخشي أن
تعجز ركبتاه عن حمله ، وخاف أن يسقط على الارض فاستند
الى الجدار .. محاسن عادت الى عملها ؟ .. عادت الى الملهى ؟ ..
عادت الى الرقص . هل عادت الى ماضيها الموبوء ؟ اترها تحبه ؟ ..
لا . لا . لو كانت تحبه لما تناست هواه وعبثت بذكراه ، وعادت
الى ذلك الماضي القاتم السواد ، محاسن ستظل راقصة . هي
لن تستطيع الافلات من قبضة ذلك الماضي الرهيب الذي تعيش
فيه . ما له ولها ، فليبتعد عنها ، فلينس حبها وليلسها وليعيش
العمر كله في آلامه وعذابه ودموعه . يجب أن يبتعد عن هذه
الراقصة المغتاج ، فليعد الى القرية حالاً قبل أن تخور عزائمها ،
وقبل أن تسقط به قدماه ..

وسار وهو يتعسس الجدار خشية السقوط . سار الى المصعد

ليهبط به الى سيارته الجائئة امام تلك البناية الشاهقة على ذل
وتواضع وانكسار ..

واشتغل السيارة .. وادار المحرك فسارت به تطوي ذلك
الشارع الفسيح على تمهل واتثاد .. وعادت الافكار المؤلة المعذبة
تؤله وتعذبه : لماذا عادت محاسن الى الرقص ؟ .. لماذا تناست
وعودها وعهودها ؟ لماذا عبثت بحبه وكفرت بهواه ؟ لماذا ؟
لماذا ؟ لماذا ؟ .. واذا بكلمات الحوري الياس ترن في اذنيه :
« قد تكون هذه الفتاة مضطرة الى العمل لشراء خبزها او
لأعالة امرتها » .. وشعر ببعض الارتياح وقد ترددت في اذنيه
تلك الكلمات .. وعاد الى التفكير فيما تطوي به السيارة حنايا
ذلك الشارع الرحيب . من قال له ان محاسن تناست حبه
وعبثت بهواه ؟ .. من قال له انها غدرت به ، قد تكون مضطرة
للعمل ، قد تكون ثمة اسباب تهيب بها الى الرقص . لماذا يصدر
عليها حكمة القاسي الرهيب قبل أن يستمع الى دفاعها ؟ .. يجب
أن يراها ، وأن يستمع الى دفاعها .. من يدري ماذا سيكون
ذلك الدفاع ؟

وطافت في رأس حبيب مرزوق عشرات الافكار .. وكاد
يضيع بين افكاره المتعددة المتناقضة المندفعة في رأسه على سرعة
واندفاع .. وسارت به السيارة دون أن يعلم الى اين تسير .
كانت روحه تقود تلك السيارة لا جسده ، كان قلبه يقبض على
المقود لا يدها .. واذا به يجد نفسه فجأة ، في ساحة الشهداء ..
هذه هي ساحة الشهداء . الشابان ، جارا محاسن قالوا له :

«الراقصة محاسن تعمل في ملهى ابي العز في ساحة الشهداء» ..
هذه هي ساحة الشهداء الفسيحة الارزاء ، فأين هو ملهى
ابي العز ؟

وأوقف حبيب مرزوق السيارة الى جانب الرصيف. وترجل
منها ، وسار بقدمين واهيتين خائرتين مرتجفتين باحثاً بين تلك
الملاهي العديدة المنتشرة في ساحة الشهداء عن ملهى ابي العز .
ولم يطل به البحث ، ملهى ابو العز يحتمل بين تلك الملاهي المقام
المرموق . فهو ينتصب على شموخ وازدهار . ها هو اسم صاحب
الملهى يعملوا الباب العريض : « ملهى أبو العز لصاحبه صالح
أبو العز » .. صالح أبو العز ؟ .. اذن صالح أبو العز ليس نسيب
محاسن كما ادعت . انه سيدها . انه صاحب الملهى الذي تعمل
فيه . لقد كذبت محاسن عليه اذن . فهل يغفر لها هذه الكذبة ؟
وضحك حبيب من نفسه وهو يطرح على نفسه هذا السؤال .
لقد غفر لها كل « كذبتها » فهل تقف في سبيله هذه الكذبة
الصغيرة ؟ .. وبخطوات متتدة حيرى وجلة تقدم حبيب مرزوق
من باب الملهى . وبقدمين مرتجفتين صعد السلام الرخامية القليلة
ليجد نفسه في قاعة كبيرة شاسعة ، رحبة ، واسعة الأجزاء ..
وكانت الساعة تشير الى الحادية عشرة من الليل . والموسيقى
تعالى صاحبة تكاد تصم الأذان ، والدخان ، دخان التبغ
والتبناك يعقد اجنحة دكناء في فضاء القاعة ، والزبائن الكرام
يزدهون حول الموائد العامرة بكل شهي من الطعام والشراب ..
وتوغل حبيب مرزوق في الملهى ، ومشى بين الموائد المنتشرة في

تلك القاعة الرحبة ، وسار بين الزبائن الكرام متقدماً من المسرح .. وكانت ثمة راقصة تتأيل على المسرح بقدها الرشيقة وتتلوى على انغام الموسيقى الصاخبة الهوجاء ، وكان الدخان المعقود الأجنحة في القاعة يكاد يحجب عن عينيهِ وجهه تلك الراقصة فلم يتبينه جيداً إلا وقد أصبح على مقربة من المسرح .. وصفق حبيب مرزوق وقد تبين وجه الراقصة ، وعرف فيه وجه محاسن .. محاسن ؟ .. هذه هي محاسن التي ترقص هذا الرقص السافر الخليع ؟ .. لا ، لا ، لا . مستحيل ، مستحيل .. ولكن عينيهِ قوكدان ان الوجه وجه محاسن ، والشعر شعر محاسن ، والابتسامة ابتسامة محاسن . والقوام قوامها والقدر قدها ، فهل يكذب عينيهِ ؟ ..

وعاد العياء يعصف به ، والعناء يرهق اعصابه ، وهادت ركبته الى الارتجاف ، وشفته الى الارتعاش وقلبه الى القلق والاضطراب .

وخشي حبيب ان يسقط الى الارض ، فسار بقدمين واهيتين الى الجدار القريب ليسند ظهره الى الجدار ، والقلق والوجوم والاضطراب تعصف به وترهق جسده المضطرب الواهي السقيم . وأخذت الدموع تتدحرج على وجنتيه .

وكانت محاسن ترقص رقصاً رائعاً فاتناً . كانت تبدع في رقصها ، وكان التصفيق يتعالى في ارجاء الملهى اعجاباً بها واستحساناً .. وبدأ الزبائن المحبون يمتطرونها بكلمات ماجنة تمبيراً عما يجيش في صدورهم من احجاب وتقدير لها ولجمالها

ولرقصها .. وطريقة ابناء الليل في ابداء الاعجاب والتقدير
معروفة، فهي قبضة من الكلمات السافرة المحملة التي يأنفها الذوق
السليم وتترفع الشفاه عن التلفظ بها في معرض الحشمة والوقار ..
فهنا شاب يرفع كأس العرق بيده ويصرخ بأعلى صوته :
« كأس ربك الي خلقك » ..

وهناك رجل بدين يدخن النارجيلة ، ويحشوا فيه بأصناف
الطعام يعربد وهو يصفق لها : « يسلمولي هالعيون » ... وهناك
ثلاثة شبان يدخنون ويشربون الخمر ويتبادلون القهقهات ،
يصفرون ويصفقون ويولولون بصوت واحد : « يا عيني على هالقد
يا محاسن » .

وكانت تلك الكلمات السافرة الماحنة المتهتكة تنزل في اذني
حبيب مرزوق كالحراب وكالتنبال لتستقر في قلبه وتشنخه
بالجراح .. وانهمرت الدموع غزيرة على وجنتي حبيب وهو يشاهد
محاسن ترقص ويسمع تلك الكلمات النابية تنهال عليها من كل
صوب .. واحترار حبيب في امره .. ماذا عليه ان يفعل الآن
بعد ان رأى ما رأى وشاهد ما شاهد وسمع ما سمع ؟ .. هل
يشب الى محاسن ويرغمها على الانقطاع عن الرقص والسير معه ؟ ..
هل يهجم على هؤلاء المرعدين السكارى ويحطم تلك الزجاجات
والكؤوس والأطباق والطاولات والمقاعد على رؤوسهم ؟ .. هل
يكتفي بما شاهد ، وبما سمع ويعود ادراجه الى القرية ؟ .. ماذا
سيفعل ؟ .. ليس يدري .

وطالت وقفت حبيب مرزوق في ذلك الملهى ، وهو يسند

ظهره الى الجدار ويبيكي ويفكر .. ولم يستطع حبيب ان يتخذ اي قرار . لم يكن قادراً على اتخاذ القرار الحاسم الحازم السريع .. وبدأت الانظار ، انظار الزبائن والراقصات وبنسات الليل ، تتجه اليه . وبدأت الهمسات تتعالى : « انظروا هذا الشاب الواقف هناك . انه يبكي » .

وأثار حبيب شفقة الفئات اللواتي يجالسن الزبائن ، في حين اثار تهكم الشبان وهزءهم وسخرتهم وضحكهم .. وكانت محاسن ترقص دون ان تلتفت الى احد . كانت منهكة بالرقص ، ولذلك فهي لم تره بالرغم من انه كان على مقربة من المسرح ..

وفجأة وقع نظر محاسن عليه في وقفته المؤنة فذهرت . ماذا ترى ؟ ان تكون في حلم مزعج رهيب ؟ .. هل تخدعها عيناها ؟ .. أليكون هذا الواقف هناك حبيباً ؟ .. لا . لا . لا ، مستحيل هي وائمة . هذا ليس حبيباً . حبيب لا يدخل الى هذا الملهى الموبوء . انها تحلم ، انها تخدع . عيناها خادعتان كاذبتان تحاولان ان تخدعاها . هذا ليس حبيباً مرزوق .. وسمرت عينا محاسن في عيني حبيب . وتأكدت من انها ليست وائمة . هذا هو حبيب .. وأخذت محاسن ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح العاتية الهوجاء . وخشيت ان تقع على المسرح ، وهناك الفضيحة الكبرى ، فتراجعت الى الوراء وريداً وريداً وهي تحاول جاهدة اخفاء قلقها ووجومها وارتماشها واضطرابها .. وأنت رقصها على عجل .. وأسرعت بالدخول

الى غرفتها من الملهى لتزوع عنها ثياب الرقص وترتدي على عجل ثيابها وتم بالخروج من الغرفة

وإذا بصديقتها انعام تعترض سبيلها متممة : « محاسن ا.. ما بك ، لماذا انقطعت عن الرقص قبل ان تنهي وصلتك ؟ . لماذا انت هكذا صفراء الوجه ، تأثمة النظرات ، مرتجفة ، وجلة ، قلقة ، حيرى ؟ ما بك يا اختي ؟ .. »

ومست محاسن ، وهي تهم بالمسير : « انه هنا .. »

ودهشت انعام . ومست : « من ؟ حبيب ؟ » .

وتتمت : « اجل حبيب يا انعام . لقد شاهدته يقف مسنداً ظهره الى الجدار والدموع تنحدر على وجنتيه بغزارة . كان منظره يفتت الاكباد . وشعرت بالوهن وبالعياء ، وخشيت ان اقع على الأرض فانقطعت عن الرقص وهربت .. »

قالت انعام : الى اين تذهبين الآن ؟ قالت : « انني شاخصة اليه . اريد أن اراه .. اريد أن اكلمه ، اريد أن اسمع صوته يا انعام . » فأمسكت الراقصة انعام بيد صديقتها محاسن لتقول : « محاسن ا.. كوني عاقلة يا اختي . مالك وله . يجب أن تبعدني عنه . وفي البعاد عنه بعباد عن الهم والألم والشجن والدموع . لقد بدأت تسيرين الآن في طريق النسيان فلماذا تريدن العودة الى اول الطريق ؟ .. » فتدحرجت الدموع الغزيرة على وجنتي الراقصة محاسن ومست : « اريد أن اراه . اريد أن اراه » وتمت انعام بحزم وعزم وثبات : « لا ، لا يا محاسن . لا يجوز أن تشاهده . لا تعذبه ولا تعذب نفسك يا اختي حرام عليك

يا محاسن . كوني هاقلة . حكى عقلك يا حبيبتى . تعالى . تعالى .
 ومسحت محاسن دموعها الغزيرة المناسبة على وجنتيها . وهمست
 باسترحام واستعطاف ورجاء : « ارجوك أن تساعديني وأنت
 تسهلي لي السبيل اليه . اريد أن اراه . اريد أن استمع الى كلامه
 اريد أن ارتمي على صدره وافرح كل ما في عيني من دموع » .
 وضممتها انعام الى صدرها برفق وحنان وهمست : « اي
 فائدة من هذا اللقاء يا محاسن ؟ .. ماذا ستكون نتيجةه ؟ كلام ..
 وعذاب وبكاء ونحيب ودموع . ثم .. ثم ماذا ؟ فراق .. لقد
 اصبحت هناك وهدة عميقة الآن بينك وبين حبيب مرزوق لا
 انت تستطيعين اجتيازها للوصول اليه ، ولا هو يستطيع
 اجتيازها للوصول إليك . حبيب لن يرضى بالزواج منك بعد
 أن وقف على حقيقتك ، لا سيما بعد أن شاهدك ترقصين الآن
 وتعرضين جسدك البض الجميل على انظار السكارى والمهربدين .
 ما لك وله يا محاسن . ابتعدي عنه ، لا تفكري به . لا تسلسلي
 للعذاب وللآلام يا اختي . تعالى . تعالى يا محاسن ، .. وسارت
 الراقصة محاسن برفقة زميلتها انعام وهي تفكر بما قالت لها
 الزميلة العزيزة .. انعام على حق . اي فائدة ترجى من هذا
 اللقاء الالم ؟ ..

ان مشاهدة حبيب اعادت الى عينيها الدموع ، بعد ان كادت
 تلك الدموع تجف ، فماذا سيفعل بها التحدث اليه ؟ . ماذا
 ستفعل وهي تلف امامه وقفة المجرم السفاح في ساحة القضاء
 العادل الرهيب ؟ .. من المؤكد انها ستعجز عن الوقوف امامه

وعن التلطف بكلمة واحدة على مسمعه . هي لن تستطيع أن
تخاطبه لن تستطيع أن تشاهده ، لن تستطيع أن تنظر اليه .
فلتبتعد عنه . فلتبتعد عنه ، وفي البعاد راحة له ولها .. ومشت
محاسن قرب انعام .

وكانت انعام تمسك بيدها وتقودها كما يقود المبصر الضريير ..
ولم تكن محاسن لتعلم الى اين تسير بها انعام . لم تكن لتعي
شيئاً .. ومرت بالمعجبين من الزبائن فراحوا يحمونها ويرحبون
بها ويسكبون في اذنيها كلمات التقدير والحب والاعجاب ، إلا
انها لم تكن لتسمع او لترى شيئاً .. وسارت انعام بها الى آخر
القاعة ، الى الزاوية الغارقة في النور الاحمر الواهي الضئيل .

وكان غمّة شاب في مقتبل العمر جالساً وراء مائدة بسطت
فوقها المآكل الشهية والخمر الفاخر . انه احد المعجبين بمحاسن ..
ووقف الشاب يرحب بالراقصتين الجميلتين وهو يشاهدتهما مقبلتين
نحوه .. وتقدمت انعام منه وهي تمسك بيد محاسن هامة :
« مساء الخير يا ابراهيم ، ومد ابراهيم يده يصافح انعام ثم يصافح
محاسن متمتماً : « اهلا . اهلا وسهلاً بالكواكب والنجوم
والاقمار . اهلا اهلا » قال هذا وقدم لها مقعدين ..

وجلست انعام قربه .. وجلست محاسن عند النافذة
الزجاجية قرب انعام .. وانصرفت الراقصة انعام الى مسامرة
ابراهيم والى مسامرتة والى التحدث اليه بلطف وغنج ودلال في
حين راحت محاسن تستعرض النجوم السابجة في الفضاء بمينين
تغمرها الدموع الحمراء .. والتفت ابراهيم الى انعام ليقول :

« ما بها صديقتك محاسن يا انعام ؟ » . وهمت محاسن :
« مسكينة . رأسها يؤلمها » . وارتد ابراهيم الى محاسن ليقول :
« محاسن ! .. هل ابتاع لك قرص اسبرين ؟ » .. وارتسمت على
شفتي محاسن ابتسامة واهية صفراء برزت من وراء دموعها كما
تبزغ شمس الخريف من وراء الغمام الدكناء . وهمت : « لا
شكراً .. » . وصب لها كأساً . وناولها ايادها . وحاولت محاسن
الاعتذار عن تناول الخمر ، إلا أن انعام كانت قد تناولت الكأس
من يد ابراهيم وقدمتها لها وهي تحدجها بنظرة قاسية لتقول :
« خذي اشربي . الخمر تخفف من حدة الصداع يا محاسن » ..
ولم تستطع محاسن الرفض وهناك انعام تحدجها بتلك النظرة
القاسية الحازمة ، فتناولت الكأس من يدها وهمت بان ترشف
ما فيها ..

وإذا بحبيب مرزوق ينتصب امامها كصوت القدر ..
وارتمشت الكأس بين يدي محاسن . وراحت تحدق بحبيب من
خلال دموعها . وراح حبيب يحدق بها من خلال دموعه .
وتحطمت الكلمات على الشفاه الاربع . على شفتي محاسن وعلى
شفتي حبيب فلم يستطع احدهما ان ينطق بحرف ..

وكان سكوتها سكوتاً رهيباً اشبه بالسكون الذي يسبق
العاصفة العاتية الهوجاء .. وتبادل ابراهيم وانعام نظرة دهشة
وعجب .. وبخطوات مثثة حيرى تقدم حبيب مرزوق من
الراقصة محاسن ليهمس كلمتين .. كلمتين فقط : « محاسن ! ..
تعالى » . ولم تجب محاسن بحرف ، بل هي ألقت بالكأس من

يدها، ونهضت .. نهضت والدموع تنسكب بغزارة على وجنتيها ..
وامسكت انعام بيدها هامة : « اجلسي يا محاسن » إلا
ان محاسن لم تستجب لدعوة انعام فأفلتت يدها من يد انعام
وسارت نحو حبيب . فكان ثمة قوة ممغطة تجذبها اليه ..
وتقدمت منه بكل هدوء وخشوع كأنها في معبد تتقدم من
هيكل مقدس . واقتربت منه وهي تبكي فمد لها يده ..
وتشابكت اليدان .. وسار حبيب فسارت محاسن قربه ويدها
بيده مخترقين معاً صفوف رواد الملهى الفسيح الارجاء ..

والتفت ابراهيم الى انعام وهو يشاهد محاسن تسير برفقة
ذلك الشاب الغريب ليقول بغضب وهو يهيم بالنهوض :
« سأحطم رأس هذا الشاب الوقح » وامسكت انعام بيده
هامة : « اجلس انه خطيبها » .. وجلس ابراهيم ليهمس
بدهشة واستغراب : « خطيبها ؟ » وتمتت انعام : « اجل
خطيبها .. » وادمعت عيننا انعام وهي تشاهد صديقتها محاسن
تخرج برفقة حبيب من الملهى . وهمست ، وهي تغمض عينيها
على دموعها : « خذ بيدها يا رب واحرسها وافرش امامها
الطريق بالسعادة والهناء » .

وفتحت انعام عينيها لتشاهد ما يخرجان من باب الملهى
الكبير .. ونهضت ، والتفتت الى ابراهيم هامة : « المذرة يا
ابراهيم . سأعود اليك بعد برهة وجيزة » .
قالت انعام هذا ، وهرولت مسرعة وراء محاسن وحبيب .
وأدركتها ، وهما يقفان امام سيارة حبيب .. ووثبت انعام

الى صديقتها محاسن فاتحة لها ذراعها . وارتمت محاسن بين
الذراعين المفتوحتين ، وتعانقت الصديقتان الوفيتان ودموع الفرح
تترقق في عيونها . . ومست انعام في اذن محاسن وهي تعانقها :
« فليوفقك الله يا اختي وليحرسك ، ويسعد قلبك الطاهر النبيل ، .
ومست محاسن : « فليفتح الله العلي العظيم لك طريق الخلاص
من هذا الجو الموبوء كما فتح امامي هذا الطريق يا انعام . سأكون
بانتظارك في القرية الباسمة الخضراء يا حبيبتي » .

قالت محاسن هذا وانسلخت عن انعام لتقول : « انا ذاهبة
الآن مع حبيب . هذه الساعة هي اسعد ساعات حياتي يا انعام .
ثيابي ومحفظتي واغراضي كلها ما زالت في الغرفة ، في الملبى .
ارجو ان تنقلها الى الدار . ثياب الرقص هي لك . ومفتاح
السيارة في المحفظة . ارجو ان تنقل السيارة من هنا الى المرأب
يا انعام . تستطيعين يا اختي ان تتصرفي بكل ما أملك ربنا
اتدبر اموري . قد اعود بعد ايام قليلة مع حبيب اليك وتنفق
على كل شيء » .

والتفتت انعام الى حبيب لتقول : « فليوفقكما الله يا حبيب .
محاسن امانة في عنقك وأرجو ان تحافظ على الامانة » .
ونتم حبيب وهو بهم بالصعود الى السيارة ، الى سيارته
الصغيرة السوداء : « اطمئني يا انعام ، محاسن عندي في مقام
القلب والروح » . وصعدت محاسن الى السيارة الصغيرة لتجاس
قرب حبيبها وتلقي برأسها الجميل الى كتفه . . وانطلقت السيارة
بها في طريق القرية الهاجعة الباسمة الخضراء .

احتفلت القرية الصغيرة الحاملة بعرس حبيب مرزوق ومحاسن
نصار احتفالاً هادئاً متواضعاً . فقد أبى حبيب مرزوق ان يحمل
من عرسه مهرجاناً تنطلق فيه القرية بأسرها انطلاقاً البهجة
والخبور . فاليوم ، يوم العرس ، ليس يوم عطلة .. لقد جاء حبيب
الى القرية بحبيبته عند منتصف ليل الاربعاء وكان العرس في صباح
يوم الخميس .

وقف حبيب قرب محاسن امام الخوري الياس ووقفت أم
حبيب قرب ابنها والتف حول العروسين انساب حبيب وبعض
اصدقائه وأقاربه . وانطلق بعض الاولاد الى الحقول يجمعون
الازهار البرية ويحملونها الى العروس الحسنة .. وحملت محاسن
تلك الزهور البرية المتواضعة ، وضمتها الى صدرها كأنها تريد ان
تحتفظ بها الى الابد .. كانت تلك الزهور الوضيعة لدى محاسن
افضل من كل ما شاهدت وتلقت في حياتها من زهور وورود
ورياحين .. وأدمعت عينها محاسن والأب الياس يرفع يده فوق
رأسها وفوق رأس عريسها ليباركها .. لا بد من الدموع في

مثل هذا الموقف الرهيب .. وانتهت مراسم الزفاف فوثبت أم حبيب الى محاسن تضمها الى صدرها . وأقبل الامل والاصدقاء يهنئون العروسين والفرحة تغمر قلوبهم وأرواحهم . وانتقل الجميع الى دار العروسين السعيدين حيث قامت أم حبيب بالواجب المفروض وقدمت للمهنئين المشروبات والحلويات والاثمار .. وانتشر الخبر في القرية على سرعة وانطلاق : « حبيب مرزوق تزوج من البيروتية الحسنة » . وما ان عاد العمال والفلاحون ، في المساء من اعمالهم ، حتى انطلقوا الى دار العروسين ، عاقبين على حبيب لأنه احتفل بزفافه في يوم ليس يوم أحد ولا هو يوم عيد ليشاركوه فرحة العرس . ليس من عادة شبان القرية ان يحتفلوا بزفافهم إلا في ايام الاحاد والأعياد . وتولت أم حبيب الاعتذار : « لا بأس .. يوم الاحد قريب . وأتم مدعوون لتناول طعام الغداء عندنا يوم الاحد » . واطمأن أبناء القرية ، سيقومون بالواجب المفروض حيال العروسين يوم الاحد ان شاء الله .. وكانت محاسن تجلس قرب حبيبها حبيب والدنيا على سعتها لا تلسع لفرحتها .. لقد عرفت اخيراً محاسن نصار لذة السعادة والهناء ، واستطاعت شقتها الندية ان تتذوقا لذة الابتسام ، وهيناهما النجلاوان تخلصتا اخيراً من مرارة الدمع المتهون ، يا لسعادتها ويا لفرحتها ، ويا لهناها الباسم الهانئ الوارف الظلال . ستعيش العمر كله ، هكذا ، قرب حبيب القلب والروح .. واطمأنت محاسن نصار كل الاطمئنان ، وقد جاد الله عليها بكل ما تمنى وعروم في هذه الحياة .

وكان يوم الاحد ، واذا بأبناء القرية يزحفون الى دار حبيب مرزوق للاحتفال بزفافه الميمون .. لا بد من الاحتفال بالعرس ولا بد للراقصين من الرقص ، وللدابكين من الدبك ، وللزجالين من نثر روائعهم في وصف العروسين الكريمين .. وازدهت دار حبيب مرزوق وترنحت وازدهرت وقد اقيم فيها وفي حديقتهما الغناء المهرجان الرائع الجميل ، واستمر الرقص والدبك وانغناء في دار حبيب حتى ساعة متأخرة من الليل . ولم ينصرف ابناء القرية من دار العروسين إلا وقد قارب البزوغ .

* * *

محاسن نصار زوجة حبيب مرزوق على سعادة هائلة وارفعة الظلال .. هي لم تعرف يوماً السعادة في حياتها مثلها الآن وهي تعيش قرب حبيب القلب والروح .. كل ما في العالم من سعادة وبهجة وهناء وارتياح جمعها الله انسخي الكريم وغمر بها محاسن .. وكانت محاسن تنهض في ساعة مبكرة من الصباح ، على غير عادتها ، فتدخل الى المطبخ وتهيء القهوة لطبيب ولأمه وتحملها لهما بيديها ، ويجلس الثلاثة ، محاسن وحبيب وأمهم ليرشفوا القهوة ويتبادلوا الاحاديث . ويرتدي حبيب ثياب العمل ، ويشخص الى البستان او الى الحقل او الى الكرم ، ولا تلبث محاسن ان تلحق به حاملة له طعام الصباح ، ويتعانقان ... ويجلسا معاً ، على الارض ، تحت ظلال شجرة باسقة وارفعة الاغصان ، او فوق صخرة متواضعة ملساء . وتشعر محاسن نصار ، وهي تجلس قرب حبيب ، فوق الصخرة او على الارض

بأنها جالسة فوق مقعد رجراج وثير . وتتناول الطعام بلذة
وشهية ونهم ، وتقدم الطعام لحبيب بيديها ، ويتسامران ويتحدثان
ويضحكان مشاركين الاطيار تغاريدها والانهار تراقيلها والازهار
فرحتها وسمعتها وهناءها ..

وعندما يقتنيان من تناول الطعام تأبى محاسن ان تعود الى
الدار . فهي تريد ان تساعد زوجها في عمله .. ويضحك حبيب .
ويضمها الى صدره العامر الحنون بقوة وجنون وهمس في اذنها :
« مكانك ليس هنا يا محاسن . مكانك هناك في الدار يا حبيبتى » .
وتطوق عنقه بذراعيها وتهمس : « مكاني حيث يكون
زوجي .. لن تستطيع ان تفلت مني . لن تستطيع ان تباعد
عني ، لن تستطيع ان تخلص من محاسن يا حبيب » ..

ويضحكان .. ويهمس حبيب ، وهو يضمها الى قلبه : « ولا
انت تستطيعين الافلات من يد حبيب بعد الآن » .

وقمض عينيها وتهمس : « هل يخيل اليك انني أرغب في
الافلات يا حبيبي ؟ لا ، وحياتك يا حبيب ، وحياة هينيك
الحلوتين يا روح محاسن . انني لأصلي الى الله ، وأضرع له ألا
يبتني ، ألا يفض عيني إلا وأنا هكذا بين ذراعيك » .

ويتم حبيب : « نحن سنظل معاً مدى الحياة .. مدى
الحياة يا روح حبيب ويا نور عيني » .

وينطلقان الى العمل معاً ، ويعودان معاً الى الدار عند الظهر
ليتناولا طعام الغداء مع ام حبيب .. ويرتاحان قليلا ليعودا الى
العمل .. وفي المساء يقضيان السهرة ، إما في الدار ، وإما في

دار احد الاقارب او احد الاصدقاء .. وتعودت محاسن حياة القرية ، وارتاحت كل الارتياح الى تلك الحياة . ونسيت محاسن ماضيها الموبوء ورمت بذلك الماضي في وهاد النسيان . محاسن لم تعد تذكر شيئاً من ذلك الماضي الخفيف القاتم السواد. انها لتعيش في حاضرها في هذا الحلم الرائع الفائق الجميل ..

وكانت صديقتها انعام تزورها من حين الى آخر ، حاملة لها ايراد البنائة التي تملكها في شارع الحمراء ، وبعض الهدايا ... وكانت محاسن قد وهبت انعام سيارتها الخاصة ووهبتها ثيابها وتركت لها الدار التي كانت تقيم معها فيها ، لتقيم فيها وحدها دون ان تتقاضى منها بدل الايجار . انعام صديقتها المخلصة الوفية ، وليس لمحاسن في هذه الحياة قريب او نسيب او صديق الا انعام ..

وكانت انعام تبادل صديقتها محاسن الاخلاص والمحبة والصدقة والوفاء .. وكانت تحرص على سعادتها كل الحرص ، لذلك فهي لم تكن لتحمل لها اخبار العمل وأنباء المعجبين وقصص الملهى . وما يدور في الملهى من عجائب وغرائب . كانت انعام تريد مخلصه ان تساعد صديقتها محاسن على النسيان .. ولكن حدث ذات يوم ما أهاب بالراقصة انعام الى مخاطبة محاسن في امر مهم خطير .. فقد اقبلت انعام ذات يوم لزيارة محاسن . وكانت محاسن مع حبيب في البستان عندما اطلت انعام على القرية وشخصت الى دار حبيب . وكانت ام حبيب في الدار فرحبت بصديقة محاسن شديد الترحيب

ودعتها الى الانتظار : « تفضلي يا ابنتي . تفضلي اجلسي هنا .
سأدجو محاسن اليك . انها في البستان مع حبيب » .
وتمتت انعام : « لا يا خالتي أم حبيب . لا تزعجي نفسك .
انا سأشخص اليها » .

قالت انعام هذا وشخصت الى البستان . وراحت تنادي
محاسن ، وقد اقتربت من البستان .. وسمعت محاسن النداء ،
فقالت لحبيب : « لقد اقبلت انعام . انا شاخصة اليها يا حبيبي » .
قال حبيب : « سألحق بك بعد قليل يا محاسن » .

وأسرعت محاسن الى انعام فاتحة ذراعها .. وتعانقت
الصديقتان .. وتمتت محاسن ، وهي تتأبط ذراع صديقتها
الحبيبية : « تعالي . تعالي يا انعام معي الى الدار » .

وهمست الراقصة انعام : « لا يا محاسن . لا يا حبيبتي .
سنجلس هنا . هنا تحت اغصان هذه الشجرة الوارفة الظلال .
لي معك حديث سري طويل يا اختي . تعالي . تعالي نجلس هنا » .
ووجت محاسن .. ما هو هذا الحديث السري الطويل الذي
تريد انعام ان تحدثها به ؟

وجلست انعام فوق صخرة متواضعة صغيرة وجلست محاسن
قربها ، وأشعلت انعام لغافة نفثت دخانها في الفضاء وهمست :
« محاسن ا.. منذ ان تزوجت ، وتركت العمل وأنا أتحاشئ
ان اذكر على مسامعك اي صكلمة تذكرك بالماضي القريب الذي
كنت تعيشين فيه » .

فوجت محاسن وهي تسمع انعام تتحفها بهذه المقدمة المنمقة .

وحبست انفاسها على قلق واضطراب ، وقد حدثها قلبها بأن
ثمة امرأ مهماً خطيراً .. ومضت انعام في الكلام لتقول : « اسمعي
يا محاسن . انني لأخشى ان تكون سعادتك الزوجية مهسدة
بخطر دام رهيب » .

فاشتد القلق والوجوم بمحاسن ، وانعام تحدثها عن خطر
رهيب . وهمست : « ما هو هذا الخطر يا انعام ؟ هل استطيع
ان اعلم ما هو ؟ »

وتمنت انعام : « انا ما جئت اليك اليوم إلا لأطلعك على كل
شيء وأحذرك من هذا الخطر » .

قالت محاسن : « اوضحي ، اوضحي يا انعام . لقد شغلت
بالي يا اختي » . فعادت الراقصة انعام الى نفث دخان اللساقة
الفاخرة في الفضاء لتقول : « اسمعي يا محاسن . انا اريد ان
اطلمك على كل شيء . على كل شيء يا اختي . لن اخفي عنك شيئاً .
سأبدأ بسر القصة لك من اولها .. منذ تلك الليلة التي أمسك
فيها حبيب بيدك وخرج بك من الملهى ، في تلك الليلة ، بعد ان
ودعتك امام باب الملهى وعدت الى القاعة وجدت ابا العز
بانتظاري .. ووثب إلي ليقول : « اين هي محاسن ؟ » لم يكن
قد شاهدك تخرجين من الملهى مع حبيب لأنه كان منصرفاً الى
عمله .. ولم أشأ ان اطلعه على الحقيقة خشية ان يلحق بك ويحول
دون تحقيق امانيك العذاب . فقلت له : محاسن مصابة بصداق
شديد وهي قد عادت الى الدار . وممس زراتها كاذبة . هي تريد
ان تهرب من العمل . سأندبر الامر معها ليلة غد . وضحكت

في سرى وأنا على يقين من انه لن يستطيع ان يتدبر الامر معك .
وفي الليلة التالية ، عندما وصلت الى الملهى وثب ابو العز إليّ
ليقول : « اين هي محاسن ؟ » ولم اكن استطيع المضي في الخداع .
كان عليّ ان اقر بالحقيقة ، لا سيما بعد ان اصبحت انت في مأمن
من شره ، فقلت له بهزه وسخرية : « عوضنا الله بسلامة رأسك
يا ابا العز ، وأمسك ابو العز بذراعي يشدها ويزأر : « ماذا
تعنين ؟ » قلت : « محاسن تزوجت وانتهى الأمر » وجعلت
هيناه ، وارتجفت شفتاه الغليظتان ، وظهر الغضب الشديد على
معياه حتى اصبحت منظره مخيفاً وصرخ بي : « ماذا تقولين يا
مجرمة ؟ ماذا تقولين ؟ محاسن تزوجت ؟ مستحيل . مستحيل .
انت كاذبة ، منافقة ، محتالة . محاسن لم تزوج . قولي لي يا
مجرمة ، اين هي محاسن ؟ »

وذعرت وأنا أشاهده في ثورته الجامحة الهوجاء . كان مخيفاً في
غضبه يا أخوتي . كان كالعاصفة الكاسحة ، كان كالسنة اللهب
المتقدة السعير . وحاولت الهرب منه إلا انني عجزت . فهو قد
دخل بي الى غرفته واوصد الباب . وانتضى خنجراً مصقولاً
وامسك بيدي يهددني بالخنجر ويهدر : « قولي لي يا فاسقة اين
هي محاسن ؟ » ولم يكن ثمة بد من الاعتراف فاعترفت له بكل
شيء وعيناي الجاحظتان تراقبان الخنجر المصقول .

وجلس ابو العز على مقعد وراح يداعب الخنجر ويفكر ..
ولم يلبث ان التفت اليّ ليقول : « الويل ثم الويل لمحاسن من
غضبي . لقد خربت بيتي ، وانا سأخرب بيتها .. لن ادعها تهنأ

في حياتها الزوجية . اموالها كلها ستؤول اليّ . بنايتها ستصبح لي . حتى جسدها لي انا .. هذه الثروة التي جمعتها لم تكن لتجمعها لولا مساعدتي اياها . لقد جمعت هذه الثروة من هذا الملهى وستعيدها لهذا الملهى .. انا سأقدر امري مع الجريمة الخائنة ، ..

ورقفت امامه ارتجف كأنني ورقة في مهب الريح . كنت اخشى على عنقي من ذلك الخنجر المراقص بين يديه .. ومضت الدقائق ثقيلة على قلبي .. ولم يلبث ان نهض ابو العز ليقول : « اسمعي يا شقية . انت مجرمة . جريمتك لا تختلف عن جريمة محاسن . انت ساعدتها على الهرب يا مجرمة . ويجب أن اقتص منك قبل أن اقتص منها » وعاد الذعر يعصف بي يا محاسن . لقد خشيت أن يقتلني . انت تعرفين ابا العز كما اعرفه انا . هو لا يتورع عن ارتكاب الجرائم الرهيبة في سبيل تحقيق رغباته واهدافه .

وتقدم ابو العز مني واصابعه تداعب الخنجر ليقول : « ولكن .. ولكن باستطاعتك أن تكفري عن جريمتك وباستطاعتي عندئذ ان اعفو عنك » قلت له والخوف يستبد بي : « مر . ماذا تريد مني يا ابا العز ؟ » قال « عليك الآن أن تساعديني على محاسن .. يجب أن نعمل معاً للحصول على اموالها وعلى بنايتها قلتي » ولكن كيف . كيف نستطيع ذلك يا ابا العز ؟ » قال « ليس لك أن تسألني كيف .. انا سأرسم الخطة . وعلينا أن تنفيذها »

قلت والخوف يغمر قلبي كما تريد . كما تريد يا ابا العزيم
قال لي يومئذ هذه اللحظة لا يحق لمحاسن أن تتفاضل بدل ابحار
مساكن بنايتها . ولا يحق لها أن تسحب اي مبلغ من المصارف .
هل فهمت ما اعني ؟ قلت ، وقد بدأت استعيد هدوئي ولم
افهم شيئاً قال : « محاسن الآن مع زوجها . هي ليست في بيروت
أليس كذلك ؟ » قلت : اجل .

قال : « بكل ما اريد منك الآن هو أن تخبريني بحضورها .
عندما تحضر الى بيروت . وعليّ الباقي . » ورعدته يا محاسن بأن
انفذ او امره . وانا ارتجف من الخوف .. وخرجت من غرفته في
الملهي وانا التحسس عنقي لتأكد من سلامته .. ومنذ تلك الليلة
وهو لا ينفك يسألني كلما وقعت عيناه عليّ « ألم تحضر محاسن
الى بيروت ؟ » واجيبه بالنفي . وبدأ يشك بي . بدأت الهواجس
والظنون تعصف برأسه فعاد الى التهديد والوعيد ..

ولم يكتف بذلك يا محاسن . لم يكتف بالتهديد والوعيد ،
بل هو عمد الى قطع مرتبي واخذ يطوف على المستأجرين في
بنايتك ليعلن لهم ان البناية انتقلت اليه وان ليس لهم أن ينقدوا
بدل الابحار لسواه .. المرحلة وصلت الآن الى نقطة خطيرة يا
حبيبتي .. يجب أن تتداركي الامر قبل فوات الاوان يا اخوتي .
يجب أن نضع حداً لتصرفات هذا المجرم الخطر الخيف . »

وكانت محاسن تستمع الى صديقتها انعام وهي تنظر الى
الافق البعيد وتفكر .. والتفتت محاسن الى صديقتها ، وقد
انت - الصديقة من حديثها لتقول : « اطمئني يا انعام . اطمئني

يا اختي . انا سأقبح الامر وسأقطع على هذا المجرم الخطر الطريق « قالت انعام : « ولكن يجب أن تعلمي بسرعة وعجل قبل أن يفوت الاوان يا اختي » فعاتت محاسن الى التمتمة : « اطمئني ، اطمئني يا انعام . انا سأعرف كيف سأخلص من هذا المجرم الشرير . ولكن كل ما ارجوه منك هو ان تتخلصي انت منه لئلا يعمد الى الانتقام منك . يحسن بك ان تتركى العمل في ملهه الآن . الآن فوراً . لا تشخصي الليلة الى ملهه » .

قالت انعام : « ولكن ، لقد اصبح لي بدمته مبلغ كبير من المال . منذ ثلاثة شهور لم ينقدي ليرة واحدة من مرتبي » قالت محاسن : « لا بأس يا انعام . سامحيه بهذا المبلغ ، خير لك أن تخسري الفاً الآن ، من أن تخسري الوفاً بعد شهور انت لن تستطيعي أن تتقاضي ليرة واحدة منه . لا الآن ولا بعد سنة .. يجب أن تغادري لبنان الى بلد عربي شقيق لمدة من الزمن . انت راقصة شهيرة . تستطيعين أن تعملي في اي ملهى » . قالت : « سأجرب أن اعمل بنصيحتك يا محاسن . ولكنني اخاف عليك انت من انتقام هذا الوحش » . فأمسكت محاسن بيد صديقتها انعام لتقول : « لا تخافي عليّ . قلت لك : اطمئني . انا سأكون في مأمن من شره » .

ونضت محاسن لتقول : « تعالي ممي الآن الى الدار . لقد حان موعد الغداء . سنتناول الغداء معاً يا انعام » . وسارتا الى الدار .. ولم يلبث ان جاء حبيب ليرحب بانعام شديد الترحيب .. وتناولوا طعام الغداء معاً . وقضت انعام طيلة

النهار قرب صديقتها محاسن .. وفي المساء عادت الى بيروت
وقد عازمت على ان تعمل بنصيحة محاسن . هي ستقطع عن
العمل في ملهى ابي العز وستسافر الى خارج لبنان ، ليفعل
ابو العز ما يطيب له ويحلو ..

وانصرفت محاسن الى التفكير بعد ذهاب انعام .. ما
حلت اليها انعام من الانبياء المقلقة يدعو الى التفكير الشديد .
عليها أن تعمل بسرعة لدرء الخطر المحدق بها .. واستغرقت
محاسن في التفكير . وهي جالسة على « السطيحة » المنبسطة
امام المنزل القروي الوضيع .. وعندما عاد حبيب في المساء
وثبت اليه تعانقه بشوق وحنان . ودعته الى الجلوس قريبا .

فجلس الزوجان السعيدان على « السطيحة » الفسيحة
الارضاء .. وكانت النجوم قد بدأت تتللق في الفضاء والظلام
يبسط اجنحته السوداء على تلك الجبال والوديان والوهاد
والتلال . ونسيم الليل العليل يداعب اغصان الاشجار قتمايل
تلك الاغصان بين ايدي النسيم العليل على رقة وعطف ودلال ،
وكان الجو صافياً وشذا الازهار والورود يعطر الاجواء ويبعث
النشوة والشوق والحنين في القلوب والارواح . فالشهر ، شهر
حزيران ، وقد اشرف الربيع على الافول وبدأ فصل الصيف
يتأهب للبروغ من وراء الربيع العاطر المرع الريان . وبدت
القرية باسمه هاجعة خاشعة . وقد زادها الليل رهبة وخشوعاً ..
وألقت محاسن برأسها الواهي على صدر زوجها ونظرت الى
الفضاء الواسع الرحيب لهمس : « حبيب ! .. المحبني يا حبيب ؟ »

وارتسمت على شفقي حبيب ابتسامة هادئة بيضاء. وراحت
اصابعه تداعب خصلات شعرها الحريري ، وممس : « هل لثلك
ان يسأل مثل هذا السؤال يا محاسن ؟ .. أتشكين مجي يا حبيبي ؟
ألا تؤمنين بحب حبيب وبإخلاصه وبوفائه ؟ » .

وتتمت محاسن ، وقد بدأت الدموع تموج في عينها : « قل
لي يا حبيب كم هو مقدار حبك إياي ؟ كم ؟ اجبني يا حبيبي »
فانسمعت الابتسامة على شفقي حبيب. وممس : « حي اياك
عميق واسع شاسع رحيب ، لا حدود له ولا سدود يا حبيبي .
كل ما في العالم من حب وعطف وهيام لا يوازي حي وعطفي
وهيامي » . قالت : هل ستظل تذكر محاسن طيلة العمر ؟
فوجه حبيب : « لماذا تطرح عليه محاسن هذا السؤال ؟ ان تكون
عازمة على الابتعاد عنه ؟ .. وتابعت محاسن كلامها لتقول :
« انظر يا حبيب الى الفضاء الواسع الرحيب مانه بعيد واسع
شاسع . ليس هناك ما يضاهيه شمساً وبعداً ورحابة واتساعاً .
ان حي اياك مثل هذا الفضاء يا حبيبي . انا سأظل اذكرك طيلة
العمر .. طيلة العمر ؟ لا ، بل انني سأذكرك حتى بعد انتهاء
هذا العمر الفاني على هذه الارض ، سأذكرك حتى بعد رحيلي .
عن هذه الحياة الفانية . سيظل حبك في روحي الى الابد ، الى
الابد يا روح محاسن » .

وتتم حبيب بخوف ووجل وارتياح : « لمساذا تتعدئين عن
الذكرى وعن الرحيل ، وعن البعاد يا محاسن ؟ .. هل يخيل لك
اننا سنفترق يا حبيبي ؟ » .

فهمت محاسن وهي لا تنفك تنظر الى الفضاء الواسع
الرحيب : « حبيب .. انظر الى الفضاء ، هل تشاهد هذه
النجوم الزاهية المتألثة في الفضاء ؟ هل تشاهدها
يا حبيب ؟ هذه النجوم تعرف كل شيء عني . هي تعرف كم تحبك
محاسن ، وقد سهرت معي الليالي الطوال . كل ما في قلبي من
اسرار بحت بها لهذه النجوم يا حبيب . اذا ابتعدت عنك يوماً
يا حبيبي ، اذا فقدتني ، سل النجوم عني تخبرك كل شيء ، كل
شيء » .

وضم حبيب مرزوق حبيته الى صدره برفق وحنان وتمم :
« محاسن ا . لن اكون مضطراً لأطرح على النجوم اي سؤال ،
لأنك لن تبتمدي عني . لقد جاد علينا الله بكل ما نتمنى ونريد
يا محاسن ، لم يبخل علينا الله عز وجل بشيء . وما هو قد جمع
بيننا ، وأراح قلوبنا ، وأبعد شبح الفراق الأليم عنا . وهو
ما جمع بيننا ليفرق جسدينا ويبعدنا عن بعضنا يا محاسن . نحن
سنعيش العمر كله معاً . لن نفرق . لن نفرق يا حبيبي » .

وبدأت الدموع تتدحرج على وجنتي محاسن ، وذعر حبيب
وهو يشاهد دموع زوجته منحدره على وجنتها ، على انعكاس
ضوء القمر الذي كان قد بدأ يبرز من وراء الجبال السماء .
ومس : « محاسن .. لماذا تبكين يا حبيبي ؟ .. هل هناك
ما يعذبك ويشقك قرب حبيب ؟ » .

وطوقته بذراعيها ومست : « لا يا حبيبي ، لا انا سعيدة
قربك . انا لا استحق هذه السعادة التي وهبني إياها الله العظيم .

انني أبكي لسعادتي الفائقة . والسعادة اذا اتسعت حدودها تدفع
الدمع الى العيون ، تماماً مثل الحزن والشقاء يا حبيب . انا سعيدة .
انا سعيدة . انا سعيدة . يا روح محاسن ، وإنني لأضرع الى الله
كي يديم لي هذه السعادة ويبقيها .

وتعانقنا على شوق وهوى هيام .. وإذا بأم حبيب تقبل
داعية حبيب ومحاسن لتناول طعام العشاء .. ومسحت محاسن
دموعها بكفيها ونهضت ، تستند الى ذراع زوجها . ودخلا الى
الدار ليتناولوا مع أم حبيب طعام العشاء .. وبعد العشاء عادا
الى السطیحة ليقضيا السهرة مع أم حبيب ..

وفي الساعة العاشرة دخلا الى غرفتها ليرقدا . ولم يغمض
لمحاسن جفن طيلة ذلك الليل .. كانت محاسن مستلقية في
سريرها تفكر .. انها لتفكر بوسيلة تتخلص بها من مضايقة
ابي العز .. وطال تفكيرها .. وبدأ النعاس يداعب اجفانها
ويثقلها مع مطلع الفجر البعيد .. واستسلمت للرقاد .. ولم
تستيق محاسن إلا على صوت أم حبيب يناديها : محاسن
انهضي يا ابنتي .. واستفاقت محاسن ، واستوت في سريرها
للتشاهد أم حبيب حاملة لها قهوة قهوة الصباح .. وهمست أم حبيب
وهي تقدم « للكنة » الحبيبة القهوة : « منذ أن وطأت قدماك
عتبة هذه الدار وأنت تهينين وتقدمين لي القهوة يا ابنتي . هذه
المرّة استطعت أن أرد لك الجميل وأن أحمل اليك القهوة » .

ووثبت محاسن من السرير لترتدي « الروب » ثم لتناول
صينية القهوة من « حماتها » وتمس : لا . لا تزعجني نفسك

يا امي . انا سأقدم لك القهوة .. ولكن . اين هو حبيب ؟ .
قالت المعجوز : « انه هناك على السطیحة يتناول قهوه » .
وحملت محاسن القهوة . وتأبطت ذراع أم حبيب وسارت
ورايها الى السطیحة لتجلسا قرب حبيب .. وتناولوا القهوة ،
حبيب وأمه ومحاسن .. ولم تلبث ان نهضت أم حبيب وسارت
الى المطبخ لتهيء الطعام في حين ظل الزوجان في جلستها الهائلة
السمعاء .. والتفتت محاسن الى زوجها لتقول ، وقد خلاها
المكان : « حبيب ! .. أنا لم أشخص الى بيروت ، منذ يوم
زفافنا انني بحاجة الى ابتیاع بعض الاغراض . اريد ان اشخص
اليوم الى بيروت . هل ترافقني اليها يا حبيبي ؟ » .

وقتم حبيب : « انت تعلمين يا محاسن ان الاعمال لا تسمح لي
بمرافقتك يا حبيبي . تستطيعين ان تشخصي وحدك الى بيروت
فتبتاعين ما تحتاجين اليه وقعودين الي » . قالت : « انا شاخصة
الآن الى بيروت وسأعود اليك عند الظهر يا حبيبي ، ونتناول
طعام الغداء معاً » . ونهض حبيب ونهضت محاسن . ودخلا معاً
الى الدار ، وتناول حبيب مفتاح السيارة ودفع به الى محاسن
ليقول : « هذا هو مفتاح السيارة يا حبيبي . لا تتأخري في
العودة يا محاسن ، سأكون في انتظارك يا حبيبي ، هل انت
مازلت تحسنين قيادة السيارة ؟ » .

ومست وهي تتناول مفتاح السيارة من يده : « ستبث لك
محاسن انها سواقة ماهره .. وارتدت ثيابها على عجل ، ووثبت
الى حبيب تطوقه بذراعيها وتعانقه بشوق وبحرارة .. وانسلخت

عنه .. وم حبيب بالخروج من الدار ، إلا انها استوقفته لتعود الى تقبيله . فكأنها تخشى ألا تعود اليه .. وعانقته مراراً قبل ان تخرج من الدار وتشخص الى السيارة الصغيرة فتستقلها وتطير بها الى بيروت .. ووقف حبيب يودع السيارة بقلق ووجوم حتى قوارت عن ناظره ..

ووصلت محاسن الى بيروت ، فبدت لها العاصمة اللبنانية ، بعد طويل الغياب ، غريبة عنها ، فكأنها غادرتها منذ سنين بعيدة آفلة .. وشخصت توأ الى شارع الحمراء ، الى دارها .. واستقبلها حارس البناية بالترحيب الشديد. وممس : « لقد أوحشنا بعاذك عنا يا ست محاسن » . وممس محاسن : « كيف حالك يا منصور ؟ هل انت بخير ؟ » . قال الحارس : « بألف خير يا سيدتي .. ولكن بعد ان نأيت عنا وبعت هذه البناية لم نعد نرى الخير » . فوجت محاسن ، وممس : « من قال لك اني بعت هذه البناية يا منصور ؟ » . قال : « ابو العز يا سيدتي قال لي انه اشترى هذه البناية منك . وهو يحضر من حين الى آخر فيتفقد البناية ويتصل بالمستأجرين » .

وتمت محاسن بغضب : « اسمع يا منصور ، اذا عاد ابو العز الى هنا مرة ثانية فاطرده . البناية ملكي انا ، وليس لأحد ان يتدخل في ملكي . هل تفهم » . ووجه منصور الحارس . فهو لم يشاهد الست محاسن في مثل هذه الثورة الجارحة من الغضب .. وممس : « الامر أمرك يا سيدتي » ..

واستقلت محاسن المصعد الى الدار .. وقرعت الجرس ..

وكانت انعام لا تزال مستسلمة لمرقاد فهبت من نومها على قرع
الجرس المتواصل .. وفتحت انعام الباب لتجد محاسن امامها ..
ووثبت اليها تعانقها هامة : « محاسن ! .. ما أتى بك الى
بيروت في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟ هل انت على خصام مع
حبيب ؟ » . وابتسمت محاسن وهمست : « لا . انا لست على
خصام مع حبيب يا انعام . لقد جئت الى بيروت لأضع حداً
لتصرفات ابي العز وشروره » ..

وأمسكت انعام بيد محاسن ودخلت بها الى الدار ، وهي
تتمتم : « ساهيء القهوة ونحسوها معاً يا محاسن .. منذ أمد
بعيد ونحن لم نتناول قهوة الصباح معاً » . ودخلت انعام الى
المطبخ لتهيء القهوة ، في حين دخلت محاسن الى غرفتها من
الدار لتتفقد بعض اغراضها وحاجاتها الخاصة . ولم تلبث ان
عادت انعام تحمل القهوة ..

رجلست الصديقتان تحسوان القهوة على مهل .. والتفتت
انعام الى محاسن لتقول : « ماذا ستفعلين الآن يا محاسن ؟ » .
ورشفت محاسن القهوة وهمست : « اسمعي يا انعام . انا سأشخص
الآن الى كاتب العدل لأسجل كل ما أملك باسم زوجي . ثم
انتقل الى المصارف لأحول كل ما لدي من مال بأسمه ايضاً .
ليس لي ان املك شيئاً بوجود زوجي . انا وكل ما املك من مال
وعقار لحبيب . اما ابو العز فاذا خطر بباله ان يعود الى مضايقتي
فسأرفع دعواري عليه وأزجه في اعماق السجن .
انت سترافقيني يا انعام الى كاتب العدل والى المصارف .

قد احتاج الى مساعدتك يا اختي ، .. ورشفت انعام قهوتها ..
ومست : « وأنا ايضاً سأعمل بنصيحتك يا معاسن . لن اعمل
بعد اليوم في ملهى ابي المز .. الاسبوع القادم سأخادر لبنان الى
بغداد حيث اعمل هناك في العاصمة العراقية الحبيبة مدة ثلاثة
اشهر . وتمت معاسن : « اسرعي اسرعي يا انعام . يجب
ان اعود الى القرية عند الظهر ، ان حبيباً ليقم علي انتظاري يا
اختي ، ..

وأسرعت انعام في ارتداء ثيابها وخرجت مع معاسن الى
كاتب العدل ، حيث سجلت انعام البنائة باسم زوجها ، ثم
انتقلتا الى المصارف ، حيث حولت كل ما تملك من مال الى
اسم حبيب مرزوق . ولم يكن باستطاعة معاسن ان تنتظر
انتهاء المعاملات ، فطلبت الى صديقتها انعام ان تعود الى كاتب
العدل والى المصارف وتسلم الاوراق المثبتة وتحملها اليها الى
القرية .. وخرجت معاسن الى سوق الطويلة فابتاعت بعض
الثياب والاغراض لها وبعض الهدايا للزوج الحبيب ولأمه ،
وودعت انعام قائلة : « الى اللقاء يا حبيبتي . سأكون بانتظارك
في القرية غداً او بعد غد . أرجوك يا انعام ان تعودني الى كاتب
العدل والى المصارف وتنتهي لي هذه المعاملات وتحملي لي
الاوراق الى القرية . قد لا استطيع العودة الى بيروت يا اختي .
وعانقت انعام صديقتها معاسن ومست : « اطمئي يا اختي .
سأحل لك الاوراق المثبتة كلها الى القرية خلال اسبوع واحد .
واستقلت معاسن السيارة الصغيرة ، وطارت بها الى القرية

الوادعة .. وكانت الساعة قد بدأت تشير الى الثانية من بعد الظهر عندما وصلت محاسن الى الدار حاملة الهدايا والاغراض . وكان حبيب ينتظر عودتها على نار وحمم فوثبت اليه تعانقه وتلقى بالهدايا بين يديه : « خذ يا حبيبي ، هبل تمعجبك ربطة العنق هذه ؟ .. وهذه المناديل ؟ هل أعجبتك ؟ وهذه الجوارب ؟ » وضمها حبيب الى قلبه هامساً : « لماذا أزعجت نفسك يا حبيبي بإبتياح كل هذه الاشياء ؟ » . ومست : « كل ما اطمع به من الحياة يا حبيبي هو ان اتال رضاك » .

وأقبلت ام حبيب فوثبت محاسن اليها فتفحها بالهدايا : « تفضلي يا امي ، هل يعجبك هذا اللشال ؟ .. وهذا الثوب ؟ هل يروق لك لونه ؟ .. وهذا الخذاء ؟ .. » . وضمها ام حبيب الى صدرها هامسة : « شكراً يا ابنتي محاسن » . وقتمت محاسن : « انا جائعة انني أتضور جوعاً » . وأمسك حبيب بيدها .. وسارا الى المائدة وجلسا مع ام حبيب يتناولان الطعام .. وقضت محاسن طيلة بعد ظهر اليوم قرب حبيب والفرحة تغمر قلبها . فكأنها ، وقد سجلت املاكها وأموالها باسم حبيب ، ألقت بعبء ثقيل عن عاتقها . الحمد لله . لقد ارتاحت محاسن زوجة حبيب مرزوق من جميع هموم الحياة



القرية الباسمة الخضراء تفرق في احضان السكينة والهدوء . والشمس تطل من وراء الجبال الشاخنة السماء لتلقي بثوبها الذهبي الجميل على بساتين القرية ومنازلها ودورها وحقولها وأحراجها

وكرمها . والعصافير تملأ الفضاء ألحانا شجبة رائعة ، والجداول تسكب في اذن الطبيعة ترانيمها الحاملة ، والفلاحون والمزارعون ينتشرون في اراضيهم وينصرفون الى العمل بهمة ونشاط .. ودقت الساعة التاسعة من الصباح فحملت محاسن الطعام لزوجها - كمادتها - وخرجت من الدار متجهة نحو البستان لتتناول طعام الصباح مع الحبيب . وما كادت محاسن تخطو خطوات قليلة خارج الدار حتى توقفت على هلع وذعر . فهي قد شاهدت ابا العز يقرب منها والغضب الشديد يطل من عينيه ..

واشتد الذعر بمحاسن وقد اصبح ابو العز على مقربة منها وأخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح الهوجاء . وأسندت ظهرها الى جذع السنديانة الضخمة العجوز . وراحت تمدق بأبي العز بخوف وجزع، وتتم ابو العز ، وقد وقف قريبا : « صباح الخير يا ست محاسن » .

ولم ترد محاسن عليه التحية بل هي ممست : « ماذا جئت تفعل هنا ؟ عد من حيث أتيت » .

وعاد ابو العز الى الاقتراب منها ليتتم : « أهكذا تطردين ضيوفك يا مدام حبيب مرزوق ؟ »

وزارت محاسن : « عد من حيث أتيت . اليك عني . انا لا اريد ان ارى وجهك هنا » .

وأمسك بيدها على غضب شديد ليقول : « سأعود من حيث أتيت ولكن بعد ان أصفي حسابي معك . هناك حساب طويل كبير واسع شاسع بيني وبينك بحاجة الى تصفية » .

وألقت محاسن بالطعام من يدها اليمنى ، وسحبت يدها اليسرى من يده لتقول : « اليك عني ايها المجرم النذل .. اليك عني . ماذا تريد مني ؟ ألا يكفيك ما جنيت من المتاجرة بي . ابتعد عني ايها النذل ، ابتعد عني » .

ولم يبتعد ابو العز عنها ، بل هو صرخ بها : « مجرمة ! .. لقد خربت بيتي . ضيعت عليّ ألوف الليرات يجب ان تعوضني عليّ » ، كل ما تملكين من مال وعقار هو لي . هل تفهمين ؟ هو لي انا .. كيف تتجرئين يا مجرمة علي اصدار اوامرك السنوية لحارس البناية بطردني ؟ هذه البناية لي . لي انا .. وأموالك كلها لي . وأنت .. انت لي ايضاً » .

واذا بصوت حبيب يتعالى : « محاسن ! يا محاسن » . كان حبيب قد استبطأ حضور زوجته اليه . وكان من عادته ان يشخص هو الى الدار في الساعة التاسعة والنصف لتناول طعام الصباح ، اذا لم تحضر اليه محاسن في الساعة التاسعة .. وسمعت محاسن صوت حبيب فذعرت .. والتفتت الى ابي العز تقول بتوسل ورجاء : « يا ابا العز .. ارجوك ان تدعني وشأني . ابتعد عن طريقي . كن شهماً ولو مرة واحدة في حياتك » . وقهقه ابو العز وهدر : « لماذا لا تكونين انت شهمة وتتنازلين لي عن كل ما تملكين ؟ » .

وإذا بوقع خطوات حبيب يتكسر في اذني محاسن .. حبيب مقبل نحوها .. وها هو وراء اغصان الاشجار يسير اليها .. ياريلها يا ويلها .. سيأشاهدها واقفة قرب ابي العز وسيثور

ويغضب ويظن بها السوء .. ماذا ستفعل ؟ . ماذا ستفعل ؟ ..
يجب ان تتدارك الامر بسرعة فائقة قبل وقوع الكارثة ...
وتقدمت من ابي العز تمسك بيده وتهمس : « لقد اقبل زوجي ..
تعال .. تعال يا ابا العز ، تعال الى القبو تعال » .

وأبى ابو العز أن يتزحزح ، أبى ان يدخل معها الى القبو
القريب قال : « لا . يجب ان يعرف زوجك كل شيء » . انت
عشيقتي . فلماذا تخفين هذه الحقيقة عن زوجك المخدوع ؟ » .

واشدد الذعر بمحاسن وأمسكت بيد ابي العز تجره الى القبو
وهي تهمس : « ارجوك ارجوك يا ابا العز واستحلفك بحياتك
بنور عينيك ان تدخل معي الى القبو قبل ان يراك حبيب . تعال
تعال تعال » ..

وشمر ابو العز بجرارة اصابعها المرتمشة تلهب اصابعه
فارتعش .. ومرت في خياله ذكرى تلك الليالي الدافئة الهانئة
التي قضاها قريبا .. فسار معها الى القبو المظلم الصغير ...

وكان حبيب قد اقترب من القبو في طريقه الى الدار ،
وشاهد من خلال الاغصان الوارفة زوجته محاسن تمسك بيد
رجل وتدخل وإياه الى القبو فتوقف عن المسير على دعر ووجوم .
ماذا يري ؟ . أيكون في يقظه ام تراه في منام ؟ . محاسن تمسك
بيد رجل وتدخل معه الى القبو ؟ . مستحيل ، مستحيل . هو
في حلم مزعج يخيف انه كابوس هائل رهيب .. وفرك حبيب
عينيه وسار نحو باب القبو .. وشاهد وهو في طريقه الى القبو ،

الطعام الذي كانت تحمله معاسن ملقى على الارض ، فتأكد من انه في يقظة تامة ...

وبخطوات متتدة اقترب حبيب من باب القبو المخلع المفتوح: .
وسمع الهمسات ، همسات زوجته وهمسات الرجل تتصاعد من داخل القبو إلا انه لم يستطع ان يحلو تلك الهمسات . فهو بعيد عنها .. وأطل برأسه من باب القبو ، وشاهد من خلال ظلام القبو الواهي معاسن ملقاة فرق كومة من القش والرجل قريبا ...

وثار الدم في عروقه على ثورة جامحة هوجاء .. ودخل الى القبو .. وإذا بالهمسات تتعالى في اذنيه لتصبح كلاماً واضحاً .. وسمع حبيب ، ماذا سمع ؟ لقد سمع معاسن تقول بغضب وجنون : « مجرم .. مجرم .. وضيع نذل .. ذليل .. ابتعد عني ايها النذل .. ابتعد عني .. قلامة من ظفر زوجي نساري عندي ألفاً من امثالك ايها المجرم الشرير » .

وسمع صوت الرجل يقول : « انت لي .. اموالك لي .. كل ما تملكين لي .. جسدك البض الجميل لي » .

وشاهد حبيب يد معاسن ترتفع في الظلام الاغبر الواهي لتنهال على وجه الرجل بالصفع .. وإذا بالرجل يمسك بعنق معاسن محاولاً خنقها ..

وقفز حبيب قفزة واحدة وأصبح وراء الرجل .. وأمسك بعنقه ورفعه عن صدر معاسن ليكيل له لكمة شديدة ارجعته الى مسافة بعيدة ..

ووثبت معاسن الى زوجها وهي قولول : « حبيب ! . أنا
مخلصة وقيّة يا حبيبي .. لا تسيء الظن بي يا حبيب . ابو العز
مجرم سافل شرير .. »

وضمها حبيب الى صدره وممس : « اطمئني .. لقد سمعت كل
شيء .. كل شيء يا حبيبي .. »

وفي هذه الاثناء كان ابو العز ينهض عن الارض ، وقد استعاد
قواه لميشهر مسدسه ويصوبه الى حبيب مرزوق .. وشاهدت
معاسن المسدس يلعب في ظلام القبو في يد ابي العز وهو مصوب
الى حبيب فذعرت .. وأدركت ان ابا العز سيطلق الرصاص
على زوجها فوثبت الى حبيب تحميه بصدرها وهي تصرخ :
« ابو العز ! .. لا . لا . لا . لا تطلق الرصاص يا ابا العز .. »

وإذا بالرصاص يدوي ممزقاً اذن السكون والهدوء . ثلاث
رصاصات ، كان ابو العز يريد لها ان تستقر في صدر حبيب
مرزوق ، فاستقرت في صدر معاسن .. وهوت معاسن الى
الارض ..

وذعر حبيب .. ووثب الى ابي العز يمسك به قبل ان يتمكن
من الفرار ، ينهال عليه بالصفع واللطم والرفس .. ووقع ابو العز
في الارض محطماً الاسنان والاضلاع ..

وأسرع حبيب الى زوجته يرفعها بين يديه والدم يتدفق من
صدرها بغزارة ، ويسرع بالخروج بها من القبو .. وإذا بأبناء
القرية يهرعون على ذوي الرصاص .. وشاهدوا حبيباً يحمل

زوجته بين يديه ويسير بها .. ودخل البعض منهم الى القبور
ليقبض على ابي العز ..

ومست معاسن وهي تلفظ انفاسها بين يدي زوجها
الحبيب : « حبيب !.. انا ساموت يا خبيبي ، إلا اني ساموت
مرتاحة الضمير .. لم اخنك يا حبيب . لم ألوث ثمرتك بالوحول ..
انا مخلصه يا حبيب .. هذه هي مشيئة الله . فلتكن مشيئته
مباركة .. ان الله يدعوني الى حوارهِ لأكون بانتظارك هناك .
اذكرني يا حبيب . اذكر معاسن ، اذكر زوجتك المخلصه
الوفية ... وثق ان روحها ستظل ابدأ قريك الى الابد .. الى
الأبد يا حبيب .. الى الأبد .. الى الأبد ، .. وتلاشت كل حركة
فيها .. وألوت عنقها على زند زوجها وأسلمت الروح ..

واهتزت القرية الوادعة للجريمة النكراء .. وأقيم للزوجة
الراحلة مأتم حافل . وكانت انعام وحبيب يذرفان الدموع الغزيرة
الحمرء وهما يشيعان معاسن الى المقر الأخير .. وما ان ووريت
معاسن الثرى وعاد حبيب مع المشيعين الى الدار حتى تقدمت
انعام منه تقدم له الأوراق المثبته انتقال املاك معاسن وأموالها
اليه ، هامة : « لقد سجلت كل ما تملك باسمك يا حبيب قبل
موتها بأيام قليلة فكأنها كانت تعلم انها راحلة عن هذه الفانية ..
ومس حبيب والدموع تتدحرج بغزارة على وجنتيه :
« ماذا تفيدني الأموال ؟ وماذا تفيدني الاملاك وقد فقدت
معاسن ؟ .. هذه الثروة ستوزع على الفقراء .. معاسن كانت
تحب الفقراء يا انعام .. »

وسيق صالح ابو المز الى ساحة القضاء فحك عليه بالاعدام ..
لقد خسر ابو المز كل شيء .. ماله ، ومعاسن ، وحياته ...
واقام حبيب مرزوق قرب ضريح زوجته الحبيبة .
فهو دائماً وابدأ عند القبر ، يبكي حبيته معاسن بدموع قانية
الاحمرار .. وكلما لاحت له النجوم في السماء تذكر كلام معاسن :
« حبيب ! .. انظر الى الفضاء .. هل تشاهد هذه النجوم الزاهية
الزاهرة المتألثة في السماء ؟ .. هل تشاهدها يا حبيب ؟ . النجوم
تعرف كل شيء عني . هي تعرف كم تحبك معاسن ، وقد سهرت
معي الليالي الطوال . كل ما في قلبي من اسرار بحت بها لهذه
النجوم يا حبيب . اذا ابتعدت عنك يوماً يا حبيبي ، اذا فقدتني ،
سل النجوم عني تخبرك كل شيء .. كل شيء » ..
وينظر حبيب مرزوق من خلال دموعه الى النجوم الزاهية
في الفضاء ويهمس : « ايتها النجوم اين هي معاسن ؟ . »

مؤلفات الاستاذ ييار روفائل
القصص العاطفية

سرّ الراهبة
صرخة الاستقلال
صقر الصحراء
ضاع عمري
طريق الدموع
ظلمتني يا قلب
غادة دمشق
في مهبّ الرياح
القلب الأخضر
لا تلمني
لن يعود

الأرض العذراء
الأمل السريع
انا خاطئة
بين نارين
حسنا بغداد
خبز ودمع
خذ قلبي ودعني
دموع الأرز ٢/١
دموع العذارى
دموع لا تجف
زنبقة في الوحول

نار في الجنوب
هل تذكرين
وحدتي مع الليل.

ماذا فعلت بقلبي
معقل النسور ٢/١
ملائكة في الجحيم
من اجل عينيك

تطلب من دار الجيل